ثقافة الهند

Volume 65, No. 4, 2014

المجلد ٦٥، العدد ٤، ٢٠١٤

ISSN 0970-3713

ثقافةُ الهنُد

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد ٦٥، العدد ٤ ، ٢٠١٤

رئيس التحرير
البروفيسور ذكر الرحمن

Indian Council for Cultural Relations
भारतीय सांस्कृतिक सम्बंध परिषद
المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqafatul Hind
E-mail: edit.thaqafatulhind@gmail.com

ودفع الثمن يُوجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

وحقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها وطبعها السيد ستيش مهتا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

صورة الغلاف : العلوم في اللغة السنسكريتية
صورة في الخلف: العلوم الطبية الهندية

ثقافة الهند

المجلد ٦٥، العدد ٤ ، ٢٠١٤م

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- العلوم والفنون فى اللغة السنسكريتية ١
  محمد نفيس
- عبقرية سماحة الشيخ سيد ابراهيم الأديب ولاميته الدكنية ٣١
  محمد شاكر رضا
- آراء سماحة الشيخ مولانا أبي الحسن الندوي حول الاستشراق والمستشرقين في مكتوباته ٤٩
  الدكتور علي رضا
- رد العلماء الهنود على كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم ٥٦
  الدكتور عبيدالرحمن طيب

- تأثير العلوم الطبية الهندية على العرب خلال العصورالوسطى ٩٧
  الدكتور محمد أنيس فاروقي
- التبادل الثقافي والحضاري بين الهند والكويت ١١١
  الدكتور عبد الناصر علي
- خَوْاجَهْ ألطافْ حُسينْ حالِيْ و جهوده الفكرية والاجتماعية في بناء المجتمع الإسلامي ١٢٤
  الدكتور محمد أنظر
- التيارات الفكرية ودورها الرائد في إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند ١٥٥
  الدكتور محمد أجمل القاسمي
- المؤلفات التاريخية في الهند ١٩١
  الدكتورة العنود بنت فهد العتيبي

افتتاحية العدد

يمكن لنا أن نشبّه ثقافة الهند بأشجار الورود المتنوعة بألوانها وعطرها وأريجها تحاول أن تأخذ من كل شجرة وردة من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق من كلِّ أرجاء الهند الجميلة وتاريخها المتنوّع، فتقرأ اللغة السنسكريتية، وتجد الشعر برقّته وجماله وعذوبته وملامسته لشغاف القلب، وتجد الاستشراق في الإسلام من قبل الباحثين الهنود ماله وما عليه، وتنبهر بالعلوم الطبية الهندية، فما زالت الدنيا بأكملها تستفيد من طب الهند وأعشابها وأسرارها، ويبقى الشاعر ألطاف حسين حالي نجمة في سماء الشعر الهندي والعالمي بغزلياته .

وتحفل الهند بتيارات فكرية متنوعة يقف المتأمّل فيها حائراً أمام هذه الديمقراطية الثقافية والفكرية في التعبير عن الرأي بكل حرّيّة .

نفتتح عددنا الجديد من مجلة ثقافة الهند ببحث عنوانه : العلوم والفنون في اللغة السنسكريتية لمحمد نفيس، وهو باحث في الدكتوراة بقسم الأدب العربي، ومما جاء فيه حول علم اللغة وعلم النحو في السنسكريتية : حَبَتْنا اللغة السنسكريتية بعلم اللغة وعلم النحو في الهند في قديم الزمان كما يبدو من كلام العلامة اللغوي بانيني الذي وضع قواعد اللغة السنسكريتية في

مؤلفه المشهور ثمانية كتب في قواعد اللغة ، و قد جاء في كتاب قصة الحضارة : ولقد أخذت الهند منذ تاريخ عريق في القدم تتعقب جذور الألفاظ و تاريخها و علاقاتها و ترتيبها.

أما البحث الثاني في هذا العدد الجديد من المجلة فكان بعنوان عبقرية سماحة الشيخ سيد إبراهيم الأديب و لاميته الدكنية إعداد محمد شاكر رضا، و لامية الدكن هي قصيدة على بحر لامية العرب للشنفرى ، و قافيتها ورويها و موضوعها في مدح النبي (ص) و أصحابه ، ومن أبياتها :

ألاحت سليمى في البراقع ترفل أو الشمس تجري في الغمام تذأل

ومن جماليات هذه القصيدة البلاغة و الفصاحة، فنجد الجناس والاشتقاق والانسجام وسائر أنواع البديع .

ثم جاء البحث الثالث بعنوان آراء سماحة الشيخ مولانا أبي الحسن الندوي حول الاستشراق و المستشرقين في مكتوباته للدكتور علي رضا، ومما ورد في هذا البحث : إن مساهمة المستشرقين في العلوم الإسلامية كبيرة جداً و يجب على العلماء و الباحثين المسلمين أن يقدروا جهود المستشرقين الذين عملوا من دون أي تأثير سياسي و مادي ولكن الذين عملوا تحت تأثير و هدف خاص عليهم أن يقوموا لمقاومة نزعتهم التشكيكية و التضليلية التي تتسرب في بيئة إسلامية ...

و كتب البحث الرابع في هذا العدد الدكتور عبيد الرحمن طيب بعنوان رد العلماء الهنود على كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية ، و وضح

الكاتب في هذا البحث المستشرقين الذين حاولوا أن يشوّهوا سيرة الرسول و المستشرقين الذين ذكروا الرسول و وضّحوا صورته الإسلامية الجميلة .

أما البحث الخامس فهو للدكتور محمد أنيس فاروقي و هو بعنوان تأثير العلوم الطبية الهندية على العرب خلال العصور الوسطى ، فقد قام الأطباء الهنود بخدمات جليلة بكافة العصور، ففي بغداد اعترف الخليفة العباسي هارون الرشيد بهذه الحقيقة و أقرَّ بتفوقهم العلمي و أسبقيتهم الطبية ولذلك استدعاهم إلى بغداد كصالح بن بهلة.

أما البحث السادس للدكتور عبد الناصر علي، فقد كتب بحثاً بعنوان التبادل الثقافي و الحضاري بين الهند و الكويت حيث اكتُشفت مجموعة من الآثار في الكويت في جزيرة فيلكا تدل على أن الصلة بين الهند و الكويت بدأت منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد ، فكانت هذه الجزيرة تمثل نقطة مرور للسفن القادمة من بلاد الرافدين باتجاه الهند .

و كتب الدكتور محمد أنظر بحثاً جميلاً بعنوان خواجة ألطاف حسين حالي و جهوده الفكرية و الاجتماعية في بناء المجتمع الإسلامي و يعد خواجة ألطاف حالي من أهم الشعراء في العصر الحديث في الهند و له ديوان غلب عليه الغزل الحافل بالعواطف والانفعالات' وله الرباعيات المليئة بالقيم الخلقية و النصائح و قد أثّر في عدد من الشعراء داخل الهند و خارجها .

و جاء البحث الثامن للدكتور محمد أجمل القاسمي بعنوان التيارات الفكرية و دورها الرائد في إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند وجاء فيه :

ساهمت مدرسة فرنغي محل مساهمة كبيرة في ازدهار و تطور العلوم الإسلامية في الهند ، و هي أول مدرسة فكرية علمية في ذلك العصر.

أما البحث التاسع والأخير فكان بعنوان المؤلفات التاريخية بالهند للدكتورة العنود بنت فهد العتيبي، وقد ذكرت في هذا البحث عدداً من الكتب المهمة في التاريخ مثل كتاب شرح شمائل الترمذي في شمائل النبي لعبد الوهاب بن محمد البخاري ...

وأخيراً، نأمل أنْ نقدّم للقارئ العزيز ما هو جميل وجذّاب وأنيق من فكر وثقافة يليق به ويمتّعه ويجعله على تواصل دائم مع مجلتنا ثقافة الهند .

ذكـــــــرالـــــــرحمــن

رئيس التحرير

العلوم والفنون فى اللغة السنسكريتية

محمد نفيس *

الحمـــد للمتـــــوحد بجـــلاله المتـــفـرد
وصـــــــلاته دوماعلـــى خيـــرالأنام مـــحمـــد

اللغة السنسكريتية

قال الدكتور محيي الدين الألوائ : يرجع تاريخ اللغة السنسكريتية فى القارة الهندية إلى أربعة آلاف سنة مع أن أقدم الآداب الهندية فى هذه اللغة الكلاسيكية هوالكتاب المعروف " ركفيدا " ويعتبر أقدم الكتب عن سلالة الآريين بأكملها، وبدأت السنسكريتية تبث نفوذها وترسل شعاعها إلى مناطق آسيا الوسطى والشرق الأقصى منذ القرن الأول قبل الميلاد بطريق " البوذية " ومنذ القرن الثاني للميلاد صارت اللغة السنسكريتية مطية للثقافة الهندية إلى جنوب شرقى آسيا، ومنحت لهذه البلاد تراثا مليئا باالتمثيليات والروايات والأشعار والموسيقى والرقص والنحت، وهكذا لم تعد للسنسكريتية عامل التجانس للقارة الهندية فقط بل جعلت الشرق الأقصى وجنوب شرقى آسيا تحت تجانس ثقافي متين. وخلال هذه الفترة الذهبية، تركت السنسكريتية أثرا فعالا فى جميع الميادين الأدبية والفلسفية والفنية والعلمية وغيرها.([1])

* الباحث فى الدكتوراة بقسم الأدب العربى، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد، الهند

[1] محيي الدين الألوائ ، الأدب الهندي المعاصر ، دارالعلم للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م ص ٢٣

علم اللغة و علم النحو

حبتنا اللغة السنسكريتية بعلم اللغة وعلم النحو فى الهند فى قديم الزمان كما يبدو أن العلامة اللغوي بانيني الذى وضع قواعد اللغة السنسكريتية فى مؤلفه الشهير (ثمانية كتب فى قواعد اللغة A sthayayi " الذى ذكرفيه أسلافه من النحويين. وتكمن أهمية كتاب بانينى فى تناوله اللغة من جميع جوانبها لفظا وكتابة ونحوا وصرفا وإعرابا للمفردات والجمل، وكذلك في تصنيفه جذورالأفعال والأسماء واستخلاص قواعد اشتقاقها، كما ميز جغرافيا الصيغ اللغوية الشمالية من الصيغ الشرقية . وجاء فى " قصة الحضارة " : ولقد أخذت الهند منذ تاريخ عريق فى القدم تتعقب جذور الألفاظ وتاريخها وعلاقاتها وتركيبها ولم يظللها القرن الرابع قبل الميلاد حتى كانت قد اصطنعت لنفسها علم النحو، وأنجبت من يجوز أن يكون أعظم النحاة جميعا ممن نعرف وهو بانينى، وكانت دراسات بانينى، وباتايخالى(١٥٠م) وبهارتريهارى (حوالي ٦٥٠) هي الأسس التى قام عليها علم اللغات، كما أن هذا العلم الشائق الذى يبحث فى ولادة الألفاظ اللغوية ، مدين بكل حياته تقريبا فى العصورالحديثة لإعادة كشف الغطاء عن السنسكريتية.([1])

علم العروض

قام تعليم العروض على النصوص الأدبية الأولى وفق الأوجه الأولى لعلم البلاغة ، ومع تطور الغنائية وجه علم العروض جميع الأعمال الفنية

[1] ول ديورانت الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

فارضا عليها أصولا متقدمة. ومما وصلنا " كافيادارشا " (مرآة الشعر) وضعه داندان ، و" كافيالانكارا " (تزيين الشعر) وضعه باماها (القرن السابع) وتوالت منذ ذلك الوقت تعليقات وكتب حتى القرن الثامن عشر.

ونشأت نظريتان " رازا " (الذوق الشعري) و " ذفانى " (رنين الشعر) فرضت على هذه المدرسة ، خاصة مع آبينافاغوبتا (القرن الحادى عشر) منحى تفكيري. وظهرت استشهادات غنائية عديدة تواكب القواعد والتفسيرات.([1])

علم الطب

علم الطب من العلوم القديمة والمعارف الأثرية ترجع آثاره إلى ٦٠٠٠ قبل ميلاد المسيح، إلا أن هناك من هو مخترعه. نقل فى ذلك القفطي وابن النديم عبارات طويلة، ملخصها كما يلي:

يقول البعض استخرجه أهل مصر، ويقول البعض: استخرج علم الطب والفلسفة كليهما هرمس، قال البعض: إنهم أهل قوس أو قولوس، وقد ذكروا بهذا الخصوص اسما للهند.

على كل حال، وبغضّ النظر عن الحقائق لا يمكن أن يستبعد أن الهنود قد حظوا بحظ وافر كثير بين الأمم في تدوين الطب باعتباره العلم.([2])

ورد فى كتاب (تاريخ الطب) نقدّر العزلة التي عاشتها أمريكا القديمة وجهلنا بماضيها، عندما نستحضر الطب في شبه القارة الهندية، الذي يمكننا أن نتتبع تطوره طوال ألفي عام قبل عصرنا. وحقيقة، كتبت

[1] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات – بيروت – باريس ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م ص ٥٥

[2] ثقافة الهند ، المجلد ٦١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – دلهي الجديدة ، ص ١٠٣ ، ١٠٤

النصوص التي بحوزتنا باللغة السنسكرتية التي يسهل علينا فك رموزها، والتي هي أصل معظم اللغات الأوروبية. فإننا ندرك أن الطب الهندي هو أساس الطب الحديث .

الفيدا والأيروفيدا

تشكل الفيدا مجموعة من النصوص تعود إلى خمسة عشر قرنا قبل ميلاد المسيح، وهي تتكون من قصائد شعرية فلسفية – دينية أكثر من كونها تعاليم طبية، لكننا نجد فيها أسس الطب الهندي البديل، الذي يدرك استحالة الفصل بين الروح والجسد، واستحالة التمييز بين المرئي وغير المرئي، لأن الاثنين يعيشان بـــ "أنفاس" من الطبيعة نفسها.

يبدو أن الأناشيد الفيدية هذه قد وفدت إلى الهند القديمة الدراويدية أثناء هجرات الشعوب الهندية، وبناء عليه فهي أقدم من الطب الإغريقي .

هكذا انتشر المنهج الطبي المعروف بالـــ ((أيروفيدا)) في الوقت نفسه الذي انتشرت فيه البوذية وبسطت نفوذها على بلاد جنوب شرق آسيا ، وترتبط الأيروفيدية بالبوذية بالطريقة نفسها التي ترتبط فيها الصرامة الأخلاقية بالصرامة الصحية للجسد بشكل لا يقبل الانفصال : استقامة السلوك ، الصلاح ، احترام الآخرين ، والتواضع الذي ينطوي على النظافة الجسدية ، والاعتدال في الشهوات ([1])

نذكر بعض الكتب الطبية:

[1] Jean – Charles Sournia ، تا ريخ الطب ، مطابع السياسة – الكويت ، صفر ١٤٢٣ – ما يـــو ٢٠٠٢ م ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

١- سشرت سنهتا: لعل أول كتاب للطب الهندي تم ترجمته إلى العربية كان "سشرت سنهتا" ألفه "سشرت" الماهر في مجال الطب كان ممن يعد من الدعائم الأساسية في هذا المجال.([1])

٢- جرك: كما قال البيروني " ولهم كتاب يعرف بصاحبه وهو " جرك" يقدمونه على كتبهم في الطب، ويعتقدون فيه أنه كان " رشا" في "دوابر" الأدني وكان اسمه " اَكَنَ بيش" ثم سمي " چرك" اي العاقل لما حصّل الطب من الأوائل أولاد " سوتر " وكانوا رشين وهؤلاء أخذوه من "اندر" وأخذه اندر من " اشوني" أحد طبيبي "ديو" وأخذه هذا من "پرجاپت" وهو براهم الأب الأول، وقد نقل هذا الكتاب للبرامكة إلى العربية.([2])

علم السحر و علم الكيميا

السحرهو إظهار شيء للإحساس على خلاف حقيقته بوجه من وجوه التمويه، فإن نظرإليه من هذا الوجه وجد فيه الناس شائعا، وإن اعتُقد فيه اعتقاد العوام أنه إيجاد الممتنعات فقد خرج أمره عن التحقيق، فإذا امتنع الشيء لم يوجد أيضا فالكذب ظاهر في حده فالسحر إذن غير داخل في العلم البتة، ومن أنواعه " الكيميا " وإن لم يسم به ألا ترى أنّ أحدا لو تناول قطنة و أراها نقرة لم ينسب إلّا إلى السحر وليس بينه وبين أن يتناول فضة

[1] ثقافة الهند ، المجلد ٦١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – دلهي الجديدة ، ص ١٠٤

[2] العلا مة أبو الريحان محمد البيروني ، كتاب في تحقيق ما للهند ، دائرة المعارف العثمانية ، بحيدرآ باد ، الهند ١٣٧٧هج ١٣٧٧هج – ١٩٥٨م ، ص ١٢٣

ويريها ذهبا فرق إلّا من جهة العادة، ولم يختص الهند بالخوض فى أمر الكيميا فليس يخلو منه أمة و إنما يزيد بعضها على بعض فى الولوع به([1]).

علم الرسائن

ورد فى " تحقيق ما للهند " ولهم فن شبيه بهذا الباب قد اختص الهند به ويسمونه " رسائن " و هو اسم مشتق من الذهب فإنه " رسُ " وهو لصناعة مقصورة على تدابير ومعاجين وتراكيب أدوية أكثرها من النبات وأصوله تعيد الصحة إلى مرضى قد أيس منهم والشباب إلى المشائخ الفانين حتى يصيروا فى حال المراهقين من اسوداد الشيب وزكاء الحواسّ والقوّة على البطش والجماع بل نيلهم البقاء فى الدنيا أزمنة طويلة، ومن المذكورين فى هذا الباب " ناكارجُن " من قلعة تسمى " ديهك " بالقرب من موضع " سومنات " وكان مبرزا عمل كتابا موفيا على غيره نادرا وعهده لايتقدم زماننا إلاّ بقريب من مئة سنة ([2]).

علم النجوم

لهذا العلم صلة وطيدة بالهنود وله أهمية كبرى لكونها منتمية إلى أمورهم وعقائد الدينية، ولذلك

لا يلقب أحد بـــ "المنجم" . إن لم يكن متعارفا على الأحكام النجومية ولو كان بارعا في الرياضيات ([3]).

وعلم النجوم فيهم أشهر لتعلق أمور الملة به ومن لا يعرف الأحكام منهم لايقع عليه بمجرد الحساب سمة التنجيم، والذي يعرفه أصحابنا "

[1] العلا مة أبو الريحان محمد البيرونى ، نفس المصدر ص ١٤٨ ، ١٤٩
[2] نفس المصدر ، ص ١٥٠
[3] ثقافة الهند ، المجلد ٦١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – دلهي الجديدة ، ص ١١٥

سندهندا" هو " سدهاند" أى المستقيم الذي لايعوج ولايتغير ويقع هذا الاسم على كل ما علت رتبته عندهم من علم حساب النجوم وإن كان عندنا قاصرا عن زيجاتنا وهو خمسة : أحدها " سورج سِدّهاند " منسوب إلى الشمس تولاه لاتُ والثاني " بَسِشتَ سِدّهاند " منسوب إلى أحد كواكب بنات نعش عمله (بِشنَچندر) والثالث " پُلِس سِدهاند " منسوب إلى پولس اليوناني من مدينة سيَنْتْرَ، وأظنها (الإسكندريّة) عمله " پُلس" والرابع " رومك سدهاند " منسوب إلى الروم عمله (اشريخين) والخامس " براهم سِدّهاند " منسوب إلى براهم عمله " برهْمكوپت بن جشن " في مدينة (بَهِلّمالَ) وهي فيما بين (مولتان) وبين (انهلواره) ستة عشر (جوژنا) واستناد جميعهم إلى كتاب " پيتامه " المنسوب إلى الأب الأول وهو براهم ([1]).

علم الرياضيات

كما قال لويس رينو : ثم ظهرت أبحاث أكثر تخصصا تحوى عناصرمن الحساب والجبر. وفي هذا الميدان يبدو أن الهنديين تبنوا مفهوم الصفر وقيمته الحسابية، وكذالك استخراج الجذور المربعة أوالمكعبة، واكتشاف الرقم (بي). وأبرز واضعي هذه الأبحاث: آرياباتا (ق ٥) ، براهما غوبتا (ق ٧)، باسكارا (ق ١٢) .

وثمة كتب منفصلة في الرياضيات، كما " غانيتا سارا " (جوهر الحساب) وضعه شريذارا (ق ١١) ، أو " ليلافاتى " (الظريفة)، وهو يطرح المسائل فى قسوة وشاعرية ([2]).

---

[1] العلا مة أبو الريحان محمد البيروني ، كتاب فى تحقيق ما للهند ، دائرة المعارف العثمانية ، بحيدرآ باد ، الهند ١٣٧٧هج ١٣٧٧هج – ١٩٥٨م ، ص ١١٨

[2] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص٦١

الأدب (النثر والشعر)

النثر ظاهرة مستحدثة في الأدب الهندي إلى حد كبير، ويمكن اعتباره ضربا من الفساد جاءه من الخارج بفعل الاتصال مع الأوروبيين، فروح الهندي الشاعرة بطبعها ترى أنه لا بد لكل شيء جدير بالكتابة عنه أن يكون شعري المضمون، يستثير في الكاتب رغبة في أن يخلع عليه صورة شعرية، فما دام الهندي قد أحس بأن الأدب تنبغي قراءته بصوت مرتفع، وأدرك أن نتاجه الأدبي سينتشر في الناس ويدوم بقاؤه – ذلك إن انتشر ودام – بالرواية الشفوية لا بالكتابة فقد آثر أن يصبَّ إنشاءه في قالب موزون أو مضغوط في صورة الحكمة، بحيث تسهل تلاوته ويسهل حفظه في الذاكرة، ولهذا كان أدب الهند كله تقريبا أدبا منظوما، فالبحوث العلمية والطبية القانونية والفنية أغلبها مكتوب بالوزن أو بالقافية أو بكليهما، حتى قواعد النحو ومعاني القاموس قد صيغت في قالب الشعر، والحكايات الخرافية والتاريخ، وهما في الغرب يكتفيان بالنثر، تراهما في الهند قد اتخذا قالبا شعريا منغّما

الأدب الهندي خصيب بالحكايات الخرفية بصفة خاصة ، والأرجح أن تكون الهند مصدرا لمعظم الحكايات الخرافية التي عبرت الحدود بين أقطار العالم كأنها عملة دولية فالبوذية لقيت أوسع انتشار لها حين كانت أساطير ((جاتاكا)) عن مولد بوذا ونشأته شائعة في الناس ، وأشهر كتاب في الهند هو المعروف باسم ((بان كاتانترا)) أى العنوانات الخمسة (حوالى ٥٠٠ ميلادية) وهو مصدر كثير من الحكايات الخرافية التي أمتعت أوربا كما أمتعت آسيا([1]).

[1] ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمه د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١

و بين الحكايات الخرافية و التاريخ تقع مجموعة كبيرة في منتصف الطريق من حكايات شعرية جمعها ناظمون دعوبون ، وأرادوا بها أن تكون متاعا للروح الهندية المحبة للخيال ، ففي القرن الأول الميلادي نظم ناظم يدعى ((جناذيا)) مائة ألف زوج من الشعر أطلق عليها (برهاتكاذا) أى مسرح الخيال العظيم ([1]).

الـــفـــيدا

فجر الأدب السنسكريتى بالفيدا وفيدا هى كلمة سنسكريتية تعني المعرفة.

قال لويس رينو: الفيدا (Le Veda) أولى الوثائق الأدبية فى الهند، نصوص دينية تواترت شفاهة ثم دونت كما وردت على ألسنة الرواة، مجهولة التاريخ والكاتب. لكنها عمل الجماعات الآرية(من جذورهندية أرروبية التى غزت الهند من شمالها الغربي حوالي ٢٠٠٠ ق. م. من هنا نسبة النصوص الفيدية القديمة إلى هذه الحقبة ([2]).

ويقول الدكتور محيي الدين الألوائ : ومعنى كلمة ((فيدا)) في اللغة السنسكريتية ((المعرفة)) لأنها تتضمن المعارف والأفكار والمبادىء التي نالها حكماء الهند القدامى ، أو استلهموها خلال تأملاتهم العميقة المصحوبة بإنكارالذات والتفاني في سبيل معرفة الحق . ويسمى كل من هؤلاء الحكماء ((ريشي)) أو ((موني)) أى الحكيم أو العارف ([3]).

---

[1] ول ديورانت ، نفس المصدر ، ص ٣٢٣

[2] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعـــة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٦

[3] الدكتور محيي الدين الألوائي ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، دارالقلم – دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ، ص ٢٣٧

وسرد الدكتور محمد ضياء الرحمن : و ((الفيد)) كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة ((ود)) ومعناها العلم والمعرفة ([1]).

يقول الأستاذ أحمد فهمي محمد في التعليق على الملل والنحل " ترجع الفلسفة الهندية ، واختلاف معتقداتهم إلى كتاب الفيدا ، ومعناه علم الغيب عن طريق الدين ، وهو منبع جميع المعارف الهندية دينية أو اجتماعية أو خلقية أو علمية وهو ينتظم أورادا تعبدية ، و أناشيد دينية ، وتعاويذ ، ولايكاد يتصفحه متصفحه حتى يلتقي فيه بآلهة كثيرين . منها ما يتمثل في الشمس، وما ينشأ عنها من ضوء ودفء و إنعاش، ومنها ما يتمثل في قاتل تنين هائل، أو وحش كاسر وقد تصل هذه الآلهة إلى أكثر من ثلاثين إلها ولهم أسطورتهم في بدء الخلق، و ذلك أنه الإله براجاباتي وهو خالق ، ومخلوق، فهو في بدء الأمر اشتاق إلى التكثر وتمناه ، فأجابته سائر الآلهة إلى أمنيته فضحوا به فقطعوه إربا إربا ونثروا أجزاءه في جميع البقاع فتكون العالم من هذه الأجزاء ، و أخذت تتجاذب بشوق القرب ، و هذا سر التجاذب الخفي الذي يتمثل في جميع عناصر الدين ([2]).

والفيدا لها أ ربعة أقسام .

الفيدا الأولى هى الأقدم، تدعى " الريغ فيدا " أو " فيدا المقاطع " وهى مجموع آلاف أنشودة للآلهة ([3]).

---

[1] الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، مكتبة الرُشد ناشرون ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م ، المملكة العربية السعودية – الرياض ، ص ٥٣١

[2] الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هجـ ، الملل والنحل ، الجزء الثالث ، تصحيح وتعليق للأستاذ أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م ، ص ٧٠٥

[3] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعـة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٨

الفيدا الثانية: "ياجورفيدا " أو " فيدا الصيغ التضحوية " وهى من عدة تنقيحات، بعضها لا يحوي صيغ نثرية أوشعرية مقتبسة لمختلف الاحتفالات الطقسوية، وبعضها و يدعى " الياجور فيدا السوداء " يضم عناصر التعليقات لتفسير الصيغ وخاصة تبريرات الإشارات والممارسات.

الفيدا الثالثة : " الساما فيدا " أو فيدا الميلوديات " وهى مقاطع من الريغفيدا، تغير فيها ترتيب المقاطع، وأهميتها فى التنويط الموسيقي ، فهذه أقدم موسيقى ليتورجة معروفة فى العالم.

الفيدا الرابعة: " الأثارفيدا " وهى مجموعة منتخبات شعرية لصلوات سحرية. فديانة الأثارفيين كانت مميزة ومقصورة على السَحَرَة وهى مجموعة منتخبات شعرية لصلوات سحرية ،وفيها

صلوات سحرية وقطع حول نشأة الكون أخاذة جدا.([1])

أقدم فيدا " الريغ فيدا " وآخرهم " الأثار فيدا ".([2])

وكل من من هذه الويدات الأربعة يشتمل على أربعة أجزاء هي سَمْهِتا وبرَهْمَن وأرَنَيك وأبانيشاد ، وهي بهذا الترتيب من حيث قدمها التاريخي ، والتحدث عن كل منها فيما يلي :

١ – سَمْهِتا (Samhita) أو مجموعة المنظومات لكثرة المنظوم فيها ، ومنظومات الريج ويدا أهمها ، وقد تكرر أكثرها في ساما ويدا ، وهذه المنظومات يُتَغَنى بها عند تقديم القرابين ، ويشتمل سمهتا من ياجور ويدا بعض الأدعية التي تقرأ عند تقديم القرابين كذالك ، أما منظومات

---

[1] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعـــة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٩– ١٠

[2] لسينت پيلكيشن دى.إين. داس لين, بنغالى اخارا، بتنا، ص ١Lucent’S سماى غيان سُنيل كمارسنغ ،

أثار فيدا فأدعية كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لآلهتهم قبل زحف الآريين ، وإذاً فلها قيمة تاريخية ودينية عظيمة ، وتمثل السَمْهِتا مذهب الفطرة في التفكير الهندوسي .

٢ – البَرَاهمن (Brahman) أوالهدايات التي يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم و بين أهليهم ، وتشمل بيان أنواع القرابين وتفاصيلها ومواسمها ، وتبيان أن إرضاء البراهمة ضروري لقبول القرابين ، ويمثل البراهمن مرحلة أقرب إلى التحضر في التفكير الهندوسي .

٣ – أرَنَيك (Aranyaka) أو الغابيَّات أو الهدايات والإرشادات التي تقدم للشيوخ المعمرين الذين يتركون أهليهم في الربع الرابع من أعمارهم ليقيموا في الكهوف والغابات ، والأرنيك تهدي أمثال هؤلاء إلى أعمال سهلة يقومون بها بدل القرابين التي أصبحوا يعجزون عن تقديمها.

٤ – أبانيشادات (Upanishad) وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية ، وتدون هذه إرشادا للرهبان والمتنسكين الذين مالوا إلى باطن الحياة وتركوا ظاهرها ، وتمثل الأبانيشادات مذهب الروح الذي هو المرتبة العليا في سلسلة الاتقاء الديني ([1]).

السوترا والنصوص الرديفة : السوترا، هى الحِكم التى تمثل الكالبا، أي التعاليم الطقسية وهي أوصاف دقيقة لاحتفالات العبادة: تضحيات يومية، وكل أسبوعين،وكل أربعة أشهر ، وغيرها.

[1] الدكتورأحمد شبلي ، أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ٢٠٠٠ م ص٤١،٤٢

أما النصوص الرديفة للفيدا، فأبرزها الأبحاث الصوتية (الأقدم إطلاقا فى هذا الميدان)، وهي تشير إلى لفظ صحيح للصيغ والمقاطع ، كان أساس القواعد المعروفة في ما بعد ، عند ظهورالنصوص الفيدية ([1]).

الشعر الملحمي : سيطرت قصيدتان من الشعر الملحمي كُتبتا باللغة السنسكريتية على الأدب الهندي الباكر بعد الفيدا، وهما: المهابهاراتا، أي حرب التوابل الكبرى والرامايانا أي (قصة راما) وتعد المهابهاراتا أطول قصيدة فى العالم، فهي تتكون من ١٠٠,٠٠٠ بيت من الشعر. تدور القصة الرئيسة للمهابهاراتا حول الحرب على خلافة العرش بين البندافاس والكاورافاس، وهما فرعان للأسرة المالكة.

وأما الرامايانا فهى أقصرمن المهابهاراتا وأكثروحدة في الموضوع رغم أن تاريخهما واحد. وفيها يتحدث الشاعر فالميكى عن الملك راما ومعركته مع الشيطان رفانا. وكان الشيطان قد سرق زوجة راما، واسمها سيتا واعتقلها في لانكا وهي الآن سريلانكا.

وهى الملحمة الثانية (مآثرة راما) أقصر (٢٤ ألف مجموعة بيتين) وأكثر وحدوية .([2])

البيورانا : وبعد هاتين القصيدتين الملحمتين التاريخيين، تأتي النصوص المسماة بيورانا أي المعرفة التقليدية، وهي المجموعة التالية الكبرى للمعرفة التقليدية للهندوسية والحوارالدينى. والبيورانا الرئيسية هي ١٨ مجموعة موسوعية للقصص والأساطير وقد جمعت بين القرنين السادس

[1] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ١٢- ١٤

[2] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص١٨

والحادي عشر الميلاديين وأقدم بيورانا اسمها هاريفامشا ٣٤ أي سلسلة نسب هاري، وتعد هذه أول النصوص التى أتت بسرد مفصل للإله كريشنا وهو إله قطيع البقر. ولكن جاء فى كتاب" لوسينت " أقدم بيورانا والموثوق بها يقال لها متسى بيورانا.([1])

المسرحية

المسرحية في الهند قديمة قدم الفيدات، بوجه من الوجوه، ذلك لأن بذورها الأولى موجودة في كتب "يوبانشاد" ولاشك أن للمسرحية بداية اقدم من هذه الكتب المقدسة، بداية أكثر فاعلية من ذلك – وأعني بها الاحتفالات والمواكب الدينية التي كانت تقام للقرابين وأعياد الطقوس، وكان للمسرحية مصدر ثالث غير هذين، وهو الرقص – فلم يكن الرقص مجرد وسيلة لإخراج الطاقة المدخرة، وأبعد من ذلك عن الحقيقة أن نقول إنه كان يدير للعملية الجنسية، لكنه كان شعيرة جدية يقصد بها أن يحاكي ويوحي بالأعمال والحوادث الحيوية بالنسبة للقبيلة، وربما التمسنا مصدرا رابعا للمسرحية وهو تلاوة شعر الملاحم تلاوة علنية تدبّ فيها الحياة، فهذه العوامل كلها تعاونت على تكوين المسرح الهندي، وطبعته بطابع ديني ظل عالقا به خلال العصر القديم كله من حيث بناء المسرحية ذاتها، ومصادر موضوعاتها الفيدية والملحمية، والمقدمة التي كانت تتلى دائما قبل البدء في التمثيل استنزالا للبركة.

وأقدم ما يبقى لنا من المسرحيات الهندية مخطوطات أوراق النخيل التي كشف عنها حديثا في التركستان الصينية، وبينها ثلاث مسرحيات، تذكر إحداها أن اسم مؤلفها هو " اشفاغوشا" العالم اللاهوتي في بلاط "كانشكا" لكن القالب الفني لهذه المسرحية، والشبه الذي بين شخصية " المضحك" فيها

[1] لسُنيل كمارسنغ، لسينت پبلكيشن دى.إين. داس لين, بنغالى اخارا، بتنا، ص ١Lucent’sسمان غيان

وبين النمط الذي عرفناه لمثل هذه الشخصية في المسرح الهندي على مر العصور، قد يدلان على أن المسرحية كانت قائمة بالفعل في الهند قبل مولد " اشفاغوشا" وحدث في سنة ١٩١٠ أن وجدت في " ترافانكور" ثلاث عشرة مسرحية سنسكرتية، تنسب في شيء من الشك إلى " بهازا" (حوالى سنة ٣٥٠ ميلادية) وهو في الأدب المسرحي سلف ظفر بكثير من التكريم من " كاليداسا" ففي مقدمة روايته " مالافيكا" توضيح جيد لنسبية الزمن والصفات ، أثبته (أي كاليداسا) في تلك المقدمة عن غير وعي منه، فتراه يسأل : " هل يليق بنا أن نهمل مؤلفات رجال مشهورين مثل "بهازا" و"ساوميلا" ,كافيبوترا"؟ هل يمكن للنظارة أن يحسوا بأقل احترام لما ينشئه شاعر حديث يسمى كاليداسا؟" ([1]).

ويقول الدكتورغوستاف لوبون : ونذكر من الروايات الهندوسية التمثيلية الكثيرة المعروفة في أوربة ماوضعه كالياس الذي يُفترض أنه عاش في القرن السادس من الميلاد ، ونعُدّ من رواياته (السحاب الرسول ، وأصل الإله الفتى ، وغرام بطل بأوروَشي ، الخ) ، وأشهر رواياته على الإطلاق هي رواية " شَكُنْ تلا " التي تُرجِمت إلى أكثر من عشر لغات والتي تجد لها عدّة تراجم فرنسية ، فأعجب بها غوته ولامارتين وغيرهما من أعاظم الكتاب ، وذلك في زمن خيِّل فيه أن اكتشاف الآداب السنسكريتية فتح للإنسان آفاقا جديدة ، وعلى مانراه من عدم استحقاق تلك الرواية لِما مُدحت به في البداءة نجد أن محاسن كتاب الهندوس تجلت فيها أكثر من تجلِّي مساوئهم ، فهي ، على العموم ، أكثر من غيرها بساطة وأقرب إلى

[1] ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمـــود ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، ص:٣٠٩-٣١٠

الصواب وأقلّ مبالغة ، وموضوعها إنساني مؤثر وأبطالها بعيدون من التعمل ، والكلام فيها مُوجَز وتكاد تخلو من التعسف والمجاز ، وفيها بعض فصول عاطفية رائعة ([1]).

وإلى عهد قريب كانت أقدم مسرحية هندية معروفة للباحثين العلميين هى " عروبة الطين " ، وفى النص – الذى ليس تصديقه حتما علينا- ذكرلاسم مؤلفيها، وهورجل مغمور معروف باسم" الملك شودراكا " يوصف بأنه خبير بكتب الفيدا وبالرياضة وترويض الفيلة وفن الحب ومهما يكن من أمر فقد كان خبيرا بالمسرح، ومسرحية هذه أمتع ماجاءنا من الهند، ليس فى ذالك سبيل إلى شك فهي مزيج- يدل على براعة- من الغناء والفكاهة، وفيها فقرات رائعة لها ما للشعرمن حرارة وخصائص ([2]).

وفي كتاب " الهند الشقيقة " في قصور وهياكل الهند القديمة كانت المسرحيات السنسكريتية تعرض للترويح عن أفراد البلاط الملكي وعن أفراد الشعب على السواء وأقدم صورالفن الدرامي ، بل وأكثرها تطورا في الهند كان الرقص الدرامي الذى فسرت فيه النظريات والآراء الفلسفية والصوفية عن طريق الغناء والرقص ، وتعني كلمتا ((ناتيا)) و ((ناتاكا)) السنسكريتيتين ((الدراما)) وقد جاءتا من كلمة ((نريتيا)) أى الرقص ولما كان الرقص بهذا الانضاج يعتبر جزءا وعنصرا من الدراما فإن الغناء والموسيقي قد أضافا الكثير إلى الوضع والإعداد للمسرحية ([3]).

---

[1] الدكتور غوستاف لوبون ، حضارات الهند ،نقله إلى العربية عادل زعتير، الطبعة الأولى – القاهرة : دارالعالم العربي، ٢٠٠٩، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤

[2] ول ديورانت ، قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمـــود ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، ص ٣١٠

[3] محمد عبد الفتاح إبراهيم ، الهند الشقيقة ، عدد خاص بمناسبة زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للهند الشقيقة، والمطبعة وسنة الطباعة معدومتان ، ص ٩٠

القصص القصيرة

القصة القصيرة لها بداية كبداية الإنسان وقِدَمها كمثل قِدمه بما أنه لما فتح عينيه في الدنيا وأخذ بالنموّ والازدهار إلى جانب تنمية قوة التفكر والتفهم والتخيل و بروز العواطف ، شرع في تاليف القصص حتى المستطاع للتعبير عن أفكاره وأفهامه وخِيلانه بالصوت الذي تتألف منه الكلمات .

كما جاء في كتاب " قصص عصرية من الهند " القصة القصيرة قديمة قدم الإنسان نفسه ، ومن المحقق أن ظهورها في العالم كان سابقا على اكتشاف الكتابة ، لقد ألف الناس الأقاصيص منذ استطاعوا التعبير عن أفكارهم وعواطفهم بالصوت الذي تتألف منه الكلمات ، وكانت صورتها الأولى زخرفا للحوادث التي مر بها الإنسان في تجاربه ، وكانت تلك الخطوة قريبة مما تلاها من التعبير عن الحوادث المتخيلة ، وكان الغرض الأول من تأليفها الترفيه والتهذيب لا للصغار وحدهم بل للكبار معهم ، وسرعان ماأصبح تأليفها لإزجاء أوقات الفراغ للرجال وللنساء على حد سواء([1]).

إن القصص القصيرة ليست بجديدة في الأدب السنسكريتي، وكتاب "بنج تنترا" مثال حي لانتشار هذا الفن في الآداب الهندية القديمة. ولكن نظرا للشكل الحديث الذي يمتاز به اليوم، قد صارت السنسكريتية مدينة للآداب الغربية، ومنذ انبثق فجر العصر الحديث بدأت القصص القصيرة بأساليبها

[1] قصص عصرية من الهند (١٥ أقصوصة بخمس عشرة لغة هندية) نقلها من الإنجليزية إلى العربية خليل جرجس خليل، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م ، ص ٥ (من المقدمة)

الحديثة ومواضيعها العصرية تأخذ مكانة مرموقة في الأدب السنسكريتي وفي مسابقات القصص القصيرة المعقودة في "ناكبور" و "مدراس" وغيرهما، ساهم الكتّاب السنسكريتيون مساهمة فعالة تتفق التطور الحديث. ولعبت الحكايات والقصص الشعبية دورا هاما في العهود الماضية في الهند، في سبيل شحذ الهمم وإثارة المواهب الكامنة في الإنسان.([1])

وجاء في "آداب الهند" قصص بانتشاتانترا (كليلة ودمنة) ، نثرية، مع أبيات وعظية. أبطالها معظمهم حيوانات تمتزج بالبشر: ابن آوى، وزير الأسد، يلعب دور الثعلب في خرافات الغرب. أسلوبها سلس وسهل. دخلت هذه المجموعات في الغرب مجهولة، مترجمة عن السنسكريتية، أقدمها في الفهلوية من القرن السادس. ثم انطلقت منها ترجمات إلى مختلف اللغات الأوروبية القديمة والمعاصرة، وإلى لغات الشرق الأدنى، وانطلقت من السنسكريتية أو الهندية الوسيطة ترجمات إلى آسيا الشرقية أو الجنوبية. وبلغ مجموع ذلك ٢٠٠ في٦٠ لغة، وهي أوسع انتشار بعد التوراة.

دورة بريهات كاثا

أقدم كتاب قصص: بريهات كاثا (القصة الكبيرة) المنسوب إلى غوناذيا شبه الأسطوري، كتبه بالعامية السنسكريتية وضاع، ويرجح وضعه فى القرن الميلادى الأول. وله تنقيحات كثيرة، أهمهاكاثا ساريتساغارا (أوقيانوس ساقية القصص) من وضع سومااديفا الكشميري من القرن الحادي عشر. وهى سلسلة ثلاثمئة وخمسين قصة منظومة بالسنسكريتية، ومتشبعة

[1] الدكتور محي الدين الألوائي ، الأدب الهندي المعاصر ، دارالعلم للطباعة – القاهرة ، الطبعـــة الأولى ١٩٧٢ م ،ص ٣٠ – ٣١

التوسيع بطلها أمير بلاد الفاتساس يدور باحثا عن زوجته التى خطفها مجهول، حتى يجدها فى آخر الكتاب بعد سلسلة أحداث متراكمة ، ومن أهم ما روى سومااديفا قصص " ٢٥ قصة من الهامة.([1])

المـــوسيقى

بعد العثور على الموسيقي الهندية مدى ما أمكن لي الوصول أنها هي فن كائن حي من الفنون الهندية ولها أهمية بالغة منذ العصور الضاربة الجذور في القدم ولها سمعة باهرة في الهند وخارجها من البلاد النائية في تنوع أساليبها واتجاهاتها ويمكن مقارنة الموسيقي الصينية والموسيقي المصرية القديمة بالموسيقي الهندية ولها صبغة متميزة لم تظهر في أىّ فنون من الفنون الهندية كما يلي .

ورد في كتاب " **الهند الشقيقة** " والموسيقي الصينية والموسيقي المصرية القديمة هما وحدهما الذان لهما تقاليد يمكن معها أن تقارنا بالموسيقي الهندية التي عاشت في الهند كفن حي لنحو ثلاثة آلاف عام .

والواقع أنه كان للموسيقي في الهند شأن كبير منذعصور مغرقة في القدم ، وقدتعددت أساليبها واتجاهاتها حتى ليوجد في الهند لكل فصل من فصول السنة موسيقاه المتميزة وتشتمل الموسيقي الهندية على مجموعة من مختلف الأنغام والألحان والسلالم الموسيقية والتعبيرات والدوافع . وتعتبر الموسيقي الهندية على النغمات وتغيير المقامات ([2]).

---

[1] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٣٥ – ٣٦ - ٣٧

[2] محمد عبد الفتاح إبراهيم ، الهند الشقيقة ، عدد خاص بمناسبة زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للهند الشقيقة، والمطبعة وسنة الطباعة معدومتان ، ص ٨٨ ، ٨٩

تمتاز الحضارة الهندية بروح الانجذاب والامتزاج ولم تظهر هذه الصبغة المميزة في أي من الفنون أكثر مما ظهرت في الموسيقى، وإن اختلاط ألحان الموسيقى الهندية الكلاسيكية بألحان الموسيقي الفارسية أدى إلى ازدهار نوع خاص من الموسيقى التي تتميز محاسن كلا اللحنين. وأنواع الموسيقى في الهند متعددة متشعبة، وكذلك الآلات الموسيقية, وأما ألحانها فهي تعد بمثابة مضرب الأمثال في الجودة والإيقاع الموسيقي.([1])

للموسيقي في الهند تاريخ يمتد ثلاثة آلاف عام على أقل تقدير، فالترنيم الفيدية – مثلها مثل الشعر الهندي كله – إنما نظمت لتنشد، ولم يكن في الطقوس القديمة فرق بين الشعر والغناء ، والموسيقي والرقص، فكل هذه عندها فن واحد، وإن الرقص الهندي ليبدو لعين الغربي اللامعة بالشهرة، شهوانيا فاجرا، كما يبدو الرقص الغربي للهنود شهوانيا فاجرا، كان هذا الرقص الهندي خلال الشطر الأعظم من التاريخ الهندي، لونا من ألوان العبادة، وعرضا لجمال الحركة و التوقيع تكريما وإجلالا للآلهة ([2]) .

ولاتزال بعض الآلات الموسيقية الوترية التي كانت تستعمل في أقدم العصور شائعة في الهند حتى اليوم ، وفي مقدمتها السيتار ، والسارانجي ، والسارود ، والفينا، والطبول والدفوف المتعددة الأنواع المتباينة الأشكال والأحجام ، وتستعمل (الطبلة) الهندية في ضبط الإيقاع ([3]).

---

[2] الدكتور محيي الدين الألوائ ، الأدب الهندي المعاصر ، دارالعلم للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م ص١٥٣

[2] ول ديورانت ، قصة الحضار، الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمـــود ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، ترجمه د. زكي نجيب محمود، ص ٣٣٦

[3] هذه هى الهند ، مكتب الهند للنشر والاستعلامات . ومطابع دار الهلال بالقاهرة ، بغير ذكر اسم المصنف والمطبعـــة وسنة الطباعة ، ص ٥٦

وقد بدأت الموسيقى مرتبطة بالدين ، وفي فجر أيامها كانت الموسيقى الهندية تعزف في الفرقة الملكية فينصت السيد لنغمات الموسيقي وغنائه وكأنها استجابة لدافع داخلي ، أو أن تسمع الأغنية والموسيقي في هيكل ابتهالا من الموسيقي لله ([1]).

والموسيقى أعطت بعدة مؤلفين، عدة كتب متخصصة، أبرزها " سانجيتاراتناكارا " (مظهرطرف الموسيقى) وضعه شارنغاديفا (كشمير، القرن الثالث عشر.([2])

الـــرقـــص

قالت أمينة السعيدة : والرقص الهندي رائع كل الروعة ، ولكن يحتاج إلى تكرار مشاهدته ، حتى يتمكن من تقديره وفهمه . وهو فن دقيق صعب يتطلب مرانة طويلة ولذلك يتعلمونه في الصغر ليتقنوه في الشباب .

وعماد هذا الفن مرونة الحركات ، ولغة اليدين ، فكل لمحة أو تعبير تعني شيئا ، وكل حركة بالذراع أو الكف تدل على شيء آخر، ولابد أن يعرف المتفرج هذه اللغة ، ليتتبع الفلسفة أو القصة التي يدور الرقص حولها، والرجال كالنساء يرقصون في الهند ، ويحركون رقابهم ، وأيديهم ، وعيونهم ، وحواجبهم طبقا لقواعد تلك اللغة الصامتة ولأ ن الرقص في الهند فن رفيع ([3]).

---

[1] محمد عبد الفتاح إبراهيم ، الهند الشقيقة عدد خاص بمناسبة زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للهند الشـــقيقة، والمطبعة وسنة الطباعة معدومتان ص٨٩

[2] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٥٦

[3] أمينة السعيدة : مشاهدات في الهند ، دارالمعارف للطباعة والنشر بمصر ، أغسطس ١٩٦٤ ، ص ٣٣ ،٣٤

وللرقص مكانة خاصة بين مختلف ألوان الفن الهندي ، وهو مزيج من الحركات والنغم والأناشيد ، ويقدم الرقص تعبيرا كاملا عن الحياة الثقافية للشعب ، ولكن الفكرة الدينية كانت هي الدافع الأساسي وراء هذا كله.

ولم يعرف الناس ((الرقص)) في البداية منفصلا عن غيره كفن مستقل بل عرفوه كجزء من علاقة الإنسان بالله ، وجاء الرقص جزءا من تعاليم ((الفيدية)) Vedic ، وجاء مصحوبا بإنشاء التراتيل المقدسة في حفلات الزواج وتقديم الأضاحي [١].

وقد دخل الرقص في صميم الدين الآري منذ أقدم العصور ، وأصبح عنصرا هاما من عناصر الطقوس التي كانت تقدم بين الآلهة ، إذ كانت تغنى أناشيد الفيدا أثناء الطقوس وتعزف الموسيقى ويقدم الرقص . ونفس هذه الطقوس كانت تؤدي أثناء حفلات الزواج والمناسبات السارة الأخرى ، ثم انقطعت عذارى حسناوات طاهرات عفيفات لخدمة الآلهة في المعابد ، وأصبحن مثل الراهبات ، وكن يقدمن أنواعا من الرقص بين يدي الآلهة كعبادة ومناجاة .

إن الرقص الكلاسيكي الهندي يتميز بإيماءات تعبيرية رائعة تشترك فيها الأرجل بحركاتها الخفيفة والحثيثة في نظام ودقة وتتناوبها الخفقات والتبرات ويساهم الوجه والعيون وأصابع اليد بنفس الإشارات والإيماءات

[١] محمد عبد الفتاح إبراهيم : الهند الشقيقة عدد خاص بمناسبة زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للهند الشـــقيقة، والمطبعة وسنة الطباعة معدومتان ص ٨٦ ، ٨

تعبيرا عما تختلج به النفوس وتخفيه الصدور من الأحاسيس والمشاعر. وكل هذه الأمور تسير مع الإيقاعات الموسيقية الرائعة والنغمات الغنائية الجمالية.

لقد تمخض هذا الرقص التعبيري عن ظهور أربع مدارس :

(١) مدرسة بهارا ناتيام (Bharata Natyam) ومركزها "تانجور" بمدراس .

(٢) وكاتا كالي (Katha Kali) ومركزها مالا بار بكيرالا .

(٣) وكاتاك (Kathak) ومركزها شمال الهند .

(٤) ومانيبور ومركزها آسام في شرق الهند ([1]).

الـــروايـــة

هى الروايات السنسكريتية، بل ثمة قصص موسعة فى الأسلوب المتألق نفسه، كما الغناء. وأولاها جودة وسلاسة أسلوب، مما يشكل رائعة الأدب السنسكريتي، هى المنسوبة إلى داندان، من القرن السادس، وعنوانها (داشاكوماراتشاريتا) " حكاية عشرة شبان " عن كل بينهم، وهم أبناء ملوك أو وزراء، يروى مغامراته فى الشرق، تقليدا للمغامرات المروية فى الملاحم.

ثمة أيضا (فازافاداتا) الرواية التى كتبها سوباندو (القرن السابع) ولاقت فى الهند رواجاكثيرا. وفى هذه الفترة ظهرت أولى الكتابات الروائية ذات النفس الملحمي، شعرا أو نثرا. وأبرزها اليوم ، سومادیفازورى .

[1] الدكتور محمد اسماعيل الندوي ، الهند القديمة حضاراتها وديانانها ، دارالشعب ١٩٧٠ م ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩

والرواية بعد داندان، تتلخص بكتاب بانا شاعر بلاط الإمبراطور هارشا الذى كان- قبل الاجتياحات الإسلامية- آخر حاكم هندوسي.

الكتاب الأول (هارشاتشاريتا) " حكاية هارشا " عن سيرة سيده السلطان الحاكم، فى دقة وصفية وأمانة تاريخية.

الكتاب الثانى (كادامبارى) قصة تعتبرقمة الفن الهندي، وهى عن عشاق فرق بينهم القدر.

وكما الكتاب الأول، ثمة وصف للمدن والمناظر والأشخاص على مناخ من الحنان والخفة والرقة .([1])

الـــفلســـفة

إن قسما كبيرا من الأدب السنسكريتى، ذو طابع تفكري، وفى الأبحاث الفلسفية دخل علم القواعد وعلم الشعر والطب وسواها مع أن الأساس فى العقائد البراهمانية موجود فى ما يسمى (الدارشانا) " النظرات " التى تعنى المظاهر التي تتخذها المنهجية التفكيرية إزاء الهدف الأقصى لكل فلسفة الوصول إلى السلام .

و النظرات ستّ تحوي جميع المناهج المتصلبة، يضيف إليها بعضهم المشككين أو الماديين. وتكونت هذه النظرات فى السنوات الميلادية الأولى بشكل (سوترا) " حكم " تجمعت شفهية، ثم كتابية فى كتب ستة، لها تعليقات وشروح. وهى :

---

[1] لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنرى زغيب ، منشورات عويدات بيروت - باريس ، الطبعـــة الأولى، ١٩٨٩م ، ص ٣٨ ، ٣٩

١) ميمانسا الأولى (تفكر فى الفعل) وهو تيار أسسه جايميني، ضم حوالى ٢٧٠٠ حكمة
٢) فيدانتا (نهاية الفيدا) أو (الميمانسا الثانية) وهو استمرار للكتاب الأول، ووضع حكمه بادارايانا.
٣) السانخيا (المبدأ المرتكز على التعداد) وهى فلسفة ازدواجية ترتكزعلى البراكريتى(مادة وطبيعة) وعلى تعددية الأرواح .
٤) اليوغا (طريقة توحّد) استمدت هيكليتها الفلسفية من السانخيا وهي تقنية الوصول إلى السلطات الإنسانية فإلى السلطة الصوفية ، وهذه العقيدة نظمها ناتانجالي فى شكل حكم
٥) النيايا (القاعدة) ونصها الأساسي من وضع غوتاما فى منهجية تفكير، ومنطق أساسي يرتكز على قواعد تختلف كثيرا عن منطق أرسطو.
٦) الفايشيشيكا (مبدأ يرتكز على التخصيص) وهو يصف الفئات (المواد الأولى، الميزات) ويشق عقيدة واقعية ذات مناخ ذروية ، وتنسب حكمه إلى كانادا. وهو مزج النيايا والفايشيشيكا في إطار خاص ([1]).

العـــمـــارة

فن العمارة في الهند القديمة له شأن غير قليل وشأن بديع بعيد وجمال يضرب مثله كما يلمع في المعابد الشاهقة والأبنية ناطحة السحاب وهو يستهوي الأفئدة والقلوب لمن يزورها سواء يزورها من كل صوب قريب أو من كل فج عميق . كما قال الدكتور أحمد محمود الساداتي : وقد وصل فن العمارة في الهند القديمة إلى ذروة الرقي والجمال الذي تجلى في معابدها

[1] نفس المصدر ص ٤٦ إلى ٥٢

الرائعة وأبنيتها الفخمة فبهر أعين الرحالة والمؤرخين من الإغريق والصينيين والمسلمين الذين زاروا هذه البلاد واطلعوا على أحوالها ([1]).

الـــنحـــت

ولقد ورثت الهند عن الأجيال الماضية ثروة خالدة من روائع الفن في التصوير والنحت والحفر وغير ذلك من ضروب الفن ، ومن الأمثلة على ذلك تلك النقوش البارزة والمحفورة التي تزين حوائط الكهوف والمعابد ، وقواعد الأعمدة وتيجانها ، وكذلك تلك الصور المصغرة الدقيقة التى تسجل الطقوس الدينية المختلفة والعقائد السائدة ، وهى الصور التى استوحاها الفنانون في الهند القديمة من الإحساسات والمشاعر الإنسانية ([2]).

قال ول ديورانت : ليس في مقدورنا أن نتعقب مراحل النحت التاريخية في الهند بادئين بالتماثيل الصغرى التي وجدت في ((مهنجو – دارو)) منتهين بعصر ((أشوكا)) لكن يجوز لنا أن نشك في أن هذه الفجوة التي تعترض تطور تلك المراحل ، ليست فجوة في تقدم الفن نفسه بمقدار ماهي فجوة في علمنا به ، وربما أفقرت الغزوات الآرية الهند حينا من الدهر، فانتكست بفعل الفقر من الحجر إلى الخشب في صناعة تماثيلها ، أو ربما كان الآريون أكثر انصرافا إلى الحروب من أن يجدوا الفرصة للعناية بالفنون ، فأقدم التماثيل الحجرية التي بقيت لنا في الهند ، لايرجع إلى عهد أقدم من ((أشوكا)) لكن هذه التماثيل تدل على مهارة بلغت من الرقي حدا

---

[1] الدكتور أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتهم – الجزء الأول ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ص ٤٢

[2] هذه هى الهند ، مكتب الهند للنشر والاستعلامات . ومطابع دار الهلال بالقاهرة ، بغير ذكر اسم المصنف والمطبعة وسنة الطباعة ، ص ٥٤

رفيعا لايدع لنا مجالا للشك في أن الفن كان قبل ذلك آخذا في نموه عدة قرون ([1]).

وازدهر النحت – كما ازدهر كل شيء تقريبا في الهند – تحت حكم أسرة جوبتا ، وكانت البوذية عندئذ قد نسيت عداوتها لتصوير الأشخاص ، ونهضت البرهمية وقد تجدد نشاطها ، فشجعت الرمزية وزخرفة الدين بكل أنواع الفنون ، فنرى في متحف ((مأثور)) تمثالا حجريا لبوذا أتقنت صناعته ، بعينين تنمان عن تأمل عميق ، وشفتين حساستين ، وجسد بولغ في رشاقته ، و قدمين قبيحتين مستقيمتي الخطوط ، وترى في متحف ((سارنات)) تمثالا حجريا آخر لبوذا في جلسة القرفصاء التي كتب لها أن تسود النحت البوذي ، وفي هذا التمثال تصوير بارع لآثار التأمل الهادئ والرقة القلبية الصادرة عن ورع ، وفي ((كاراتشي)) تمثال برنزي صغير لبراهما ، يشبه صورة ((فولتير)) شبها واضحا .

فالتمثال الجميل الذى يصور ((فيشنو)) والذى جاء من سلطان بور ، وتمثال ((پادماپانى)) الذى أجيدت صناعته بأزميل الفنان ، وتمثال ((شيفا)) الضخم ذو الوجوه الثلاثة (الذى يسمى عادة تريمورتي) الذى نحت نحتا عميقا في كهوف ((إلفانتا)) والتمثال الحجري الذى تكاد تحسبه من ((پرا كسيتي)) والذى يعبده الناس في ((نوكاس)) باعتباره الآلهة ((روكميني)) و ((شيفا)) الراقص الرشيق – أوناتارچا – المصنوع من البرونز بأيدي

[1] ول ديو رانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ص ٣٥٠

الصناع الفنانين في تانچور وتمثال الغزال الجميل المنحوت من الحجر، وفي مالاپورم و((شيفا)) الوسيم في ((پرور)) هذه كلها شواهد على انتشار فن النحت في كل إقليم من أقاليم الهند ([1]).

ولقد امتد أثر هذا النوع من الفن من الهند إلى سيلان ، وبرما ، والملايو ، وسيام ، والهند الصينية ، واندونيسيا ، بل وإلى الصين واليابان([2]).

التصـــوير

إن التصوير له أهمية بالغة وقبولية متزايدة قبل فجرالتاريخ وستظل ما ظلت الحياة بين المجتمع والعامة ، وهو واسطة من وسائط الارتباط والاتصال فيما بين النسمات والأجيال .

في ضوء ماورد في كتاب " العملية الإبداعية في فن التصوير " ومن المؤكد أن التصوير يعتبر وسيلة من وسائل الاتصال الهامة وهو كذلك طريقة للأخبار و نقل وتراكم المعرفة عبر أجيال عديدة و متتالية . ويؤكد هذا حوليان ليفي J. Levi حين يقول : إن التصوير أحسن حالاته هو شكل من أشكال الاتصال ، فالمصور يحاول أن يحصل من خلاله على استجابة من الآخرين ([3]).

---

[1] وِل ديو رانت ، نفس المرجع ، ٣٥٦ ، ٣٥٨

[2] هذه هى الهند ، مكتب الهند للنشر والاستعلامات . ومطابع دار الهلال بالقاهرة ، بغير ذكر اسم المصنف والمطبعة وسنة الطباعة ، ص ٥٥

[3] د . شاكر عبد الحميد ، العملية الإبداعية في فن التصوير ، عالم المعرفة ١٠٩ ، يناير ١٩٨٧ م ، ص ١٥

بالرغم من أن التصوير الهندي له تاريخ طويل لارتباطه بالعقيدة الدينية ، إلا أن الصور الجدارية الهندية الموجودة قليلة لقدمها من جهة ، ولعدم ثبات موادها من جهة أخرى ، ومن أحسن الأمثلة تلك الصور الموجودة في كهوف أجانتا في ولاية حيدرآباد . وفيها نري أن الفنان الهندي قد غطى الجدران والسقوف بطبقة من الملاط الخشن وبعدها بطبقة من الجص الأبيض الناعم ثم رسم الفنان فوقها الأشخاص بالأحمر مع إضافة طبقة لونية تكون في العادة خضراء ثم أضيفت الألوان الأخرى واستعمل في تحديد الخطوط الخارجية اللون البني أو الأسود ، وقد استطاع الفنان المصور أن يعبر عن مواضعه بإبراز تعبيرات الوجوه وأوضاع الأجسام وحركات الأيد ([1]).

ويقول ول ديو رانت : ويتبين من الرسوم الحمراء التي نراها لبعض الحيوانات و لمطارة وحيد القرن ، على جدران الكهوف في سنجانپور و مرزاپور أن قد كان للتصوير الهندي تاريخ طال أمده عدة آلاف من السنين ، وتكثر لوحات لمصورين (التي يضعون عليها ألوانهم) بين آثار العهد الحجري الجديد في الهند ، مستعدة للاستعمال بما لايزال عليها بقايا الألوان.

وأقدم صورة هندية يمكن تحقيق تاريخها ، مجموعة من الزخارف الجدارية البوذية (حوالي ١٠٠ قبل الميلاد) وجدت على جدران كهف في ((سرجيا)) في المقاطعات الوسطى ، ومنذ ذلك الحين جعل فن التصوير الجداري – أعني به تصويرا يرسم على معجون طري قبل أن يجف –

[1] أ. د.عبد اللطيف سلمان ، الدرس السادس (الفن الهندي) من تاريخ الفن والتصميم ، ص ١٢٥ ، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا ، عنونه : http://iust.edu.sy/courses/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%20%

يتقدم خطوة وخطوة ، حتى بلغ على جدر كهف ((أجانتا) درجة من الكمال لم يجاوزها أحد بعد ([1]).

المصادر والمراجع

- محيئ الدين الألوائ ، الأدب الهندي المعاصر ، دارالعلم للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م
- *ول ديورانت ، الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م .*
- لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات – بيروت – باريس ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م
- ثقافة الهند ، المجلد ٦١ ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية – دلهي الجديدة .
- Jean – Charles Sournia ، تا ريخ الطب ، مطابع السياسة – الكويت ، صفر ١٤٢٣ – ما يو ٢٠٠٢ م .
- العلامة أبو الريحان محمد البيرونى ، كتاب فى تحقيق ما للهند ، دائرة المعارف العثمانية ، بحيدرآ باد ، الهند ١٣٧٧هج – ١٩٥٨م .
- الدكتور محيي الدين الألوائي ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، دارالقلم – دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م .
- الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، مكتبة الرُشد ناشرون ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م ، المملكة العربية السعودية – الرياض .
- *الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هجـ ، الملل والنحل ، الجزء الثالث ، تصحيح وتعليق للأستاذ أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .*
- سُنيل كمارسنغ، Lucent’sسمانى غيان لسينت پبلكيشن دى.إين. داس لين, بنغالى اخارا، پٹنا .

[1] ول ديو رانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الأول ، الهند وجيرانها ، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، الطَبعة الثالثة ١٩٦٨ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١

- الدكتورأحمد شبلي ، أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ٢٠٠٠ م .
- الدكتور غوستاف لوبون ، حضارات الهند ،نقله إلى العربية عادل زعتير، الطبعة الأولى – القاهرة : دارالعالم العربي ، ٢٠٠٩ .
- محمد عبد الفتاح إبراهيم ، الهند الشقيقة ، عدد خاص بمناسبة زيارة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للهند الشقيقة ، والمطبعة وسنة الطباعة معدومتان .
- قصص عصرية من الهند (١٥ أقصوصة بخمس عشرة لغة هندية) نقلها من الإنجليزية إلى العربية خليل جرجس خليل ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .
- هذه هى الهند ، مكتب الهند للنشر والاستعلامات . ومطابع دار الهلال بالقاهرة ، بغير ذكر اسم المصنف والمطبعة وسنة الطباعة .
- أمينة السعيدة : مشاهدات في الهند ، دارالمعارف للطباعة والنشر بمصر ، أغسطس ١٩٦٤ .
- الدكتور محمد إسماعيل الندوي ،الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، دارالشعب ١٩٧٠ م.
- الدكتور أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتهم – الجزء الأول ، مكتبة الآداب – القاهرة .
- د . شاكر عبد الحميد ، العملية الإبداعية في فن التصوير ، عالم المعرفة ١٠٩ ، يناير ١٩٨٧.
- أ. د.عبد اللطيف سلمان ، الدرس السادس (الفن الهندي) من تاريخ الفن والتصميم ، ص ١٢٥ ، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا . عنوانه على مايلي : http://iust.edu.sy/courses/%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%20%

***

عبقرية سماحة الشيخ سيد ابراهيم الأديب ولاميته الدكنية

محمد شاكر رضا*

توطئة :

كان العرب يسمون القصائد كما سموا الجبال والأودية وموارد الماء ... فكأنما كانت هذه القصائد معالم كبرى في الشعر العربي تسمى لتذكر وتخلد ، وكأن التسمية نوع من الحكم عليها إذ أنها تمييز لنباهة ذكرها وإشادة وتعريف بها .

وكان من طرقهم في تسمية القصائد ، تسميتها بأسماء المطالع كقصيدة: "قفا نبك" و"بانت سعاد" ، ولعل هذه الطريقة أتت لهم من قولهم : أنشدني القصيدة التي مطلعها كذا حتى أصبح المطلع علما تُسمى به القصيدة.

وكما اهتموا بالمطالع اهتموا بالقوافي بل إن اهتمامهم بها أكثر ، يقول ابن جني : " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع وفي السجع كمثل ذلك ، نعم وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمس والحشد عليها أوفي وأهم ([1]) . وقد سموا قصائدهم بحروف قوافيها .

---

* باحث الأدب العربي بجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد

[1] - الخصائص لابن جني ج ٢ ص ٨٤

واللاميات والميميات والرائيات وغيرها أسماء أطلقت على القصائد أخذا من قوافيها. واللاميات من أكثرها ويشاركها هذه الكثرة الرائيات والميميات والنونيات والداليات والسينيات والعينيات ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة دوران هذه الحروف على الألسنة .

إلا أن اللاميات قد حظيت بما لم يحظ به غيرها من القصائد . ومن أشهر اللاميات في الشعر العربي لامية امرئ القيس التي مطلعها :

أ لا عِم صباحا أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العُصر الخالي

ولامية النابغة، ولامية أحيحه بن الجُلاح، ولامية عنترة، ولامية عدي بن وداع، ولامية النمر بن تولب، ولامية زهير، ولامية حسان بن ثابت رضي الله عنه، ولامية القُطامي، ولامية عبيد الراعي، ولامية عبدة بن الطبيب، ولامية ضابئ بن الحارث، ولامية السموءل، ولامية بشامة بن عمرو، ولامية عبد قيس بن خفاف ، ولامية امرئ القيس بن جبلة السكوني، ولامية المُزرد، ولامية ابن الوردي ، وأخيرا لامية العرب للشنفرى .

خلفية عن لامية العرب :

ذهب الجمهور إلى أن صاحب لامية العرب هو الشنفرى . وهو ثابت بن أوس بن الحجر الأزدي الملقب بالشنفرى ، توفي عام ٧٠ قبل الهجرة (٥٢٥م)، وهو صعلوك جاهلي مشهور من قبيلة الأزد اليمنية، ويعني اسمه (غليظ الشفاه) ويدل على أن دماء حبشية كانت تجري فيه. نشأ في قبيلة "فهم " بعد أن تحولت إليها أمه وقتلت الأزد والده، ويرجح أنه خص بغزواته بني سلامان الأزديين ثأراً لوالده وانتقاما منهم، وكان الشنفرى

سريع العدو لا تدركه الخيل حتى قيل" :أعدى من الشنفرى"، وكان يغير على أعدائه من بني سلامان برفقة صعلوك فتّاك هو تأبط شراً وهو الذي علمه الصعلكة، وقد عاش الشنفرى في البراري والجبال وحيداً حتى ظفر به أعداؤه فقتلوه قبل ٧٠ عاما من الهجرة النبوية.

ولا ريب أن العوامل البيئية والاجتماعية قد أثرت على الشنفرى وبرز ذلك واضحا في شعره فضلا عن لاميته، تلك القصيدة التي تبدو فيها ملامح الصعلكة من ثورة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت في بيئته آنذاك، والغربة التي يشعر بها كل صعلوك عاش في بيئته، كما نجد فيها مفاخرته بنفسه وبأخلاقه وشجاعته.

يصور الشاعر في لاميته تصوير حياة الصعاليك العرب تصويرا دقيقا . ومن أجل ذلك صارت القصيدة أثرا من آثار الجاهلية على العموم ومن الشعراء الصعاليك على الخصوص .

لقد لقيت لامية العرب من العناية ما لم تلقه قصيدة أخرى . فلها من الشروح – كما ورد في فهرس دار الكتب المصرية – أكثر من عشرين شرحا .

ويكفيك ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عن هذه القصيدة : علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق ([1]) .

ولاشك في أنه قد جمعت لامية العرب المعاني الفخمة التي تُقَوّمُ بها حياة الإنسان ويحكم عليه من خلالها بسعة الخلق أو ضيقه كالغنى والفقر والجوع والصبر ... وبهذا سميت لامية العرب دون سواها .

[1] - الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، للصفدي ج ١ ص ٢٧ .

وإليك عدة أبيات أولى من لامية العرب :

أقيموا بني أمي ، صدورَ مَطِيكم

فإني ، إلى قومٍ سِواكم لأميلُ!

فقد حمت الحاجاتُ ، والليلُ مقمرٌ

وشُدت ، لِطياتٍ ، مطايا وأرحُلُ؛

وفي الأرض مَنْأىً ، للكريم ، عن الأذى

وفيها ، لمن خاف القِلى ، مُتعزَّلُ

لَعَمْرُكَ ، ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ

سَرَى راغباً أو راهباً ، وهو يعقلُ

ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِيْدٌ عَمَلَّسٌ

وأرقطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جيألُ

هُـــمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّـــرِّ ذَائِـــع

لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْـــذَلُ(١)

هذا ، ونرى عزة النفس لدى الشنفرى أنه إذا جار عليه أهله لم يتذلل، بل يدعهم ، لأن الأرض واسعة في وجه الكريم ، يؤثر سكنى البراري مع الوحوش ، لأن الوحوش أفضل من الأهل ، تحفظ السر ، ولا تخذل الجاني. يفضل الوحوش على الناس ويفضل نفسه على تلك الوحوش : وهو يفترش الأرض ويستغني عن الجميع بقلب مشيع وسيف صقيل وقوس طويلة .

١ - ديوان الشنفرى - دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٩٦.

وهذه اللامية للشنفري تبلغ ثمانية وستين بيتا ، يمثل الشاعر فيها وصف حياة الصعاليك وصفا رائعا كاملا . وحيث تدور هذه القصيدة حول الصعاليك ومواصفاتهم ، ينبغي لنا أن نقوم هنا بتعريف موجز للصعاليك .

من هم الصعاليك ؟

الصعلكة - لغةً- مأخوذة من قوله : "تصعلكت الإبل" إذاخرجت أوبارها وانجردت. ومن هذا الأصل اللغوي أصبح الصعلوك هو الفقير الذي تجرد من المال، وانسلخ من جلده الآدمي ودخل في جلد الوحوش الضارية !

والصعاليك – مصطلحاً - قوم من العرب طردتهم قبائلهم فلم تفتح لهم ذراعيها، إما بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها مثل حاجز الأزدي وقيس الحدادية ، أو من أبناءالحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً والشنفرى.

وقد حدد الدكتور شوقي ضيف معنى "الصعلوك" لغة بأنه "الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة"، مؤكداً أن هذه اللفظة تجاوزت دلالاتها اللغوية وأخذت معاني أخرى كقطّاع الطرق الذين يقومون بعمليات السلب والنهب .

وقسّم الصعاليك إلى ثلاثة أقسام :

١ - فئة الخلعاء الشذاذ وهم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها مثل حاجز الأزدي وقيس الحدادية.

٢ - فئة أبناءالحبشيات السود ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل السليك بن السلكة وتأبط شراً والشنفرى .

٣ - فئة ليست من الخلعاء ولا أبناء الإماء الحبشيات، بل هي مجموعة احترفت الصعلكة احترافا وحولتها إلى ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها، وقد يكونون أفرادا مثل عروة بن الورد سيد الصعاليك ، وقد يكونون قبائل مثل قبيلتي هذيل وفهم ([1]).

ونجد في أشعار هؤلاء الصعاليك ترديد صيحات الفقر والجوع والحرمان، كما كانوا ناقمين وثائرين على الأغنياء والأشحاء، وامتازوا بالشجاعة والصبر وقوة البأس والمضاء وسرعة العدو، وقد ضرب بهم المثل في شدة العدو حتى قيل: "أعدى من السليك" و"أعدى من الشنفرى" .

وكانت غاراتهم تتركز في المناطق الخصبة، وترصد قوافل التجارة وقوافل الحجاج القاصدة مكة المكرمة، وكثيرا ما تغنّوا بكرمهم وبرّهم بأقاربهم؛ لأن ما يحصلون عليه كان يوزع على الأهل والأقارب المحتاجين، كما اتسمت لغتهم الشعرية بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة ([2]).

ومن أشهر الصعاليك عروة بن الورد، والسليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى، والحارث بن ظالم المري، وقيس بن الحدادية، وحاجز بن عوف الأزدي، وأبو منازل السعدي، والخطيم بن نويرة وقد عاش في صدر الإسلام وربما أدرك أوائل العصر الأموي، والقتال الكلابي فضالة بن شريك

[1] - سلسلة تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص ٣٧٥.

[2] - السابق نفسه .

الأسدي، وصخر الغي من هذيل توفي في صدر الإسلام، والأعلم الهذلي وهو أخو الشاعر الصعلوك صخر الغي وقد عاش حتى عصر صدر الإسلام، وحماد الراوية .

قيمة لامية العرب الأدبية :

تعد لامية العرب من عيون الشعر العربي التي احتفل بها النقد قديما وحديثا ، وتنافس على شرحها اللغويون والرواة كالمبرد وثعلب والتبريزي والزمخشري والعكبري ...

ولم تقتصر العناية بها على القدماء بل تجاوزتهم إلى المعاصرين فترجمها المستشرقون إلى عدة لغات أوربية ، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية كما ترجمت إلى اللغة البولندية ، وتنم أقوالهم فيها عن إعجاب بالغ من ذلك ما قاله المستشرق كرنكو : هي من أجمل آيات الشعر العربي([1]) .

ولايقتصر تاريخ لامية العرب على ما كتب حولها من دراسات بل يمتد ليشمل ما أعقبها من لاميات نسبت للأمم الأخرى وهي لامية العجم ولامية الهند ولامية الدكن ولامية الأتراك ولامية الروم .

ومما يجدر بالذكر هنا أن هذه اللامية سارت بين العرب ولم يشك أحد من العلماء الأوائل في نسبتها للشنفري ، حتى جاء القالي و أتى بخبر في سياق الحديث عن خلف الأحمر مما جعل الناس يرتابون في نسبة لامية العرب إلى الشنفرى فقال في أماليه : كان أبو محرز أعلم الناس بالشعر

[1] - دائرة المعارف الإسلامية ج ١٣ص ٣٩٥.

واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب . حدثني أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم

فإني إلى قوم سواكم لأميل

له، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية ([1]) . قال العلماء : إن خبر القالي هذا خبر مفرد ، وان ابن دريد لم يذكر ذلك في كتبه ولا يعرف لهذه الرواية سندا . ومع ذلك فقد تشبث المتأخرون – أمثال كرنكو وبلاشير ، ويوسف خليف بهذا الخبر ، فراحوا يتهمون خلفا بصنع القصيدة ويسوقون الأدلة التي تؤكد زعمهم .

وتختلف هذه القصيدة في بنيتها عن مثل ما ذكره ابن قتيبة عن القصائد الجاهلية الأخرى التي تبدأ بالنسيب وذكر الديار ثم تنتقل إلى الغرض الذي من أجله قيلت ، ولعل هذا كان من دواعي الشك في نسبة القصيدة للشنفرى وعزوها لخلف الأحمر .

هذا، وتاريخ لامية العرب يمتد إلى اللاميات التي نسبت للأمم الأخرى وهي : "لامية العجم" لمؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن على الأصبهاني المعروف بالطغرائي . وقد أخذت هذه اللامية ما تستحقه من الاهتمام فوصلت شروحها إلى ما يقرب من خمسة عشر ، وأعظمها على الإطلاق " الغيث المسجم في شرح لامية العجم " للصفدي .

ولامية الهند للقاضي عبد المقتدر الكندي . وقد نشرت في كتاب "نزهة الخواطر" لعبد الحي الحسني ثم نشرت في مجلة ثقافة الهند .

[1] - الأمالي _ لأبي علي القالي ، ج ١ ص ١٥٦

ولامية الأتراك لعبد اللطيف الناصري ، ومنها نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٩١) .

ولامية الروم لمحمد بن الحنفي الحلبي ، وقد شرحها حسين رستم الشهير بباشا زادة ، وشرحه لايزال مخطوطا بدار الكتب المصرية أيضا رقم (٨٨م) .

ولامية الدكن ، لمولانا سيد ابراهيم الرضوي . وسنقوم بتعريفها وتعريف المؤلف بشكل موجز في الصفحات الآتية .

وقد نسبت هذه اللاميات للأمم في مقابل نسبة لامية العرب للعرب ، قال الصفدي : وأما هذه القصيدة اللامية فإنما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها ، ولامية العرب هي التي قالها الشنفري ومطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم

فإني إلى قوم سواكم أميل

..... وحسبك أن الناس قالوا في هذه القصيدة : إنها لامية العجم في نظير تلك ، بمعنى إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثال والحكم فإن للعجم لامية مثلها تناظرها ([1]) وكلام الصفدي يصدق على بقية اللاميات .

مولانا سيد إبراهيم الأديب الرضوي:

لايسع هذا المقال المتواضع ليحيط أدب مولانا السيد الواسع العميق ، الذي يتجلى فيه فكره الأدبي الرباني . كان ممدوحنا رجل دين وأدب

[1] - الغيث المسجم في شرح لامية العجم ج ١ ص ٢٧ .

واجتماع وفلسفة ومنطق وتاريخ وأخبار وتصوف وزهد . وكان شاعرا بليغا ، مرهف الحس ، بعيد الأثر في النفس ، فقد نهل الشعر العربي وعلّ وشرب كأسه حتى الثمالة ، إلى أن تفرد في عصره ومصره بالإيغال فيه ، والغوص على أسراره.

يقول الدكتور محمد عبد الستار خان رئيس القسم العربي بالجامعة العثمانية سابقا عنه : (هو) ألمع جوهرة في تاج الأدب العربي في الدكن ومحيي الشعر الجاهلي بقريضه الممتاز في الزمن . لقد بنى صروحا من المجد بأبياته الخالدات وآياته البينات . فكم له من نفثات دونهن السحر ، وكم له من وقفات ووثبات عاد على قضيتها بجميل الأثر وطيب الذكر(١) .

مولده ونشأته : ولد سيد ابراهيم بن سيد حيدر بن سيد عباس بن سيد على بن سيد عبد القادر المعروف بقادر باشاه بقرية ميسرم من قرى ابراهيم بتن مديرية حيدرآباد سنة ١٢٩٥هـ ونشأ بها ، وترعرع في أحضان العلم والدين .وكان أبوه عالما ورعا ، ومدرسا في مدرسة نظم الجمعية العسكرية فقرأ عليه وعلى غيره من مدرسي المدرسة الكتبَ الدراسية الابتدائية والقرآن الكريم .

وبعد التعليم الابتدائي الإعدادي دخل المدرسة النظامية العريقة وأخذ العلوم والفنون من المنقول والمعقول عن أساتذتها الأجلاء ، واستفاد فيها من كبار العلماء . فنبغ في الأدب العربي كما برع في التفسير ، والحديث والكلام ، والفلسفة ، والتاريخ ، والتصوف والفقه . وكان حنفيا ، وصوفيا

---

١ - شعراء الدولة الآصفية لـ الدكتور محمد عبد الستار ص ٦٩ ، أصدره الدكتور محمد عبد الحليم محمود عميد جامعة الأزهر بالقاهرة أثناء زيارته حيدرآباد سنة ١٩٧٥ م .

كبيرا ، وشاعرا مجيدا . وكان أحد فحول الشعراء بالدولة الآصفية العثمانية.

نشأ الأديب الأريب في الجامعة النظامية واستفاد من بيئتها العلمية والأدبية والثقافية ، وله ولع عظيم في اكتساب المعارف والأسرار ، قد متعه الله المواهب العالية من الحفظ والضبط والإدراك والفطانة والشرف والديانة والصدق والأمانة .

وتولى التدريس بالجامعة النظامية في البداية ، ثم تصدى للتدريس في دار العلوم بحيدرآباد ، درس فيها اللغة العربية وآدابها بكل جهد وحماسة ونشاط ، فذاع صيته في الأوساط العلمية في البحث والدراسة . كان يذهب إليه الطلاب فيدرسهم في منزله أيضا . وله طول باع وتضلع في الأدب العربي ، وعلى وجه الأخص في علوم البلاغة والشعر. كان ينتقد الكلام والشعر (١) .

لما كان الشيخ متضلعا في اللغة العربية وآدابها استقدمته الجامعة العثمانية من حيث الأستاذ للغة العربية في القسم العربي ، ولانتقائه لهذا المنصب الجليل قصة غريبة مروية . دعي الشيخ أمام لجنة التعيين بالجامعة العثمانية وكان على رأسها سماحة الأستاذ ألما لطيفي رئيسا ، فسأله أن يترجم قطعة من الجريدة الأردية بالعربية ، فقال الأديب الألمعي أ أترجمها نثرا أم نظما ؟ وشرح تلك القطعة شعرا فصيحا مباشرا ومرتجلا ، فقام العلامة ألما لطيفي عن مكانه وقال : كرسيي هذا أحرى لك يا أستاذ ! فأنت الأديب الشاعر بلاشك .

[١] علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي – لـــ الدكتور محمد سلطان محي الدين ، ص ٣٩٨-٣٩٩.

ولما زار بروفيسور القسم العربي بجامعة آكسفورد الدكتور مارغوليت الجامعة العثمانية بحيدرآباد جرى النقاش بينه وبين البروفيسور ، فاعترف بنبوغه وخبرته غير العادية في اللغة العربية ، وجميع فنونها ، واستعداده الكامل في الشعر العربي وقال : ما وجدت مثل هذا العالم الأديب في اللغة العربية في الهند (١).

مؤلفاته العربية :

تفسير سورة التين ، وسورة قريش – شرح الشواهد – الملخص من شرح الشواهد – حاشية وتعريب على كتاب الفائق – شرح لامية العرب للشنفرى – معالم النور – قصيدة لامية الدكن – ديوان شعر غير مطبوع ، فيه ١٢٠٠ بيتا رائعا .

التعريف بـــ لامية الدكن :

لامية الدكن قصيدة على بحر " لامية العرب " للشنفرى وقافيتها ورويها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، هي تعد من باكورة عصرها وفريدة دهرها . وهي خير ما يعرف بعبقرية صاحبها ومكانته الأدبية . يقول صاحب لامية الدكن في تقديم قصيدته :

الحمد لله الظاهر في مظاهر الأكوان ، الباطن عن مدارك العقول والأذهان ، الأول قبل أن يحدث الزمان ، الآخر بعد انقضاء الدوران . والصلاة والسلام على مجلى نوره وإنسان بصره ، حامل لواء الحمد في حظيرته ، الداعي إلى الله على بصيرته ، محمد أكرم خلق الله عليه وأحب عباده إليه ، من أجابه عرف نفسه ، ومن تولى عنه خسر نفسه . وعلى آله

---

[١] - السابق نفسه ص ٤٠٠.

مفاتيح خزائن أسراره ، وأصحابه مصابيح أنواره ، ومن تبعهم بإحسان في إقباله وبعد !

فإني لما فرغت من شرح لامية العرب للشنفرى الأزدي على ما سنح لي من إفادة طلاب الأدب العربي سنة ست وخمسين بعد الألف وثلاثمائة من الهجرة رأيت أن أقول قصيدة على بحرها وقافيتها ورويها في النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ولداعية تجذبني إلى ذلك رجاء أن يجمعني الله بهم في مستقر الرحمة ، فأنشأت على ما بي من هموم تشفني وشواغل دونه تحفني ، فجاءت ولله الحمد باكورة عصرها وفريدة دهرها ، وسميتها "صمصامة الزمن" لما فيها من ذكر سيف الله المسلول على من يعصي الله والرسول ، أهديتها إلى من قلت فيهم وهي مني كرجل جراد أهديت من قرية النمل إلى سليمان عليه الصلاة والسلام لاغير ، ولله الحمد أولا وآخرا – قلت وبالله التوفيق .

ابتدأ مولانا الأديب لاميته على الأسلوب القديم بالغزل وشبب بسليمى وهي عبارة عن حقيقة الحقائق التي تتجلى في مظاهر اسمائها وصفاتها . انظر إلى ندرة المطلع وجودتها ، لقد أجاد فيما أتي بالبديع حيث اخترع أمرا اختاره قليل من الشعراء في الأدب العربي ، يقول :

أ لاحت سليمى في البراقع ترفل
أو الشمس تجري في الغمام وتذأل
وما الشمس إلا رشحة من جمالها
و ما البدر إلا ظلها المتمثل

هكذا شبّب بحقيقة الحقائق وهي الذات الواجب الوجود في تسعة عشر بيتا وتمتاز هذه الأبيات بالجودة والانسجام مع الجزالة ، أجاد فيها وتفنن تفنن أديب عارف يمثل صورا من الإحسان والإبداع ، كاد أن يتفرد في هذه الصناعة يغلب عليه في إنشادها التجنيس والاشتقاق وسائر أنواع البديع ، يكسو كل ذلك ثوب من الفصاحة ومطرف من البلاغة من غير تعسف ومن دون تكلف . ثم تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأسلوب لا نظير له . فيقول :

فإن رمت مغناها و مخـــدع سرها
فلـــذ بالذي يهدي إليها و يوصل
و مـــن سرّها في عينه و فؤاده
و من حسنـــها في وجهه يتأمل
توسل به و الجـــأ إليه و إنما
ينال المـــرام من به يتوسل
وما هو إلا المصطفى سيد الورى
محمـــد الهادي النبي المبجل

هكذا نراه يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أربع وعشرين بيتا ونصدّق من غير مرية أنه أملت هذه الأبيات الرائعة قوة غلبت طبع الشاعر هي قوة الإيمان والعاطفة لحب النبي صلى الله عليه وسلم . ثم نراه يمدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم فيقول :

فآمن إيقانا به و بربه
رجال أهلوا للإله و هللوا

على رغبة أو رهبة إذ دعاهمو

أجابوا إليه بادرين و هرولوا

تراهم لديه جاثمين كأنما

على رأسهم طير ترف وتحمل

ملابسهم تقوى الإله ودينهم

لهم و لمن يأتي قفاهم مكمل

وبعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم إجمالا في هذه الأبيات الرابعة افتخر مولانا الأديب بقوتهم ومضاء سيوفهم وحسن جيادهم وتعطش رماحهم إلى دماء المشركين . وذلك في هذه الأبيات :

فلما تجلى ربهم لقلوبهم

تردوا به رداً لهم و تسربلوا

وخرت لأذقان جموع عدوهم

لما نابهم من هيبة وتزيلوا

إذا ركبوا لم يستقر لبأسهم

أسود الشرى شم المناخر بسّل

أحلوا بلاد الكفر دار بوارهم

واصلوهمو نارا تلظى وتشمل

هكذا وصفهم صاحب القصيدة في ستين بيتا وصفا رائعا قل نظيره .

ثم يصف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . فشرع في مدح أولهم وهو أمير المؤمنين عبد الله بن أبي بكر الصديق هكذا :

تولى بإجماع من الناس أمرهم
شديد القوى منهم همام مجلجل
أبو بكر الصديق من سبق الورى
إلى ذروة الإسلام يسمو ويرقل

ثم شرع في مدح الخليفة الثاني فقال :

و ولى أمور الدين من كان فيهم
شديد بأعباء الخلافة يحمل
فساس بلاد الله و ارتعدت به
فرائص من في الأرض ضلوا وضألوا

وقال في شأن أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه :

فولى ذو النورين عثمان بعده
وقام بما قاما وما كان يكسل
ولم يك جبارا عنيدا ولا كمن
إذا رامه الأعداء بالشر يفشل
و لكنه من رأفة و مهابة
يلين لهم في بردتيه و يبسل

وقال في شأن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه:

فبويع منهم بعده من بنوره
عيون قلوب الأولياء تكحّل

إمام الهدى صنو النبي و سره
المؤقر في حوبائه المتزمل
وباب علوم الدين في عين سالك
إلى الله منه إذ يراقب مدخل

وقال في شأن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما :

وقام بأمر الله في الخلق من له
به الاعتصام أو عليه التوكل
أتت نحوه تشتاق خود خلافة
تجر إليه ذيلها و تترفل
إلى الحسن السامي سنام مفاخر
واصفى كرام من كرائم ينسل

وقال في شأن سيدنا الحسين رضي الله عنه :

أخوه الحسين المجتبى عند ربه
إمام البرايا قطبها المتأصل
و بايعه الأبدال أهل ولاية
وعُميُ العيون في الورى عنه ذُهّل
و كرسيه في عالم الغيب قائما

بتنفيذ أقدار الأمور موكل

ويقول في مقطع القصيدة يناجي ربه :

و غاية مأمولي بما قلت فيهم
شفاعتهم لي عند ذي العرش تقبل

وقد ظهر مما كتبنا ، أن التشابه بين اللاميات الأخرى ولامية الدكن هو في الأدب والأمثال والحكم فحسب . حيث تُعدّ اللاميات الأخرى ديوان أممهم ، فلكل أمة تصورها المتميز للأشياء والكائنات . وعلى سبيل المثال لامية العرب حاملة لتصوراتهم ، ولامية العجم حاملة لتصورات قائلها الذي ينتمي إلى تلك الأمة ، وكذلك لامية الأتراك واليهود... بينما تختلف لامية الدكن عن اللاميات الأخرى في هذا الصدد فإنها لاتحمل تصوارت الناس في الدكن ، بل هي تحمل ما هو أكبر من ذلك وأعظم منه : هي تكشف عن حقيقة الحقائق التي تتجلى في مظاهر الذات الواجب الوجود . هي تُبرز صلة المؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم . هي تُوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم نور الله ولأجله خلق الله سبحانه تعالى كل شيء . هو كان نبيا حين كان آدم عليه السلام بين الماء والطين ، وهو أم جميع الأنبياء ، ورسالته لسائر الأمم . هي (لامية الدكن) تصف الصحابة الأبرار رضي الله عنهم بأنهم جند الله المؤزرون ، وأنهم كفء للحرب ، وأن لهم اللواء المنصور في كل غزوة . وأنهم هو السابقون الألون ، وهو الخيار العظام . وأن ملابسهم تقوى الاله ، وأنهم هم الذاكرون الله سرا وجهرا .

هذا ، والقصيدة هذه مطبوعة ، وقد درس عنها عدد من الباحثين في الهند وخارجها . وهي تدرس في الجامعات العصرية والأهلية في الهند وخاصة في منطقتها الجنوبية .

مراجع

١ - الأمالي ، لـــ أبي علي القالي .
٢ - الخصائص لابن جني .
٣ - دائرة المعارف الإسلامية .
٤ - ديوان الشنفرى - دار الكتاب العربي بيروت .
٥ - سلسلة تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، لـــ الدكتورشوقي ضيف .
٦ - شعراء الدولة الآصفية لـــ الدكتور محمد عبد الستار ، أصدره الدكتور محمد عبد الحليم محمود عميد جامعة الأزهر بالقاهرة أثناء زيارته حيدرآباد سنة ١٩٧٥ م .
٧ - علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي – لـــ الدكتور محمد سلطان محي الدين .
٨ - الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، لـــ الشيخ صلاح الدين الصفدي.

***

آراء سماحة الشيخ مولانا أبي الحسن الندوي حول الاستشراق والمستشرقين في مكتوباته

الدكتور علي رضا*

ولد العالم والمصلح الكبير سماحة الشيخ مولانا أبو الحسن الندوي في عام ١٩١٤م في أسرة علمية دينية بمديرية راي بريلي الواقعة بولاية أترابراديس، درس في بيته دراسة تقليدية غير منتظمة على يد أخيه وأساتذته في قريته ومدينة لكناؤ وغير ذلك من المدن وفي مدة قصيرة اشتهر بغزارة علمه وعمق تفكيره وفاق على أقرانه و طار صيته في الهند وخارجها. أما الاستشراق والمستشرقون فإنه أظهر آراءه حيال الموضوع في كتابه " الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين" الذي تمت طباعته في البداية من الهند باسم "الإسلام والمستشرقون".

في الواقع إن الكتاب " الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين" هو مقالة افتتاحية كتبها بمناسبة ندوة علمية حول المستشرقين عقدت في عام ١٩٨٢ ببلدة أعظم جراه. أوضح فيه موقفه تجاه الاستشراق والمستشرقين. قبل أن نستعرض آراءه في هذا الكتاب يحسن بنا أن نلقي نظرة عابرة على تاريخ الاستشراق لكي نصل إلى كنه الاستشراق قبل ان نستعرض الكتاب.

* الأستاذ المساعد بكلية بهانغر التابعة لجامعة كولكاتا

مرّ الاستشراق بأدوار تاريخية مختلفة في العصور الوسطى ، الدور الأول يركّز على دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم وذلك بسبب تخلّف أوربا دينيا وعلميا ففي ١١٣٠م أنشئت في طليطلة مدرسة للترجمة برئاسة الأسقف ريموند وقد قامت هذه المدرسة بنقل جلائل الأسفار والكتب العربية إلى اللاتينية بإعانة اليهود حتى بلغ ما ترجموه من العربية في القرون الثاني والثالث والرابع عشر ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور (كلارك) في كتابه تاريخ الطب العربي وأحصاها غيره أربعمائة ، وكان أكثر ما ترجم في هذه القرون هو كتاب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا وغيرهم من العلماء المسلمين وكذلك الكتب المترجمة في العربية من اليونانية مثل كتاب جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس فنفخت هذه الترجمة في أوربا الخامدة روحا جديدة وشعورا لطيفا أما الدور الثاني جاء في شكل انتماء الطلاب الأوربيين إلى المدارس الإسلامية في الأندلس حتى نرى أن الراهب روجر بيكون الإنجليزي أوصى قومه بتعلم اللغة العربية وقال " إن الله يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما آتاها اليهود والإغريق والعرب " فمن هذه العبارة يمكن أن نفهم علو مرتبة المسلمين في مجال العلم والمعرفة.

أما الدور الثالث فلم يبق محصورا في دائرة الانتفاع بعلوم العرب ومدنيّة الشرق بل توسعت وتشعبت أهدافه ودوافعه و بدا الغربيون يقصدون به دراسة تاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وذلك لغرض تحقيق أهدافهم الاستعمارية الهدّامة.

يهم موضعنا الدور الثالث لأنه مهم جدا بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين وذلك بسبب سيطرة الاستعمار على البلدان الإسلامية علميا وفكريا من جانب ومن جانب آخر ضعف المسلمين علميا وفكريا وإذلالهم في عقر دارهم في هذه الفترة الصعبة وهناك كان بونا شاسعا بين المسلمين والغربيين ففي هذه الفترة نرى تحوّلا كبيرا في الاستشراق. ألا وهو التحوّل من دائرة الاستفادة الى دائرة الإفادة فظهر عدد كبير من المستشرقين أدّوا خدمات جليلة في العلوم والمعتقدات الشرقية ، وقاموا ببحث و نشر نوادر العلم والمعرفة التي تعتبر اليوم من أهم المصادر للباحثين. لكن مع اعتراف جهودهم يمكن أن نقول إنهم أتوا بأشياء في كتاباتهم لا أساس لها بالصحة وبذلوا قصارى جهدهم لإثباتها مستخدمين قوة بيانهم وحجّتهم. خلف هذا العمل تاثيرا سلبيّا على المسليمن خاصة الأجيال القادمة الذين درسوا ومازالوا يدرسون في الجامعات الغربية.

تقسيم المستشرقين حسب أعمالهم:

وحينما نعمق النظر في مكتوبات سماحة الشيخ الندوي رحمه الله نجد إنه قسّم المستشرقين إلى قسمين القسم الأول : الذين كرّسوا حياتهم وطاقاتهم لدراسة العلوم الشرقية دون تأثير عوامل سياسية أو دينية وبذلوا قصارى جهد لحفظ هذه العلوم من الضياع. واعترافا وتقديرا لجهودهم يقول سماحة الشيخ الندوي:

" ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها ، وبفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون ، إلى النشر والإذاعة ، وأصبحت مصونة من

الورثة الجاهلين ، وعاهة الأرضة ، وكم من مصادر علمية و وثائق تاريخية ، لها مكانتها وقيمتها ، صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرّت بها عيون العلماء في الشرق" الإسلاميات : ص ١٣

مما لا شك فيه أنهم أدّوا بخدمات جليلة في مجال العلوم الشرقية و نجحوا بطباعة نوادر الكتب التي كانت مجهولة من أعين الناس. بعض من الكتب القيمة التي أنقذوها من الضياع هي :

البروفيسور ت. و . آرنلد T.W. Arnold صاحب الكتاب القيم The Preaching of Islam (الدعوة الى الاسلام) واستانلي لين بول Stanley Lane Poole صاحب كتاب Saladin (صلاح الدين الأيوبي) و Moors In Spain (العرب في الأندلس) والدكتور إسبرنجر Dr. Aloys Sprenger صاحب المقدمة الإنجليزية القيّمة " الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني" طبع المجمع الآسيوي الملكي بكلكته وإدوارد لين (Edward William Lane) صاحب المعجم الكبير المنسوب إليه المعروف بـــــــ " Arbic-English Lexicon" لشرح المواد العربية باللغة الإنجليزية وما إلى ذلك.

والقسم الثاني: الذين يعملون بعوامل عديدة ويضعون أمامهم أهدافا خاصة لنيل بغيتهم. يمكن أن نقسّم عواملهم حسب ما يلي:

- العامل الديني: يهدف إلى نشر الديانة المسيحية وإثبات فضيلة المسيحية وخلق الجوّ للإعجاب بالمسيحية ، هكذا نرى الاستشراق و التبشير يسيران معا في أغلب الأحوال.
- أما العامل السياسي: يقول سماحة الشيخ الندوي إن المستشرقين كانوا من رواد الدول الغربية في الشرق. وكان من واجبهم أن يساعدوها بالعلم لذلك حاولوا بدراسة تقاليد الشعوب الشرقية وطبيعيتها ومعيشتها

ولغاتها وآدابها حتى عواطفها ونفسياتها ليتسنى للغرب أن يبسط نفوذه وسلطته في الشرق.

- العامل الاقتصادي: يهدف هذا العامل إلى تجارة رابحة ولذك يحاولون بنشر المؤلفات والكتب المتعلقة بالإسلاميات والشرقيات لما يرون لها من سوق نافعة في أوربا وآسيا.

استراتيجية و نفسية المستشرقين لإجراء البحث:

من المعلوم أن المستشرقين كانوا يعملون حسب أهدافهم وغاياتهم المحددة وهو نفوذ الغرب على الشرق من كل جوانب سواء كان سياسيا أو كان علميا ودينيا ولذلك كانوا ينظرون الى الأشياء بكل دقة وعمق ويستغلّونها للحصول على غاياتهم ، يمكن أن نحددها بالايجاز وهي :

- يبحثون عن مواضع الضعف في تاريخ الاسلام ومدنيته وحضارته ويدققون فيها حتى ينظرون اليها عن طريق المجهر وذلك لتقديمها وتمثيلها بصورة مضخمة مروّعة وهكذا يجعلون الذرة جبلا والقطرة بحرا. طبقا لسماحة الشيخ أن هذه النفسية تثير في قلوب قادة العالم الإسلامي وزعمائه – ممن تثقفوا في مراكز الغرب أو درسوا الإسلام بلغات الغرب – شبهات حول الاسلام والمصادر الإسلامية وكذلك تحدث في نفوسهم يأسا عن مستقبل الإسلام ، ومقتا على حاضره ، وسوء الظن بماضيه.
- يعيّنون لهم غاية ومن أجل الحصول على هذه الغاية يجمعون المعلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع ويقدمونها بعد التمويه كأساس نظرية لا يكون لها الوجود.

- يذكرون عيبا واحدا بذكر عشرات المحاسن لتمكينه في النفوس لكي يعترف القارئ بسعة قلبهم و نظرهم على الرغم من أن هذا العيب يكفي لطمس جميع المحاسن. على سبيل المثال إنهم يصوّرون بيئة دعوة أو شخصية ويلصقونهما بالتاريخ والعوامل الطبيعية بلباقة وبلاغة لكي يظهر للقارئ أن هذه الدعوة أو الشخصية ليست إلا نتاج البيئة والزمن وليست لها علاقة بتأييد إلهي أو إرادة غيبية
- يدسّون في كتاباتهم مقدارا خاصا من السم ويأخذون في ذلك الحيطة والحذر لكي لا تضعف ثقة القارئ بنزاهة الكاتب. يقول سماحة الشيخ:

"إن كتابات هؤلاء أشد خطرا على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكاشفون العداء ، ويشحنون كتبهم بالكذب والافتراء ، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها ، أو ينتهي من قراءتها دون الخضوع لها". الإسلاميات : ص ١٧

محاسبة كتابات المستشرقين:

لابد من أن يكون هناك حد من إعطاء أهمية بالغة ودرجة التقديس لمؤلفات المستشرقين والاعتماد عليها دون النظر إلى أخطائها ونقائصها ولابد أن يقوم العلماء والباحثون باستعراض مؤلفات المستشرقين ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبيساتهم كما نرى أن العالم الإسلامي والعربي يعتمد منذ زمن بعيد على كتب لا تخلو من الكذب والتدليس والافتراء مثلا تاريخ آداب العرب لـــــ آر.ايه نكلسن وتاريخ العرب والإسلام لدكتور بي. كيه هتّي و(The Origins of Mohammadans Jurisprudence) مصادر الفقه الإسلامي لشاخت

(Schacht) و الإسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته (Islam In Modern History) لدبلو سي اسمث وغير ذلك من الكتب.

ملخص القول:

على كل حال، مساهمة المستشرقين في العلوم الإسلامية والآداب العربية كبيرة جدا و يجب على العلماء والباحثين المسلمين أن يقدروا جهود المستشرقين الذين عملوا بدون أي تاثير سياسي ومادي لكن الذين عملوا تحت تاثير وهدف خاص فيجب عليهم أن يقوموا لمقاومة نزعتهم التشكيكية والتضليلية التي تتسرَب في بيئة إسلامية وتأكل صرح العالم الإسلامي كالدودة بصورة بطيئة وسرّية ويبذلوا قصارى جهد للحصول على مستوى يفوق على مستوى المستشرقين بسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر والاستدلال القوي والاكتفاء الذاتي وذلك لتقديم المعلومات الإسلامية الحقة والكتابة حول الموضوعات الدينية والعلمية الصحيحة.

المصادر والمراجع

١. مولانا أبو الحسن الندوي "الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين" مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٦م

٢. مولانا أبو الحسن الندوي " الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" المجمع الاسلامي العلمي ، لكناؤ ١٤٢٦هجره

٣. أحمد حسن زيّات " تاريخ الأدب العربي " كتب خانه رشيديه ، دلهي ٦

4- Edward W. Said “ Orientalism” Penguin 2003

***

رد العلماء الهنود على كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم

الدكتور عبيدالرحمن طيب*

بزغ نور في وادي مكة المكرمة وانتشرت أشعته في الجزيرة العربية ونفخت فيها روحا جديدة فتحوّلت القبائل المتناحرة إلى متحابة، والوثنية إلى الوحدانية، والقتل والنهب وقطع الطريق إلى الوفاء وحفظ الإنسانية وحرمة الأموال والأنفس، والعصبية الجاهلية إلى الحمية الدينية، والمنافرة والكراهية إلى المحبة والمؤاخاة، وغيّرت النعرات الجاهلية إلى الرسالة السماوية، والجهل إلى العلم ،والبؤس إلى النعيم، والشقاوة إلى السعادة. ألا وهي البعثة المحمدية في وادي مكة المكرمة. فهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحّد العرب وغير العرب تحت راية الإسلام ولمّ شملهم وأعطاهم دستورا مثاليا لحياتهم وجعلهم أصحاب رسالة يحملونها إلى كافة شعوب العالم يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان والحكومات إلى عدل الإسلام. يكرسون حياتهم لإنقاذ الإنسانية من الجوع البشع إلى سعة الإسلام وغنائه، يتساوى فيه كل شخص لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. وعلّم أتباعه العفو العام بعمله "لاتثريب عليكم". و"لا إكراه في الدين". وضمن حقوق

* الأستاذ المساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية ، كلية اللغات ، جامعة جواهرلال نهرو- نيودلهي

الناس من كل الشرائح وأوصى بالنساء خيرا قائلا : رفقا بالقوارير. واعتبر الأطفال أزهارا من الجنة. فهذه كانت ثورة اجتماعية ودينية وتعليمية وسياسية واقتصادية لم تشهدها البشرية قبل ذلك.

هكذا انطلقت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم من مكة وانتشرت في كافة أقطار الجزيرة العربية في غضون ٢٣ / عاما لا نرى أي قائد عبر التاريخ الإنساني أنه حصل في حياته نجاحا باهرا في أقصر مدة كهذه. والآن بعد مضي ١٤٣٤ سنة لايزال اسمه يتردد على ألسنة المؤذنين عبرالمآذن في كافة أنحاء العالم في كل الآونة. وسيبقى منارة هدى ورحمة للبشرية قاطبة إلى الأبد.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تولى الحكومة خلفاؤه الراشدون فسلكوا مسلكه وانتهجوا منهجه وحملوا راية الإسلام إلى البلدان المجاورة من العراق وإيران ومصر وبلاد الشام وفي هذا العصر بالضبط دخلت شعوب مختلفة في الإسلام من الفرس والروميين أي المسيحيين والأرمن والقبط وغيرهم وتثقفوا بالثقافة الإسلامية.

هذه الأمم كانت مثقفة ومتحضرة فبدخولها في الإسلام، تسربت إلى تاريخ الإسلام وتفسيره وحديثه الروايات والأفكار الإسرائيلية عمدا أو بغير عمد. وكانت تكن عداءً في نفوسها بأن المسلمين فتحوا ديارهم واحتلوا أراضيهم وأصبحوا حاكمين عليهم.

وفي العصر الأموي اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ووصل الإسلام في الشرق إلى السند وحدود الصين وفي الغرب فتح المسلمون إفريقيا وأندلس وطرقوا أبواب فرنسا.

وفي العصر العباسي الأخير وزمن الفاطميين نشبت بين المسيحيين والمسلمين حروب صليبية وحصل المسلمون فيها انتصارا كبيرا تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي مما هز العالم المسيحي فتركوا طريق الحرب والمحاربة واتخذوا طريقا آخر بعد دراسة تاريخ الإسلام والمسلمين وحاولوا إثارة الشكوك في ذات النبي صلى الله عليه وسلم وتشويه صورته. كما أثاروا الريب في القرآن أنه ليس بكتاب الله بل هو من محمد العربي (صلى الله عليه وسلم).

الاستشراق والسيرة النبوية

العداء والحقد اصطحبا الدعوة النبوية منذ البداية ففي مكة ظهر أبولهب وأبوجهل كزعيمين بارزين وفي المدينة المنورة تآمر رئيس المنافقين عبدالله ابن أبي ورفقاؤه واليهود الآخرون ولكن الله هزم كلهم وحيدا واستقر للنبي صلى الله عليه وسلم الحكم واستتب له الأمن ولكن أعداء الله ورسوله ظهروا من جديد في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ثم أثيرت فتنة وضع الأحاديث لينهدم بنيان الإيمان بالرسول الكريم وبالتالي الإيمان بالقرآن ودخلت في الحديث النبوي إسرائيليات كثيرة ولكن علماء الإسلام نهضوا وبحثوا الأحاديث الصحيحة وميزوا الخبيث من الطيب ودونوا الصحاح.

وحتى الآن كانت هذه النشاطات مقتصرة على الجهود الفردية وفي آخر الخلافة العباسية وبعد الحروب الصليبية ظهرت حركة علمية ضد الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ العربي والإسلامي وسميت هذه الحركة باسم الاستشراق ومعناه

دراسة العلوم والثقافات الشرقية. وفي البداية كانت هذه الحركة منحصرة على الأفراد ولكن مع مرور الوقت ظهرت أكاديميات ومع قيام الجامعات في الدول الغربية أنشئت كليات وأقسام خاصة بدراسة اللغة العربية وآدابها وتاريخ الأمة العربية والإسلامية ومحمد صلى الله عليه وسيرته والقرآن الكريم والحديث النبوي وكتبت موسوعات عن الإسلام وتاريخه وفي وقت لاحق أجريت دراسات مفصلة ودقيقة للتشريع الإسلامي أي الفقه. وكان القصد وراء ذلك إثارة الشكوك في كون القرآن كتاب الله، منزل من الله بل الإثبات أنه مجرد كتاب اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك تشويه سيرة محمد صلى الله عليه وسلم حتى السب والشتم. وكانت الغاية الحقيقية وراء ذلك منع الناس من فهم الإسلام وإبعادهم عن نبيه الكريم وكذلك الانتقام للحروب الصليبية الفاشلة التي انهزموا فيها.

وأول من قام بنشر الدعايات الكاذبة والحقد والعداء حتى إنه قال هو نبي كاذب هو جون من دمشق.

وفي القرن السابع عشر كتب المستشرق الإنجليز وليم بيدويل (W. Bedwell)(١٥٦١- ١٦٣٢م) كتابا عن النبي صلى الله عليه وسلم وسماه "النبي الكاذب" (نعوذ بالله من ذلك).

وقام الدكتور هنري استب (Dr. Henry Stubbe) (١٦٣١-١٦٧٦م) بنشر كتاب An Account of the Rise & Progress of Mohametanism) لو صرفنا النظر عن الأخطاء التاريخية في هذا الكتاب فإنه قد يعتبر كتابا معتدلا عن السيرة النبوية.

وهنا اعترض مستشرق آخر جين برد (Gene Beard) (١٥٣٥-١٥٩٧) اعتراضا لا أساس له من العقلانية وهو أنه لماذا أنزل القرآن باللغة العربية ولماذا لا بالعبرية والسريانية واللاتينية؟ ولماذا كانت العربية هي لغة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهي لغة حيوانية ووحشية، إذاً كان محمد (ص) حيوانا ووحشيا (نعوذ بالله من ذلك).

ومستشرق آخر هو همفري براي ديكس (Hamphrey Prideaux) كتب كتابا باسم "محمد الكاذب " واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم نبيا كاذبا، خادعا وماكرا (نعوذ بالله).

وفي القرن الثامن عشر كتب ريلانت (H Relant) في عام ١٧٠٤م De Religione Mohama Dion وطالب زملاءه المستشرقين : لايمكن أن نفهم الشرق إلا بمآخذه " وقال بصراحة إنه من الضروري أن نزن الإسلام أيضا في ميزان التاريخ العدل".

وفي هذا القرن فتحت مدارس الألسنة الشرقية، ووضع حجر أساس المكتبات الشرقية وأنشئت الجمعيات الآسيوية (Asiatic Societies) وفي هذا العصر بالضبط ساد استخدام مصطلحات الاستشراق والمستشرق في إنجلترا عام ١٧٧٩م وفي فرنسا عام ١٧٩٩م ثم انتشرت في العالم كله.

ايدورد جبن Edward Gibbon هو مؤرخ إنجليزي كتب كتابا باسم تاريخ انحطاط روما في عام ١٧٥٠ م وادعى أنه غير متعصب ولكنه في الفصل الخمسين من هذا الكتاب عبر عن آرائه في الإسلام ومحمد صلى الله عليه وقال فيه إنه نبي كاذب وكان قد مال في آخر عمره إلى الشهوة، والطمع، والجاه، والتلذذ الجنسي (نعوذ بالله).

كما كتب فالتير (Voltaire, FR وهو فرنسي الأصل (١٦٩٤-١٧٧٨م) مسرحية شهيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعُرِضت في عام ١٩٤٢م وأعرب في مقدمتها عن مشاعره الحاقدة على الإسلام والنبي صلعم. وسلك مسلكه ديدي روت (Diderot) وكتب بصورة فاحشة أن محمدأ صلعم كان أكبر صديق للنساء في العالم وكان عدوا للجدية والعقلانية.

والفترة من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين (١٨٠٠-١٩٢٥م) هو زمن الازدهار للاستشراق فمن جانب واحد انقسم المسلمون إلى دويلات وحكومات صغيرة وتعزز الغرب سياسيا واقتصاديا بل ازدادوا نفوذا وامتدت حكومتهم في العالم. فأكثر المستشرقون من استغلال هذا الوضع استغلالا كاملا وفاقوا أسلافهم في الإنتاج كمّا وكيفا. فعلى سبيل المثال قاموا ببسط نفوذهم في دول كثيرة مثل فرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، وإسبانيا، والبرتغال، والمجر، وهولندا، وألمانيا، والدنمارك، والسويد، وروسيا، وبلجيم، وتشوكوسلواكيا، وفنلندا وأمريكا وغيرها. كما أكثروا من الكتابات وأتوا بكم هائل لامثيل له ووسعوا نطاق البحث والتحقيق إلى عقائد الإسلام، والقرآن، والحديث، والسنة، والفقه، والاجتهاد، أصل العرب، وأحوال العرب، والأتراك، وعلاقات العرب مع الأتراك، وأصل الإسلام، الحضارة الإسلامية وثقافته ، وسيرة النبي العربي صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك.

ومن أجل تنسيق وتنظيم نشاطاتهم قام المستشرقون في هذا العصر بإنشاء معاهد البحوث مثلا الجمعية الآسيوية بباريس ١٨٢٢م، والجمعية

الآسيوية الملكية لبريطانيا العظمى وآئرلاندا ١٨٢٣م، والجمعية الاستشراقية الأمريكية، ١٨٤٢م. وأصدرت هذه الجمعيات مجلاتها التي عززت حركتها بصورة كبيرة. وبعد ذلك انطلقت سلسلة من المؤتمرات العالمية لهذه الجمعيات ففي عام ١٨٧٣م عقد أول مؤتمر لهذه الجمعيات. ثم تحولت إلى مؤتمرات سنوية تعقد لهذا الغرض.

وفي العصر الحديث الذي يبدأ من الربع الأول للقرن العشرين نالت الشعوب المظلومة والمقهورة المُكَافِحَةُ ضد الاستعمار الغربي استقلالها ولكن لم يزل المستشرقون يسلكون ويتبعون آثار أسلافهم من دس السم والافتراء والاتهامات ضد الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم والشريعة الإسلامية. بل ظهرت نزعات جديدة وتوسعت وأنشئت أقسام للعربية والدراسات الإسلامية في جامعات الغرب وتوجه اليها الطلبة من الدول العربية والإسلامية وبعد العودة إلى بلادهم أدوا حق التلمذة ومن الغريب أن هؤلاء التلامذة المتغربين جعلوا كتب المستشرقين مراجع ومصادر لهم، وبدلا من المراجعة إلى المصادر الإسلامية الأصلية وإحقاق الحق ودحض مزاعم المستشرقين تغنوا في لحن أساتذتهم.

وفي سلسلة المستشرقين المعاندين ظهر مؤخرا الشيطان اللعين "سلمان رشدي" الذي كتب رواية باسم Satanic Verses ونشره عام ١٩٨٨م. سنعرض ما كتب في رد هذا الكتاب في نهاية المطاف.

بعض المستشرقين "المهتدين" :

وفي هذا الجم الغفير هناك شرذمة قليلة قامت بدراسة عميقة للإسلام والحضارة الإسلامية والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم حتى اعتنق بعض منها الإسلام وأصبح قلمه مدافعا له بل ربما أحسن من المسلمين وهنا اكتفي

بذكر بعض الشخصيات المرموقة فحسب ومنهم الأستاذ محمد أسد والسيدة مريم جميلة. ويقول عنه السيد أبوالحسن علي الندوي : "ومما يبعث على العجب أن رجلا حديث العهد بالإسلام وضع كتابين باللغة الانجليزية هما من أحسن الكتب التي تبعث الإيمان وتفيض بروح الثقة والاعتزاز، أعني محمد أسد الذي كان يتسمى فيما قبل أن يتشرف بالإسلام (Leopold Weis) وهو ألماني ينحدر من سلالة يهودية، وقد أثار كتابه الأول (Islam At The Cross Roads) اليقظة الفكرية عبر العالم الإسلامي وليس هناك كاتب ولا كتاب قد دافع عن السنة النبوية والحضارة الإسلامية دفاعا قويا كهذا. وقد وضع الأستاذ محمد أسد هذا الكتاب خلال إقامته بالهند، وقد نقله الأستاذ عمر فروخ إلى اللغة العربية باسم "الإسلام على مفترق الطرق" وظهرت له عدة طبعات."

"أما كتابه الثاني فهو (Road to Mecca) الذي استقبل في أوربا وأمريكا بحفاوة وإقبال وحاول محاولة موفقة – من خلال تصوير جزيرة العرب والمجتمع الإسلامي، ومجتمعات الدول الإسلامية تصويرا دقيقا – أن يثبت فضل المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية في أذهان الأميركان والأوربيين في طي الحديث عن التجارب التي مر بها في رحلته الصحراوية وأثناء القيام "بمهنته الصحافية" التي من أجلها تجشم هذا السفر الطويل الخطر، وذلك كله في ثوب قشيب من لغته الأدبية الرفيعة، ونقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية باسم "الطريق إلى مكة" وترجمه في اللغة الأردية الأستاذ محمد الحسني ونشره المجمع الإسلامي العلمي بمدينة لكناؤ.

وهناك شخصية فذة محترمة أخرى ألا وهي السيدة مريم جميلة. كانت تعرف قبل اعتناقها الإسلام بـــ (Margaret Marcus). ومن أهم كتبها: Islam versus the West "الإسلام إزاء الغرب" و (Islam &

(Modernism "الإسلام والتجدد" وإن كتاباتها دراسة عميقة للإسلام والحضارة الإسلامية وتاريخ الحضارة الغربية وتحرر كامل عنها بل وثورة شاملة عليها."[١]

وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي بعض المستشرقين الذين قاموا بدراسة الإسلام وتاريخه وحضارته ثم إذا تبين لهم الحقيقة قبلوها ونبذوا مزاعمهم إلى الوراء بل ردوا مزاعم المستشرقين المتزمتين بكتاباته القيمة "ومنهم "توماس أرنولد" حينما أنصف المسلمين في كتابه العظيم "الدعوة إلى الإسلام" فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام".

ومن هؤلاء الفرنسي الفنان "دينيه" الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم "ناصرالدين دينيه" وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وله كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام " بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها"[٢].

أشهر المستشرقين وكتبهم :

للمستشرقين قائمة طويلة الذين نهضوا ضد الإسلام والمسلمين وحاولوا تشويه صورة النبي الكريم محمد الأمين صلاة الله وسلامه عليه. ونذكر بعضا منهم على سبيل الذكر لا الحصر ومنهم :

---

[١] الإسلام والمستشرقون للشيخ أبي الحسن علي الندوي ص ٤٠-٤٢

[٢] الاستشراق والمستشرقون للدكتور مصطفى السباعي ، ص ٣٢-٣٣

1. Mohammad and Mohammednism آدم
by Adams Isaac (Chicago 1900)
2. The Life and Death of Muhammad , the author of the Turkish religion (London 1619)
by Addison , Lencelat ايديسن
3. The Land of the Messiah, Mahomet, and the Popee (London) 1854)
by Aiton , John ايتن
4. The Preaching of Islam (London 1874)
By Arnold T.W. آرنولد
5. Life of Mahomet (Newyork 1911)
By Irving , Washington ارونج
6. Life of Mohammad (Allahabad 1851)
By Sprenger اسبرنجر
7. Muhammad and Muhammadenism
By Smith Bosworth اسمث
8. Talks on Mohamed and his followers
By Barton Theodor بارتن
9. Muhammad , his biography and the beginning o the Religion of Islam (warsaw 1914)
By Bernfeild Simson
10. The life and Teaching of Muhammed(Adyar 1932)
By Besant , Annie
11. Problems de Mahomet (Paris 1952)
By Blachor, Begis
12. The Messanger –the life of Mohammad (London 1946)
By Bodley, R.V.C
13. History of the Islamic People (Newyork 1947) English Trans.
By Brockelmann. C
14. The Way of the Prophet : An Introduction to Islam (London 1962)
By Brown D.A.
15. The Era of Mohmet (London1856
By Brown G.L.

16. History of Mohametanism and its sects (London 1834)
By Tayler
17. Muhamma the Great Arabian
By Townsen , Mad W
18. Islam , Mohammad and his Religion (Newyork 1998)
By Jeffery Arthur
19. Mahomet et ler origins de L, Islamism (Paris 1880)
By Renan , Ernest
20. The Hero as Prphet Mahomet (Newyark 1902)
By Carlyle, Thomas كارلائل
21. Muhameds religious aus dem Koren (Atona 1908)
By Claudius , A. H كلاديس
22. Mahomet (Paris 1957)
By Gaudefroy De Mombynes جادفري دي ممبائن
23. Mohamedanism Historical Surevy (London 1953)
By Gibb. H. A . R جب
24. Life of Mahomet (Newyork 1879)
By Gibbon Edward جبن
25. Mohamed and Islam (tr) by Goldziher, Ignac
26. Mohammad and the rise of Islam (Newyork 1905) by Margoliouth D.S
27. History of religis: Judaism , Christianty, Mohamedanism (Newyork 1929)
By Moore G.F.
28. The Life of Mahomat pom original Sourca (London 1977) by Muir, Sir. William
29. 1) Muhammad at mecca (1953) 2) Muhammad at medina (1926) , 3) Muhammad Prophet and Statesman (London 1961) by Watt. W. M
30. The Three Great Prophets of the World by Headley Rowland. G
31. An Apology for the life and character of the celebrated Prophet of Arabia, Called Mohammad by Higgins, Godfray
32. History of Mahomet the Great Imposture by Hillard, Frederick
33. The Story of Mohamed by Holland , Edith[1]

[1] هذه القائمة مأخوذة من كتاب" الإسلام والمستشرقون" باللغة الأردية الصادرة في دارالمصنفين بمديرية أعظم جـــراه (الهند)

المواضيع التي أثارها المستشرقون ضد السيرة النبوية

هذه هي أهم المواضيع التي أثارها المستشرقون مثلا اسم النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه، ولقاءه مع البحيرة الراهب في الطريق إلى الشام، وزواجه من خديجة بنت خويلد وعمرها والأولاد منها، ونزول القرآن وورقة بن نوفل، وغزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة: القبيلة اليهودية وعدد القتلى منهم، وغزوة مكة وحنين وغزوة خيبر، والوحي وكيفية الوحي ، وأنه كان رجلا خائفا في مكة لم يكن له هم ولا غاية ولا رسالة للناس جميعا وما كان الأمر واضحا عليه وتعلم كل شيء تدريجيا، (ولديهم مفهوم آخر بخصوص التدريج يعني لم يبعثه الله بل انه ادعى النبوة، وتعلم تدريجيا أنه كيف يمكن أن يسيطر على العرب وما كانت رسالته إلا للعرب ولوقته فحسب)، وأكثر من الزواج وكان يميل إلى النساء، ولم يقض على الرق، وقاد الشعب العربي قيادة اقتصادية حيث كانت العرب يتناحرون ويموتون جوعا فوحّد صفوفهم وحرّضهم على القتال، وقصة تلك الغرانيق الألى، وفي بداية الأمر لم يكن ضد عبادة الأصنام، والأحاديث الصحيحة هي ما وردت أحكامها في القرآن الكريم، ووضع الأحاديث في العصر الأموي لأغراض سياسية وما إلى ذلك.

رد المسلمين على كتابات المستشرقين :

نهض علماء الإسلام من العالم العربي والإسلامي وردوا على هؤلاء المستشرقين ردا قاطعا وبرهنوا بأدلة دامغة من الكتاب والسنة والسيرة الموثوق بها وتاريخ العالم وكتب الديانات اليهودية والمسيحية. وأظهروا للعيان مزاعم ومفتريات وعصبيات وعداء المستشرقين ضد الإسلام والنبي

محمد صلى الله عليه وسلم. وكشف القناع عن أكذوبات هؤلاء الأستاذ مصطفى السباعي في كتابه "الاستشراق والمستشرقون" كما كتب غيرهم.

- نجيب العقيقي : المستشرقون، دار المعارف، مصر ١٩٦٤-١٩٦٥م.
- أحمد إبراهيم خليل : المستشرقون والمبشرون في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٤م
- زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، لجنة التعريف بالإسلام، مصر، ١٩٦٥م
- حسين الهراوي : المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٥م
- محمد البهي : المستشرقون في موقفهم عن الإسلام، الأزهر.
- حمد الدسوقي : الإسلام والمستشرقون، القاهرة، ١٩٧٢م.
- عبدالجليل شبلي : الإسلام والمستشرقون، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الدكتوره عفاف صبره : المستشرقون ومشكلات الحضارة، دارالنهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م

رد العلماء الهنود على كتابات المستشرقين:

لما نجح الإنجليز في الاستيلاء على دكة الحكم في الهند بدأت حركة المبشرين تزداد قوة وانتشارا ويساندهم المستشرقون في بسط نفوذهم وتعزيز تواجدهم ونشر مزاعمهم ومكائدهم فنهض المسلمون الهنود المفعمون بالغيرة والحمية الدينية الذين لا يمكن لهم أن يروا ويسمعوا أحدا يسب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وينسب إليه الأباطيل والأكاذيب ويشوه شخصيته الطاهرة المتمثلة في الأسوة الحسنة والرحمة للإنسانية جمعاء. رفعت الجامعات والمدارس الإسلامية الكبرى مثل عليجراه

ودارالعلوم بديوبند وندوة العلماء بلكناؤ أصواتها بأساليبها الخاصة ولـــ "سر سيد أحمد خان" فضل السبق في هذا المضمار. وكان قد أحدث سر وليم ميور بكتابه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ضجة في الأوساط الهندية إذ كان مملوءً بالافتراءات والأكذوبات مما أثار حفيظة المسلمين جميعا وأطار نوم سر سيد احمد خان فتصدى لهم بطريقة علمية.

ومن بين هؤلاء الذين تصدوا للمبشرين والمستشرقين الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رحمت الله الكيرانوي والعلامة شبلي النعماني والشيخ محمد علي المونكيري والدكتور الشاعر العلامة محمد اقبال وسيد أمير علي وغيرهم. وللشيخ الكيرانوي ثلاثة كتب: إزالة الأوهام، أحسن الحديث، وإظهار الحق. وقد ترجمت إلى الفرنسية والانكليزية والألمانية والتركية. كما أنه كتب الشيخ المونكيري : الرسالة المحمدية، وساطع البرهان، والبرهان القاطع فوقعت هذه الكتابات على المبشرين والمستشرقين كالصاعقة.

وشن العلامة شبلي النعماني رحمه الله حملة علمية ضد المستشرقين وكشف القناع عن مؤامرات المستشرقين ضد الإسلام والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكتب "سيرة النبي" صلى الله عليه وسلم في مجلدات عدة وردّ فيها ردا قاطعا على المستشرقين. وساعده بل أكمل عمله خلفه النير الشيخ سيد سليمان الندوي وكتب سلسلة من البحوث العلمية ردا على المستشرقين في "الندوة " باللغة الأردية الصادرة خلال الفترة يوليو ١٩١١-١٩١٢م.

كما قامت دار المصنفين بعقد ندوة عالمية ناجحة حول الإسلام والمستشرقين التي تكللت جهودها بنجاح كبير وقامت بنشر المقالات المقدمة

فيها بشكل كتابي باسم "اسلام اور مستشرقين" (الإسلام والمستشرقون) في ثمانية مجلدات ومنها نحو ٦/ مقالات تخص بالسيرة النبوية. و ما سوى "الخطب الأحمدية" هناك كتاب آخر ذو أهمية بالغة هو The Life and Teachings of Mohammed" كتبه الأستاذ سيد أمير ردا على كتابات المستشرقين باللغة الإنجليزية الرائعة.

وكتاب آخر جدير بالذكر هو للأستاذ رفيق زكريا الذي كتبه ردا على"الآيات الشيطانية" واسمه Mohammad and The Quran وترجمته باللغة الأردية "حضرت محمد صلعم اور قرآن". هذا غيض من الفيض. وإلا هناك غيرهم ممن تصدوا لتحديات المستشرقين وردوا عليهم.

دراسة أعمال الهنود في الرد على المستشرقين حول السيرة النبوية:

الخطبات الأحمدية :

يعود الفضل في كتابة السيرة باللغة الأردية إلى سيد أحمد خان ورفقائه التي بدأت خلال الفترة ١٨٥٧- ١٨٩٨م. فقد جاء أول رد على كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية من قبل سيد أحمد خان وهذا حظ قد سبق به خان. ولما نشر سر وليم ميور المستشرق البريطاني الذي جاء إلى الهند أثناء الحكم البريطاني، كتابه عن Life of Mohammad حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) في أربعة مجلدات شوّه فيه حياة الرسول الكريم وأساء الاحترام له فلم يتمالك سيد أحمد خان من مشاعره الجياشة. وحب الرسول الكريم حرّم نومه. وعلى الرغم من كونه شهيرا قبل ذلك بولائه مع الإنجليز ومحاباتهم بسبب كتابه "أسباب بغاوت هند" (أسباب ثورة الهند) وكتاب آخر "أحكام طعام أهل الكتاب" باللغة الأردية، قام ببحث جاد وأتى

بكتاب دقيق علمي رد فيه مزاعم وأباطيل وشائعات ميور الذي كان قد استخدم الأحاديث والروايات الضعيفة وشن حملة شعواء على الإسلام والمسلمين ومعتقداتهم وحاول أن يزلزل أعمدة إيمانهم برسولهم الأمين والقرآن الكريم وكان هدفه الخاص أن يعطي المبشرين المسيحيين في الهند كتابا يستخدمونه كأداة ضد الإسلام والمسلمين. وإلى هذا أشار سيد أحمد خان حيث يكتب أن القديس فندر الذي قد اشتهر في المناظرات مع المسلمين واشتد في حماية الديانة المسيحية، أصر على (ميور) أن يكتب كتابا عن حياة رسول الإسلام يكون مناسبا لقراءة أتباعه ويكون مبنيا على المراجع القديمة التي يعتبرها المسلمون صحيحة"[١].

وبعد قراءة هذا الكتاب تحير الأستاذ سيد أحمد خان في ما كتب المستشرق العنيد إذ أنه قدم الحقائق الثابتة بطريقة سيئة ومحرفة واعتمد فيه على الكتب والروايات غير الموثوق بها كما أنه رغم دعاويه، لم يتمسك بالأسس والمبادئ للبحث والتحقيق فيما يتعلق بالإسلام والرسول الكريم. فشمر سيد خان عن ساق الجد لكتابة الرد على مفتريات سروليم.

ويكتب ألطاف حسين حالي عن اضطرابه وقلقه :" لما وصل كتاب سر وليم ميور Life of Mohammad في أربع مجلدات من إنكلترا إلى الهند الذي اعتبرت الأوساط المسيحية أنه استأصل جذور الإسلام تماما ولم يعد له شيء. وقد شاهد "ألطاف حسين حالي" بعينيه أنه كيف كان تحمس سر سيد خان واضطرابه. ويذكر: لعل سنة ١٨٦٧ أو ١٨٦٨م كانت ندوة سنوية للجمعية الآسيوية وكان ورد من مدينة دلهي الراحل "منشي أمو جان" ومن مدينة جهانكيرآباد الراحل النواب مصطفى خان حيث كان عضوا

[١] الخطبات الأحمدية لسر سيد أحمد خان ، ص :١٣

للجمعية بذلك الوقت. فتوجها إلى مدينة عليجراه وأنا أرافق النواب ولم أكن أعرف سر سيد أحمد خان. ولكننا نزلنا في مبناه الواسع وأقمنا فيه وعندما كنا نجلس بعد التفرغ من أعماله نجد فرصة للتحدث معه فكان يكثر ذكر كتاب سروليم ميور وكان يقول بأسف شديد : يُهاجم الإسلام والمسلمون عنه غافلون تماما فيبدو كأنه كان قد اعتزم على كتابة جوابه."[١]

الرد العلمي يحتاج إلى مصادر ومراجع موثوق بها فلما استعد سرسيد خان لكتابة رده وبدأ يبحث عن الكتب المطلوبة لم يجدها متوفرة إذ أن معظم المكتبات الإسلامية بالهند كانت قد تعرضت للحريق والدمار والخراب خلال ثورة عام ١٨٥٧ وما اندلعت من اضطرابات عنيفة في طول البلاد وعرضها. فانه عقد العزيمة على السفر الى إنكلترا وقام بهذه الرحلة في ظروف صعبة ورغم نصائح بعض أصدقائه عرّض وظيفته للخطر، ولم يبال ولاءه مع الحكومة البريطانية ورافق ابنه سيد محمود عندما تقرر ابتعاثه إلى لندن على نفقة حكومية. ويكتب في هذا الصدد الطاف حسين حالي : "يبدو من بعض رسائل خان التي أرسلها من انكلترا إلى سيد مهدي علي خان، أنه لما أبدى عن نيته في حين مغادرته الهند أمام أصدقائه فإن بعض هؤلاء الذين كانوا ينخرطون في الوظائف الحكومية البريطانية وكانوا تحت أمر من حكومة سر وليم ميور منعوه عن أن يكتب ردا على كتاب ميور لكن سر سيد خان لم يُلق بالا عليه. وأصبح منهمكا في عمله[٢]."

استفاد سرسيد خان من مكتبة إنديا آفس ومكتبة بريتش ميوزيم (متحف بريطانيا) واستورد كتب السيرة العربية التي كانت تنشر في مصر

[١] حيات جاويد : ألطاف حسين حالي ، ج-٢/ ص:١١٤-١١٥
[٢] حيات جاويد: ألطاف حسين حالي، ج -٢/ ص :١١٥

وفرنسا وألمانيا. وكذلك بعض الكتب القديمة باللاتينية والإنكليزية التي كانت نادرة فاشتراها بثمن باهظ من سوق لندن وواصل ليله بنهاره في إعداد الرد حتى كتب اثنتي عشرة خطبة أو مقالة علمية باللغة الأردية واستخدم رجلا من أصل إنكليزي قادر على اللغة الإنكليزية أن يترجم تلك المقالات إلى الإنكليزية الرشيقة وقام بنشرها في لندن.

ومنذ بداية الكتابة حتى نشره واجه سرسيد خان مشاكل جسيمة منها قلة المصادر وشح الموارد إلا أن قلبه كان يجيش بالتحمس الديني الشديد والحمية الإسلامية المفرطة والمحبة النبوية البالغة فتغلب على كل مانع وحاجز حال دون سبيله وقد ندرك قليلا منها بواسطة رسائله التي بعث بها إلى سيد مهدي علي خان فيكتب في إحدى رسائله :" في هذه الأيام لا يطيب لي شيء وقلبي مضطرب، أرى كتاب سر وليم ميور. قد أحرق قلبي. ونظرا لجوره واتهاماته أتقلب جنبا لجنب لايقر لي القرار." ولإعداد هذا الكتاب بذل سيد خان مجهودات كبيرة توجد تفاصيلها في رسائله فقال : يجب أن يكتب، ولا باس أن تذهب جميع الأموال في هذا السبيل وأُصبِح فقيرا يتسول. ثم يكتب : مشغول في كتابة الخطبات ليل نهار. لا أعرف شيئا غير ذلك، الذهاب والإياب، اللقاء والاجتماع كل شيء متروك"[١].

ويكتب في رسالة أخرى : قد شغلني كتابة المواعظ الأحمدية (الخطبات الأحمدية) ليل نهار. لا همّ لي سواه. الذهاب والإياب واللقاء كل شيء تُرك، إذا استلمت رسالتي هذه فاذهب إلى سيد ظهور حسين" واقترضا من أحد الأثرياء ألف روبية سوف أدفع القرض مع الفائدة. وقد كتبت إلى

[١] نفس المرجع ، ج -٢/ ص :١١٥-١١٦

دلهي لألف روبية وقلت أن تباع الكتب وبضاعتي حتى الأواني المنزلية وترسل إلي ألف روبية. وقد حرّم علي النوم والأكل كتابة هذا الكتاب، اللهم انصرنا"[١].

ويكتب في رسالة أخرى : أنا مشغول في كتابة سيرة النبي (الخطبات الأحمدية) تركت كل شيء، وأستمر في الكتابة حتى أحس ألما في ظهري".. وليس هنا أحد يساعدني فازداد الأمر صعوبة. ومن جانب آخر إذا أرى المصروفات كادت النفس تزهق. يا الله! قد بدأت الكتابة وطبعها ولكن من أين يأتي المال؟ المسلمون ينهضون للمحاربة فورا، إذا أكل أحد مع الإنكليز؟ ولكن إذا يطالبون أن ينفقوا بعض الأموال في سبيل الدين فيلوذون بالفرار"[٢].

ويكتب في رسالة أخرى: ماذا أكتب عن حالي. أصبحت مبهوتا، أعاني من ألم شديد لا يعرفه أحد إلا أنا. قد انتهيت من المجلد الأول للخطبات وسيطبع في هذا الشهر نفسه. والآن تقدر قيمة الطباعة بألفين وخمس مائة روبية (٢٥٠٠روبية)، هذا مما سلبني النوم والقرار، كأنني جسد بلا روح. وقد ساعدني "سيد تراب علي" بكل جود وأرسل إلي ثلاث مائة روبية. كما أرسل إلي مير ظهور حسين مائة وخمسين روبية وميرزا رحمة الله بيغ تبرعا بقدر مائة روبية. وأرجو أن تأخذ المبالغ من زين العابدين وترسل إلي. وأرسل تبرعاتك الذاتية بقدر مائة روبية أيضا ."[٣]

---

[١] نفس المرجع ، ج -٢/ ص :١١٦

[٢] نفس المرجع ، ج-٢/ ص: ١١٦

[٣] نفس المرجع ، ج- ٢/ ص : ١١٦-١١٧

لما أرسل أصدقاؤه مزيدا من التبرعات من الهند استقرت حاله وتعززت وتنفس الصعداء.

ويبدو من بعض رسائله أنه صرف أكثر مما كان يقدر فإنه قد تم صرف نحو أربعة آلاف روبية وكل ما كان أرسله أصدقاؤه من الهند كان نحو ألف وستمائة روبية والباقي اقترض سيد خان ودفعه بنفسه ويبدو من رسالة أخرى أنه لما أراد العودة إلى الهند لم يبق لديه مبلغ للسفر وكان حزينا جدا فيكتب في رسالة: إذا لا أقترض شيئا من الأموال لا يمكن لي العودة إلى الوطن. ولا يمكن أن أبدي لأحد عن حالي. توضع الكتب المطبوعة في الصناديق لإرسالها إلى الهند ورسوم الشحنة ستكلفني مائتي روبية أخرى على الأقل. فإن أُكثر من ذكر حالي تكن في قلق أكثر[١]."

ولعله ردّا على هذه الرسالة أبدى سيد مهدي علي خان عن رغبته في إرسال سائر رواتبه واقتراض بعض الأموال الأخرى. وكان سر سيد خان من جانب يعاني من مشكلة دفع نفقات الطباعة ونشر الكتاب إذ ابتلي بفاجعة أخرى وهي وفاة ابنته فازداد تألما لدرجة أن قال : كل ما مرّ بي من المشاكل والمصائب لم تكن أقل من حادثة كربلاء." ولكن أشكرك على ما تفضلت من كلمات الحب والتقدير. وأقول إنه لم يبق لي حاجة إلى مزيد من الأموال. وقد اقترضت ثلاثة آلالف روبية ودفعت ما كان علي من الواجب فلا تقترض شيئا ولاترسل راتبك. ولكن عُلم فيما بعد أنه كان قد أرسل راتبه إليه قبل وصول هذه الرسالة."[٢]

---

[١] نفس المرجع ، ص :١١٦

[٢] نفس المرجع ج -٢ / ص:١١٧-١١٨

خصائص الخطبات الأحمدية:

يمتاز هذا الكتاب بميزات فنية وعلمية وبحثية جادة فقد ضرب سر سيد أحمد خان مثالا للبحث والتحقيق للجيل القادم من جانب وقدّم أسوة للرد على الخصوم والأعداء من جانب آخر.

وبعد ظهور هذا الكتاب قال عميد كلية ديونتي بمدينة لاهور /ريورينند هوبر/ معلقا عليه :

" من العجب الشديد أن (بعض) المسلمين يعتبرون سيد أحمد خان ملحدا وكافرا ولا دينيا. وبوجهة نظري ما قام به سيد أحمد خان من عمل جليل في حماية الإسلام لم يستطع أي مسلم آخر أن يأتي به. وبما أن المسلمين يعتقدون بأن كل الديانات ما سوى الإسلام باطلة وغير صحيحة ويرون أن الإيمان بالإسلام واجب على كل ابن آدم. فكان من واجبهم أن يعرضوا عليهم الإسلام ويكشفوا لهم عن مزاياه على من يعتبرونهم ضالين. ويذهبوا إلى بلدانهم ويعظونهم بلغتهم ويكتبون الكتب بلغتهم في الدفاع عن الإسلام. ولكنني لا أعرف أي مسلم آخر غير سيد أحمد خان، قام بمثل هذا العمل خلال القرن الثالث عشر الماضية.[١]"

السيد آرنلد من قلة القلائل وشاذ من الشواذ الذي كتب كتابا جيدا باسم Preaching of Islam وتعرف أثناء كتابته على كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين وهو مسيحي وفي مخلص يقول:" توجد أمثلة أن مسلما كتب كتابا ردا على المسيحيين بلغة قومه في الدفاع عن الإسلام وهو

[١] نفس المرجع ، ج – ٢ / ص :١١٩

يقيم في بلده وتُرجم كتابه إلى لغة أوربية ولكن لا نعرف أي مثال آخر أن مسلما سافر إلى أوربا وكتب بلغة أوربية حول هذا الموضوع ونشره فيها.[١]"

ويضع سيد عبدالله "الخطبات الأحمدية" فوق كل كتاب أتى به سرسيد أحمد خان فيقول :" يأتي كتاب "الخطبات الأحمدية" في المرتبة الأولى في ما بين سائر مؤلفات سر سيد خان إذ أن الباعث الحقيقي وراء كتابة هذه الخطب لم يكن إلا حبه الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديره واحترامه ولم يكن ينوي به تحقيق مكاسب شخصية أو سياسية وفي هذا الكتاب إجابة على اعتراضات سر وليم وميور التي أثارها في كتابه Life of Mohammad ضد النبي صلى الله عليه وسلم. فكتب سيد خان الخطبات الأحمدية ردا عليه وكان ميور يحكم الولاية. ولكنه لم يبال ذلك ولم يخف منه. وكذلك لم يكن همّه الأول من كتابته خدمة العلم بل كتب وقلبه مفعم بحب النبي وعقيدته وإطاعته صلى الله عليه وسلم. وتقديرا لإخلاصه وتفانيه نضع هذا الكتاب على رأس كتبه الأخرى.[٢]"

ومن الخصائص الهامة لهذا الكتاب أن المؤلف لم يختر طريقة المجادلة والمخاصمة فيه مع المستشرقين بل عرض وجهة نظره بطريقة علمية محضة مستدلا بالقرآن والروايات الصحيحة والتاريخ والكتب المقدسة لليهود والمسيحيين وكتابات المستشرقين. كما برهن لهم فكرتهم المتضاربة وآراءهم المتناقضة وما اختاروا من أسس ومعايير مزدوجة فقد يتبعون معايير لأنفسهم وأخرى للمسلمين. ولو أن هذا الكتاب قد جاء في الرد على كتاب "سر وليم ميور إلا أنه كشف عن أخطاء المستشرقين الآخرين مثل

[١] نفس المرجع ، ج-٢- / ص: ١١٩

[٢] سر سيد اور انکے نامور رفقاء کی نثر:سيد عبدالله ، ص:٤١-٤٢

اسبرنكر وهوبر وغيرهم. وجدير بالذكر في هذا الصدد أنه إذا وجد شيئا نافعا منهم أخذه بكل رحابة صدره.

تناول سيد أحمد خان كل المواضيع والقضايا التي أثارها (سر وليم ميور) ضد النبي صلى الله عليه وسلم وحياته الخاصة والعامة وردّ عليه بأدلة قاطعة . والقضايا الواردة في كتابه:

الرد على التشكيك في نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، هل كانت والدة إسماعيل أَمَة أم حرّة؟ تفنيد ميورعلم الأنساب للعرب، وعدم الإقرار بأن الإسلام آخر دين كامل، والحروب التي حاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعدد الأزواج في الإسلام، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والطلاق، والرق في الإسلام، وحرية الرأي في الإسلام، وانتشار الإسلام بحد السيف، وحرية الأديان الأخرى، والجزية في الإسلام، والأحاديث النبوية، والنبي أجاز الكذب في أربع مناسبات، وهل وضعت الأحاديث لأغراض سياسية؟ واستناد ميور إلى كتاب الواقدي ومثله، وكذلك اعتراض ميور على الأحاديث التي رواها صغار الصحابة، وعدم استدلال العلماء بالأحاديث الموضوعة، وقصة "تلك الغرانيق العلى ...."، وخضاب النبي صلى الله عليه وسلم، واختلاف القراءات، والناسخ والمنسوخ، وجمع وتدوين القرآن، ونشأة النبي صلى الله عليه وسلم في بني سعد وفصاحته والقرآن الكريم، وترتيب الآيات والسور، والدعايات الكاذبة عن القرآن الكريم. وتاريخ الكعبة المشرفة، وعلاقة مراسم حج بيت الله بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وواقعة الإسراء والمعراج، وتربية النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حليمة ولسان القرآن الكريم، وأحداث طفولة النبي صلى الله عليه وسلم، واسم النبي أحمد ومحمد

وانكار ميور، وعلامة ختم النبوة، وإصابة النبي صلى الله عليه وسلم بمرض الصرع (نعوذ بالله من ذلك).

وللتعرف على رده العلمي وأسلوبه الأنيق نقدم بعض النماذج لكتابته. فبعد استعراض عابر للتقاليد والمراسم السائدة بخصوص الزواج والطلاق ووضع المرأة قبل البعثة المحمدية يقول سيد خان :"قد ذكرت هنا تقاليد العصر الجاهلي بطريقة عابرة ولكنني أتوقع أن بعد التعرف على العرب الجاهليين شبه الوحشيين لكن ذي العقول العالية والطبائع الحرة وأحوالهم العائلية والاجتماعية يضطر رجل عادل إذا يوجد شخص كهذا في الدنيا إلى أن يقضي ما كان وضع العرب قبل الإسلام وكيف تحولت بعد ذلك وتغيرت أخلاقهم على وجه العموم. فإن استعراضنا العابر هذا سيساعد الرجل المنصف إلى حد كبير في المقارنة بين الأحوال السابقة مع ما بعدها وفي الاستنباط والتوصل إلى طريق الصواب[١]."

وبالنسبة لتعدد الأزواج كما يلوم المستشرقون الإسلام والمسلمين ومنهم ميور ويشير إلى هنغز العالم الأوربي الكبير: لا أعرف لماذا يوجهون نقدا شديدا إلى الإسلام بخصوص تعدد الأزواج. ولكن لا ينتقد أحد بسليمان وداؤد عليهما السلام الذين كانا يعملان على أحكام شريعتهما. كما أن عيسى عليه السلام لم يمنع عنه في أي من الأناجيل العشرين التي كتبها أتباعها لضبط أوامره وتوجيهاته. كما أن جون ديون بورت كتب في كتابه مستندا إلى آيات الكتاب المقدس (بائبل) ويعلم منها أن الرب لم يجعله محبوبا فحسب بل جعل فيه بركة وخيرا". وبعد ذلك يقول سيد أحمد خان

[١] الخطبات الأحمدية : سر سيد أحمد خان ، ص :١٣١-١٣٤

"الآن نقول إن الإسلام وضع حدا من تعدد الأزواج بطريقة أحسن من أية ديانة أخرى وجعل تعدد الأزواج مباحا في حالات خاصة"[١].

وبالنسبة للطلاق وبعد استعراض أمر الطلاق في الديانات اليهودية والمسيحية يقول : لايمكن النفي أنه إذا ينشأ خلاف وشجار بين المرأة والرجل ويصبح غير قابل للعلاج فإنه يجب أن يوجد له حل والطلاق هو العلاج والحل ويضيف قائلا : تثبت هذه الأحكام (الشرعية) بصورة جيدة أن الإسلام لم يسمح للطلاق إلا أن يثبت نعمة والذي تدرأ به الخلافات والآلام (النفسية) وحالة التوتر بين الزوجين إما بصورة كاملة أو جزئيا. وإن لم يتم الطلاق فإن الوضع قد يزداد سوءا يوما فيوما. وفي مثل هذه الظروف قد لا يكون الطلاق عاملا مسيئا لحسن المعاشرة وبعكس ذلك سيصبح جالبا للخير والبركة لكلا الطرفين[٢].

وبالنسبة للرق في الإسلام فيقول عنه سيد أحمد خان " لو ننظر فى هذا الأمر حسب وجهة نظر الديانات الأخرى فإنه لايمكن لليهود والمسيحيين أن يتجرؤوا على أن يعيبوا الإسلام على ذلك الأمر أو يعترضوا عليه. فإن كل الكتب الدينية تشمل على مواد تعترف بالسماح للرق. ولا يوجد في الإنجيل موضوع واحد يمنع الرق". ويضيف: "لو نقول الحق فإن الإسلام استأصله. لن يجعل أحد رقيقا ما سوى أسرى الحرب. وكان هذا أيضا بسبب التقليد السائد في الزمن الجاهلي وقضى عليه القرآن بقوله :"إما منّاً بعد وإلا فداء" فإن الذين يطلقون سراح الأسرى لوجه الله فلهم مكانة

[١] المصدر السابق ص: ١٦٤-١٦٥
[٢] المصدر السابق ص ١٧٦

عالية عند الله. وأما الذين يطلقون سراحهم لقاء فدية فهم في المرتبة الثانية. وأما الذين كان لديهم أرقاء من ذي قبل فعليهم أن يتعاملوا معهم كعضوا لهم ."[١] وناقش سيد خان بإطناب فينقل قول النبي صلى الله عليه وسلم :"قال (في حق العبيد) إن إخوانكم أخوكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولاتكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم". وبعد ذلك نقل قصة الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه ورقيقه حيث سافر إلى بيت المقدس فقطع المسافة الطويلة من المدينة المنورة إلى البيت المقــدس وتناوب الركوب على الجمل مع رقيقه. لم تسجل البشريـــة مثالا كهذا عبـــر التاريـــخ الإنساني. [٢]

وهل الإسلام انتشر بحد السيف؟ فيقول سيد أحمد خان" هذا من الاتهامات التي أوردها غير المسلمين بصورة غير عادلة إما أنهم يغضون النظر عن الحقيقة عمدا فإن الإسلام عبارة عن إيمان وإقرار قلبي. والإيمان القلبي لايخلق بالجبر والإكراه. وإما أنهم يريدون تشويه تاريخ الإسلام. والاعتقاد بأن الإسلام انتشر بحد السيف والإكراه يخالف الحكم القرآني والتوجيه الرباني حيث قال عزوجل: ((لا إكراه في الدين ....))[٣] وقال عزوجل : ((ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون))[٤].

---

[١] المصدر السابق ، ص: ١٥٣

[٢] الجامع الصحيح للبخاري باب قول النبي صلى الله عليه وسلم العبيد إخوانكم. نقلا عن الخطبات الأحمدية ص:١٨٠

[٣] سورة البقرة – الآية :٢٥٦

[٤] سورة يونس – الآية :٩٩-١٠٠

كما أن الإسلام تمنح الحرية الكاملة للديانات الأخرى والعمل على أحكامها ومراسمها. ويقول سيد خان: من مميزات الإسلام أنه يمنح الحرية التامة للناس أن يتبعوا أديانهم. وينقل أقوال العلماء المسيحيين في هذا الصدد."كتب في موسوعة جيمبرس عالم مسيحي لايتوقع منه أن يكون متعاطفا مع الإسلام مقالة حول التاريخ العام لأندلس فقال: إن خلفاء بني أمية امتازوا من الملوك المسيحيين أنهم منحوا الحرية الدينية لأتباع الديانات الأخرى".

وكتب جارد فري هيغينز بهذا الصدد : ليس هناك شيء كهذا حيث يذم القديسون المسيحيون الإسلام أنه توجد فيه عصبية كثيرة ولاحرية للديانات الأخرى. هذا زعم باطل ومجرد مراءاة. فمن كانوا الذين نفوا المسلمين المور من الأندلس لأنهم لم يقبلوا الديانة المسيحية. فمن كانوا الذين قتلوا آلافا مؤلفة من سكان بيرو وميكسيكو وأعطوهم كأرقاء. وذلك لمجرد سبب أنهم لم يكونوا مسيحيين. ومقارنة مع ذلك ماذا فعل المسلمون في اليونان؟ لم يزل المسيحيون يعيشون بأمن وسلام مالكين أراضيهم ولم يتعرض المسلمون لهم ولعلمائهم وآبائهم ولم يمسوا كنائسهم."[١]

وكتب جون ديون بورت، صاحب كتاب An Apology to Islam:
إن الإسلام لم يتدخل في شؤون أية ديانات أخرى، ولم يؤذ أحدا، ولم يُقِم محكمة دينية خاصة لمعاقبة أتباع الديانات الأخرى ولم يمارس الضغط على الناس لقبول الإسلام مكرها. نعم! قصد أن يشيع الإسلام ولكن لم ينشره بالجبر والإكراه. وبفضل قبول الإسلام يحصل المفتوحون حقوقا متساوية

[١] الخطبات الأحمدية ص : ١٩٤-١٩٥

مع الفاتحين والدول المفتوحة تكون حرة حسب الشروط التي كان يعمل بها كل فاتح من بداية العالم حتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم."

ويكتب نفس الكاتب : إن الإسلام يتحلى بخاصية تعارض عدم حرية الأديان الأخرى. وفي كل صفحة من صفحات تاريخه وفي كل بلد من بلاد العالم حيث انتشر فيه الإسلام لم يتدخل في شؤون الديانات الأخرى وبعد مضى ألف ومائتي عام على الأحـــداث التي نذكرها أعلـــن عنها الشاعـــر المسيحـــي "لا مارتين" في فلسطين: إن المسلمين وحدهم على سطح الأرض الذين يحفظون الحرية الدينية لأتباع الديانات الأخرى. واعترض سائح إنجليزي سليدن على المسلمين قائلا إنهم يعطون للديانات الأخرى حرية أكثر بكثير مما ينبغي." ولندرس الآن هذه الآراء التي جاء بها العلماء المسيحيون غير المتعصبين وغير المحايدين وكيف تدحض اتهام سروليم بأن الإسلام لايمنح الحرية للديانات الأخرى."[١]

وقضية أخرى تناولها سيد خان هي وضع الأحاديث لأغراض سياسية. فبعد نقل أقوال المستشرقين في هذا الصدد خاصة قول ميور يكتب سيد أحمد في هذا المضمار أنه ارتكب خطأين : أولا لم يكن جامعو الحديث مرتبطين برقي الدولة وسياستها وحكومتها بل إنما كانوا رجال الدين وجمعوا الأحاديث النبوية لأغراض دينية. وكل ما جمعوه من الأحاديث هي بروح دينية محضة وليس هناك عشرون بالمائة لمصالح سياسية. وثانيا أنه لم يمض وقت أن المسلمين اعتبروا أمور السياسة أمرا إلهاميا."[٢]

---

[١] الخطبات الأحمدية ص: ١٩٨

[٢] المصدر السابق، ص :٢٣٤

الكيفية التي كانت تطرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في حين نزول الوحي يعتبره سروليم بمرض الصرع. ومن المثير للدهشة والضحك أن يرتأي أحد أن نوبات الصرع قد خلقت في ذهنه تصور الرسالة وكان أتباعه يتمسكون بنفس المعتقدات ونحن نعرض هذا الأمر على كل شخص عادل وغير متعصب و نسأله هل من المعقول أن شخصا يعتبره الناس مصابا بمرض الصرع أن يقدم نوبات صرعه كدليل للرسالة الربانية والناس يرون ما له من مرض وهو يدعوهم إلى ترك ما كانوا معتادين عليه من عبادة الأصنام والأوثان. فهل يمكن أن يؤمن برسالته الخالدة كل صغير وكبير من أقربائه وقومه ويتركون معتقداتهم ودياناتهم ومراسم آبائهم وأصبحوا معتقدين له قولا وعملا"[١].

وتقديرا لهذا العمل الجليل قال الشيخ أبوالحسن علي الندوي عنه: إن هذا الكتاب يكفي عن سر سيد خان لمغفرته إن شاء الله"[٢].

The Life and Teachings of Mohammed

هذا أهم كتاب كتبه الأستاذ سيد أمير علي ردا على كتابات المستشرقين حول السيرة النبوية ولعل أول كتاب من نوعه كتب باللغة الإنجليزية الرشيقة الرائعة خصيصا للرد على أهم وأشهر المستشرقين الذين كتبوا حول السيرة النبوية والإسلام ويمتاز أيضا بطريقة الاستدلال التي يستدل بها صاحبها إذ إن المخاطبين هم المستشرقون.

---

[١] المصدر السابق ص:٤٥١-٤٥٦

[٢] الإسلام والمستشرقون (بالأردية) ج ١/ ص :٢٢

وبعد ذكر المستشرقين الغرب في مقدمة الكتاب، بين الهدف من هذا الكتاب :

In the following pages, my object has been to embody the principal …… final object of our existence.

في الصفحات التالية هدفي أن أبين الميزات الأساسية لحياة وتعاليم النبي العربي بشكل واضح، أزيل عن أذهان كثير من القارئين التحاملات والتصورات الخاطئة. وأحاول وأثبت ان الإسلام مازال نعمة حقيقية للإنسانية. وإنه أيضا ساعد في رفع الإنسانية كما فعلت المسيحية جزئيا من ذي قبل. وفي الحقيقة وهذه حقيقة كبرى يقودها ربنا الكريم إلى الهدف النهائي لوجودنا"[١].

وطريقة استدلاله في كتابه هو أنه يستدل بالروايات التي وردت في ابن هشام وابن الأثير. كما رد على الغربيين مستندا إلى التاريخ الأوربي والمسيحي. ولغته رائعة حلوة سلسة لايشوبه أثر الهنود هذا مما اعترف به علماء الغرب كما قال عنه المستشرق آسبورن (Osborn): "إن هذا الكتاب يستحق الإعجاب حقا، وقد كتب بأسلوب يدل على ملك كاتبه لناصية اللغة الإنجليزية، أسلوب قل من يستطيع أن يجاريه من الإنجليز المثقفين، أسلوب خلا من العيوب التي وقع فيه مثقفو الهنود... ويجب أن يهنأ مسلمو الهند بأن يكون منهم من بلغ هذه الدرجة"[٢].

تناول المؤلف في هذا الكتاب حياة النبي صلى الله عليه وسلم بدءا من الوضع الديني والاجتماعي السائد في العالم آنذاك حتى وفاته صلى الله عليه

---

[١] The Life and Teachings of Mohammad by Syed Ameer Ali, page no.xiv

[٢] نقلا عن الإسلام والمستشرقون للشيخ أبي الحسن علي الندوي، الناشر: المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلمـــاء ، لكناؤ (الهند)، ص:٣٢

وسلم. ينقسم الكتاب إلى تسعة عشر بابا. ومن أهم مواضيعه حياة النبي في مكة المكرمة وبروزه كإنسان مثالي للبشرية ثم النبوة والدعوة إلى الله والمثابرة في سبيل الله وقصة الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة والمؤاخاة وميثاقه مع كافة قبائل اليهود وغيرها والغزوات مثل بدر وسلوك المسلمين مع الأسرى وغزوة أحد والأحزاب وصلح الحديبية وفتح مكة والعفو العام وغزوة حنين وتقسيم أموال الغنائم وغزوة خيبر وحجة الوداع. ثم تناول المبادئ الأساسية للقوانين الإسلامية: منها تصور الإله في الديانات اليهودية والمسيحية والوثنية والإسلامية. وتصور العبادات مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج في الديانات اليهودية والمسيحية وفي العرب والإسلام. كما عالج هل الإسلام انتشر بحد السيف بالإشارة إلى التاريخ الأوربي؟ كما أبرز انعدام تصور الواجبات الدولية قبل الإسلام. وسلط الضوء على انعدام تصور الأخلاق الدولية قبل الإسلام. وتعدد الأزواج في الأمم والديانات العالمية والإسلام. والطلاق وتحسن وضع المرأة في ظل الإسلام. والرق في العالم. والعرب قبل البعثة المحمدية ، والإسلام كنظام سياسي. والعلوم والفنون في المسلمين ونقلها إلى أوربا. والإسلام وحرية الفكر وما إلى ذلك. ولنرى كيف تناول المواضيع المذكورة أعلاه نذكر بعضا منها على سبيل المثال:

بعد ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حاول إحلال السلام فيها حيث يعيش فيها كل من المسلمين واليهود وغير اليهود كأمة واحدة بأمن وسلام قام بمعاهدة مع قبائل اليهود والعرب بهذا الصدد. ويكتب في هذا الصدد ما ملخصه :

اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم كافة أتباع الديانات المسيحية واليهودية والوثنية العربية أمة واحدة بموجب وثيقة أعطاها وصرّح أن كل من يقبل هذه الوثيقة يعتبر من هذه الأمة. هكذا حاول النبي صلى الله عليه وسلم إيجاد انسجام كامل بين مختلف الديانات وإحلال سلام دائم ونموذج عالمي للمستقبل. ويذكر ذلك سيد أميرعلي : "هذه الوثيقة أعطيت من قبل محمد النبي، للمسلمين سواء كانوا من قريش أو من يثرب وكل الأفراد من أي أصل كانوا الذين جعلوا همهم واحدا، هؤلاء كلهم يعتبرون أمة واحدة. وكذلك تستمر الوثيقة في ذكر الأمن والسلام والحرية الدينية لكل القبائل خاصة القبائل اليهودية القاطنة في المدينة". وفي النهاية قالت الوثيقة "إن كل النزاعات المستقبلية بين الذين قبلوا هذه الوثيقة، سوف تحال بإذن الله – إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[١].

ويمنح الإسلام حرية العبادة وحرية التعبير ويعطي لها ضمانات لكافة الديانات الأخرى الخاضعة لحكومة إسلامية ويقول القرآن الكريم "لااكراه في الدين".

التسامح : وأوضح سيد أميرعلي بأدلة رائعة التسامح الذي يمتاز به الإسلام والذي أرسى قواعده النبي صلى الله عليه وسلم. ويكتب في هذا الصدد: "ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالوعظ والنصيحة للتسامح بل جعله قانونا : إقرأ الرسالة التي كتبها الى المسيحيين في نجران : كتب رسول الله إلى قديس بني حارث وقديسي نجران وربانيها وكل من يتبعها ورجال دينها أن يستمروا في كل شيئ صغير وكبير كما كان هو، في

[١] The Life & Teachings of Mohammad ص: ٧٤ نقلا عن ابن هشام ص ٣٤١-٣٤٣.

كنائسهم، عباداتهم. ولهم ضمان الله ورسوله. إنه لا يتنحّى أي قديس عن وظيفته ولا رباني عن مكانته ولا رجل دين عن ديانته. إن حقوقهم وصلاحياتهم لا تبدل، ولا أي شيئ كان من مراسمهم، طالما يؤدونها بصورة سلمية وأسلوب ملائم. ولا يظلم عليهم أحد ولايجوز لهم أن يظلموا على أحد.[١]"

لم يتدخل الإسلام في شؤون أية ديانات أو معتقدات، ولم يضطهد أحدا، ولم يفرق بين أمة وأخرى. وقارن معاملة المسيحية والإسلام مع الأديان الأخرى نقلا عن المستشرق اركوهات : " بالنسبة للمسيحيين كانت الديانة سببا للحرب ولم يكن ذلك في العصور المظلمة فحسب بل في المتنورة. والمذابح باسم الديانة للسيكسونس، الفريسيين والقبائل الأخرى من قبل تشارلمين، من قتل الملايين في ميكسيكو وبيرو، وإحراق ألوف من الرجال والنساء الأبرياء، المناظر البشعة للقتل خلال الحروب للثلاثين عاما حتى اضطهاد القبائل في اسكات لندا ولوثر انكلترا سلسلة غير منقطعة لعدم التسامح والتزمت والتشدد''.

"ويقال إن الوضع مثل الحرب قد تسرب إلى المسيحية خلال العصور الوسطى من قبل الإسلام المهاجم. ولكن مذبح جستانيين، الحروب الوحشية المسيحية باسم الديانة قد حدثت قبل وقت طويل للبعثة المحمدية"[٢].

إنه قام بالمقارنة مع ما فعل أتباع المسيحية بعد السيطرة على المناطق الإسلامية وما فعل أبناء الإسلام مع المسيحيين : "قارن مرة أخرى سلوك

[١] The life and teaching of Mohammad ص:٢٠٧-٢٠٨

[٢] The life & Teaching of Mohammad ص:٢١٤-٢١٥

المحاربين المسيحيين مع المسلمين. عندما تولى الخليفة عمر رضى الله عنه مقاليد حكم القدس في عام ٦٣٧ الميلادي، إنه دخل المدينة جنبا مع جنب القديس صفرانيوس متحدثا معه حول قضاياها. وفي حين الصلاة، رفض أن يؤدي فريضته في الكنيسة، ورد على عرض القديس قائلا لو أفعله، قد يخرق المسلمون للمعاهدة في وقت قادم بحجة أنهم يتبعون أسوتي. ولكن لما سيطر المحاربون المسيحيون ضربوا رؤوس الأطفال على الحيطان، زجوا الصبيان في المعارك، وصلوهم في النار، البعض قُتِلوا تقتيلا.....، جر اليهود إلى الخنادق وأحرقوا فيها، وذبح نحو (٧٠٠٠٠) سبعين ألف شخصا، وشوهد أن القديسين يشاركون في حفلة هذا الانتصار."[١]

وبعد هذه المقارنة التاريخية التي لا يمكن نفيها يقول : "إن الإسلام رفع السيف في الدفاع عن نفسه، والمسيحية رفعته لكي تقمع حرية الفكر وحرية العقيدة. بعد السيطرة على القسطنطينة، كانت المسيحية أصبحت الديانة المسيطرة في العالم الغربي. ولذا لم تكن لها أية مخاوف من أعدائها ولكن منذ اللحظة التي فيها أصبحت هي الحاكمة إنها اتخذت منهج التهميش والتخصيص. وأينما انتشرت المسيحية، لم تعد لأية ديانة أخرى من الممكن أن تتبع بدون مضايقة."[٢]

الواجبات الدولية والأخلاق العالمية: ماعرفت البشرية قبل البعثة المحمدية أن هناك واجبات ومواثيق وفرائض يجب احترامها وتطبيقها بين القبائل والديانات والأمم والشعوب. ومحمد صلى الله عليه وسلم هو أول

[١] نفس المرجع ص : ٢١٥-٢١٦
[٢] نفس المرجع ص : ٢١٦

شخص عرّف بهذه المواثيق وقطعها مع الأمم والديانا ت واحترمها وطبقها نصا وروحا ويكتب في هذا الصدد سيد أميرعلي: "في حين البعثة المحمدية، الواجبات الدولية لم تكن معلومة. عندما كانت قبيلة أو أمة تشن حربا ضد الأخرى، تكون النتيجة ذبح الرجال القادرين على المحاربة، واسترقاق الأبرياء ونهب الأموال.

الروميون الذين استغرقوا ثلاثة عشر قرنا لتطوير نظام القوانين، التي كانت جامعة وشاملة كما يمكن تصورها ولكن ماعرفوا واجبات الأخلاق الدولية أوالإنسانية. إنهم شنوا الحروب لمجرد استعباد الأمم المجاورة. وأينما نجحوا فرضوا إرادتهم على الناس على الاطلاق. والمعاهدات أبرمت ومزقت حسب ما أملت عليهم ضمائرهم. ولم يعطوا أهمية تافهة لحرية الأمم الأخرى. والمسيحية لم تفعل شيئا في هذا الصدد والأمر استمر كذلك. ولم تقل شيئا عن الأخلاق الدولية وترك الناس أن يتيهوا في الظلام."

ولكن المفكرين الجدد بدلا من الاعتراف بهذا النقص الحقيقي في نظام المسيحية – أي الوضع ترك للإصلاح والإكمال – قد حاولوا تبرير الأمر"[١].

زواج النبي صلى الله عليه وسلم : بالنسبة لزواج النبي صلى الله عليه وسلم فإن كثيرا من أعداء الإسلام جعلوه موضع انتقاد ولكن الحقيقة هي انه كان لضرورات دينية واجتماعية ومصالح سياسية وليس لإشباع شهوات جنسية. ولنرى على سبيل المثال أول زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها فقد كان عمره ٢٥/سنة وعمرها

[١] نفس المرجع ص: ٢٠٢-٢٠٣

٤٠/سنة. ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم من إمرأة أخرى حتى وفاتها وكانت هي الرفيقة الوحيدة التي كانت تساعده في كل أمر وفي حين وفاتها كان عمره ٥١/سنة. ويقول سيد أمير علي :

"His enemies cannot deny, but are forced to admit, that during the whole of this long period, they have not a single flaw to find in his moral character[1]".

"لايمكن لأعدائه أن يرفضوا، بل هم مضطرون إلى الإعترف بأنه خلال هذه الفترة الطويلة بأسرها لم يجدوا نقصا واحدا في سلوكه الاخلاقي".

ولنرى مثالا آخر لزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

ويكتب عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم من جويرية وهي كانت بنت حارث، شيخ قبيلة بنى المصطلق واصبحت أسيرة لمسلم في سرية أرسلت لقمع ثورتها. كانت قد اتفقت مع من أسرها بأن تدفع مبلغا محددا وتجعلها حرة وإنها التمست من محمد صلى الله عليه وسلم للمبلغ المطلوب فأعطاها على الفور. واعترافا منها بهذا المن الجليل وشكرا له على ما ساعد على استعادة حريتها إنها عرضت نفسها على محمد صلى الله عليه وسلم وتم الزواج منها. وسرعان ما سمع المسلمون عن هذا العقد قالوا في ما بينهم :الآن لبني المصطلق أواصر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولازم أن نتعامل معهم على هذا الأساس ولذا تسرع كل فاتح إلى إطلاق سراح المعتقلين كان قد أخذه في السرية وهكذا ألوف من العائلات استعادت حريتها بفضل زواج جويرية من محمد صلى الله عليه وسلم[٢] .

---

[١] The life and teaching of Mohammad by Ameer Ali ص :٢٢٨

[٢] المرجع السابق ص :٢٣٢ وهذا ما رواه ابن هشام : ٧٢٩

فهذه بعض الأمثلة فحسب وإلا هناك نماذج وأمثلة رائعة قد دحض بها سيد أمير افتراءات واتهامات المستشرقين وباسلوب علمي دقيقة وبلغة سلسلة رشيقة فليراجع كل من يرغب في البحث والتحقيق العلمي .

"محمد (صلى الله عليه وسلم) والقرآ ن (الكريم)" لـــ "رفيق زكريا"

"محمد والقرآن " كُتب أصلا باللغة الإنجليزية باسم Muhammad & Quran في الرد على كتاب سلمان رشدي Satanic Verses. كتبه رفيق زكريا وترجمه إلى اللغة الأردية الدكتور مظهر محي الدين ونشره "مكتبة جامعة نيودلهي المحدودة في مارس ١٩٩٤م. ويحتوى الكتاب على ٤١٤ صفحة.

قام سلمان رشدي بكتابة ونشر رواية Satanic Verses واستهزأ بالإسلام والقرآن وقدم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأسوأ وأقبح طريقة. وشوه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن والإسلام.

وكانت هناك ردود أفعال شديدة ضد فعلته المفندة في أوساط المسلمين عبر العالم. وأقيمت مظاهرات ومسيرات احتجاج في المدن والبلدات والقرى في كل أنحاء العالم. وسجلوا غيظهم وغضبهم ضد هذا الشيطان ولعل العالم لم تشهد تنديدات على نطاق أوسع كهذا وأصدر الإمام الخميني فتوى لقتله فاختفى فنهضت بريطانيا والدول الأوربية لحمايته ومساعدته بكونه أداة صالحة لها في شكل الشيطان الذي يجرح مشاعرالمسلمين ويجعل أضحوكة للإسلام والمسلمين ويشوه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ويشبع غليلهم من الحقد والكراهة التي تكن في صدورهم.

وقام رفيق زكريا بالرد على كتابه بطريقة علمية ونشر الكتاب من نفس المطبع "بين غوين بكس" انجلترا وأمريكا والهند.

وقد نشرت تعليقات على كتاب زكريا في كثير من المجلات والصحف في أمريكا ولندن. علما أن هؤلاء المعلّقين هم غيرالمسلمين وجدير بالذكر أن كل شخص قدّر لهذا الكتاب تقديرا عاليا وأثنى عليه ثناءً بالغا.

فقد قام مراسل إذاعة بريطانيا بإجراء مقابلة مع الأستاذ زكريا وقال : "هذا الكتاب للأستاذ زكريا رد منطقي مزود بأدلة دامغة، ولوكان قد صدر فور نشر كتاب سلمان رشدي، لما كانت هناك إحتجاجات واسعة".

والسيدة شوبها دي وهي صحفية معروفة كتبت في صحيفة اندين اكسبريس اليومية الصادرة في نيودلهي بتاريخ ٢٢م ستمبر١٩٩١ م معلقة عليه: "كتب رشدي كتابا لغوا وكريها يثير الشرور والفتن ولكن كتاب الأستاذ زكريا كتاب منطقي علمي. اضطر رشدي إلى اللجو والاختفاء بعد نشر كتابه وبعكس ذلك جذب كتاب زكريا انتباه العالم إليه وأكسب له تقديرا واحتراما".

والبروفيسور أكبر أحمد من جامعة كيمبرج قدّم إلى الأستاذ زكريا التهاني الحارة بكلمات : إن ما قام كتاب سيد أمير علي Spirit of Islam في إزالة الاشاعات ضد الإسلام في الغرب في القرن التاسع عشر ونفس العمل يقوم به كتاب زكريا في القرن العشرين."

شيطان رشدي جعل أضحوكة للملك جبرئيل عليه السلام كما أنه جعل هدفه الحروب التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم ضد المشركين

واليهود وثالثا إنه جعل هدفه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقدم أسوأ صورة وأقبحها للنبي صلى الله عليه وسلم وفاق جميع المستشرقين في تقبيح صورة النبي صلى الله عليه وسلم. وإنه قدم بيت دعارة فيه اثنتى عشرة امرأة فاجرة وسمى كلا منها باسم أزواج النبي المطهرات.

هذا ما يحتوي عليه الجزء الأول للكتاب والجزء الثاني يتعلق بالقرآن الكريم فإنه بيّن الوحي ومكانة الوحي ونزول الوحي وكيفية الوحي ثم قام بتعريف القرآن الكريم بإطناب من حيث المواضيع التي تناولها القرآن الكريم وكيفية معالجة الموضوع. ثم عناوين السورثم ترتيب السور ثم تدوين القرآن الكريم. ويكتب اسم السورة ورقمها المتسلسل ثم عدد الآيات ثم يذكر السياق الذي أنزلت فيه تلك السورة ثم ملخص موضوعات السورة ثم ترجمة الآيات المنتخبة وخاصة ما يأتي في الرد ضد الآيات الشيطانية. إنه سجل ترجمة بعض السور القصار بالكامل مثل سورة الإخلاص، والكوثر، والعصر، والفلق والناس.

وفي هذا الكتاب فصل خاص عن ذكر الأنبياء والرسل وقصصهم فإنه ذكر كافة الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم وصورهم كما ذَكر في القرآن الكريم بدون إضافة من الأحاديث والآثار وكتب التاريخ ولم يذكر شيئا إلا ما ذكر في القرآن الكريم. إما إنه لخص ما ذكر أو سجل الآيات المذكورة في القرآن أو ذكر بكلماته وذكر بعض الآيات القرآنية كدليل وشهادة. وللتعرف على كيفية تناوله هذا الموضوع نرى على سبيل المثال ذكر موسى ومريم وعيسى عليهم السلام. وذلك تحت عنوان "قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم".

أولا التمهيد ثم ذكر قصص الأنبياء :آدم ، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، شعيب، يوسف، موسى، يونس، أيوب، داؤد، سليمان، زكريا، وعيسى عليهم السلام أجمعين.

وعقد عنوانا آخر "ترتيب سور القرآن الكريم" حيث ذكر فيه كيفية جمع وتدوين القرآن الكريم وترتيب آياته وسوره في القرآن الكريم. كما ذكر ما هي السور المكية وما هي السور المدنية.

وفي نهاية الكتاب وضع عنوانا "حياة محمد صلى الله عليه وسلم". وذكر فيه حياة النبي صلى الله عليه وسلم باختصار شديد وأهم الأحداث حسب التقويم الغريغوري.

أهم خصائص هذا الكتاب : هذا رد علمي من كاتب هندي دقيق النظر وواسع الاطلاع على التاريخ والسيرة. إنه تناول قصة "تلك الغرانيق العلى " بصورة علمية دقيقة وكشف القناع عن مزاعم وأكذوبات أعداء الإسلام مثل رشدي . كما أنه تناول موضوع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مقنعة حيث برهن للعالم ما كانت من مصالح دينية وعلمية واجتماعية وسياسية لزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف الأسر والقبائل والأمم العربية وغير العربية.

وخلاصة القول إن الهنود لم يتخلفوا في كتابة السيرة النبوية والرد على مزاعم واتهامات المستشرقين حول السيرة النبوية وضربوا مثالا للرد العلمي على المخاصمين والأعداء وخير مثال على ذلك "الخطبات الأحمدية" للأستاذ سر سيد احمد خان و The Life and Teachings of Mohammed للأستاذ سيد أمير علي و"سيرة النبي" صلى الله عليه وسلم للعلامة شبلي و"محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن" للأستاذ رفيق زكريا.

أهم المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم والصحاح الستة
٢. سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد
٣. العقيقي ، نجيب ، : المستشرقون، دار المعارف، القاهرة ، مصر، طبعة ثالثة سنة ١٩٦٤م.
٤. الإسلام والمستشرقون باللغة العربية هي مجموعة مقالات علمية ألقيت في الندوة العالمية لمجمع دارالمصنفين، المنعقدة في ٢١،٢٢، ٢٣ / فبرائرعام١٩٨٢م.
٥. السباعي، الدكتور مصطفى، : الإسلام والمستشرقون، (نسخة منزلة من شبكة الإنترنيت) http://.kotob.has.it
٦. خان، سر سيد أحمد، : الخطبات الأحمدية، باللغة الأردية، طبعت في أكاديمية سر سيد، جامعة عليجراه الإسلامية، مدينة علي جراه، (الهند)، عام ٢٠٠٣م.
٧. اسلام اور مستشرقين : باللغة الأردية وهي مجموعة مقالات طبعت في ثمانية مجلدات من دار المصنفين، بمديرية أعظم جراه، ولاية اوتاربراديش (الهند).
٨. حالي، ألطاف حسين، : حيات جاويد ، الناشر : مطبع مفيد عام آجرا، الهند، طبعة ثانية ، عام ١٩٠٣م.
٩. سيد عبدالله، : سر سيد اور انکے نامور رفقاء کی نثر، الناشر: دهلي چمن بکڈپو،٢٠٠٦م
10. Ali, Syed Ameer, : The Life and Teachings of Mohammad, published by Adam Publishers & Distributors , 1542, Pataudi House, Darya Ganj, New Delhi-110002, India. (Edition 2008)
11. Zakeria, Rafiq,: Muhammad & Quran, published by Maktaba Jamia Ltd. New Delhi-110025, (March 1994).

***

تأثير العلوم الطبية الهندية على العرب خلال العصور الوسطى

الدكتور محمد أنيس فاروقي*

كانت الهند أحد مراكز الحضارة العلمية في القديم وحظيت بمكانة مرموقة في العالم بكونها زاخرة بالعلوم والمعارف المختلفة كالعلوم الطبية والرياضيات وعلم الفلك والنجوم وغيرها فشد العلماء من الأمم المختلفة الرحال إليها ليستفيدوا من منابع العلوم الهندية ويسدوا عطشهم العلمي من مناهلها وعلى رأسها العلوم الطبية لأن الإنسان يحتاج إليها في كل مراحل الحياة المختلفة ولا يستغني عنها أحد في أي مرحلة من مراحل الحياة.

ولا شك في أن الهنود احتلوا مكانا ساميا وكسبوا شهرة واسعة في العلوم الطبية بكونهم بارعين بعلاج الأمراض المختلفة وماهرين في خصائص الأدوية واستخدامها وعارفين علم الجراحة وذلك لأن الهند كانت من البلدان التي عنى أهاليها بالعلوم الطبية منذ قديم الزمان وحصل لهم قصب السبق الذي اعترف به العلماء اليونانيون والعرب والفرس كما ينورنا الجاحظ في رسالته "فخرالسودان على البيضان"أن الهند اشتهرت

* باحث هندي

بالحساب و... وأسرار الطب ... والصناعات الكثيرة العجيبة."[١] فأثرت العلوم الطبية الهندية وتركت انطباعات عميقة وبصمات راسخة على العلوم الطبية للأمم المختلفة بما فيها العلوم الطبية العربية فاستفاد العرب من الآراء والأفكار الطبية الهندية واقتبسوا منها وألفوا الكتب في المجالات الطبية المختلفة في ضوءها ولعبوا دورا مهما في تطوير العلوم الطبية وترقيتها فنسلط الضوء الآن على تلك العلوم الطبية الهندية التي تركت بصمات واضحة وانطباعات راسخة على العرب في السطور التالية:

علم الطب وتأثيرالكتب الطبية الهندية على العرب : كان علم الطب علما يوجد من قديم الزمان[٢] ومن المخمن أن جذوره وأصوله ترجع إلى سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد فاختلف المؤرخون والكتاب فيمن اخترع هذا العلم فبعضهم يظنون أن المصريين اخترعوه وقد ذهب بعضهم إلى أن "هرمس" هو مخترع هذا العلم وبعضهم يرون أن أهل القوس اخترعه وذكروا الهنود بهذا الصدد أيضا.[٣]

أما الطب في الزمن القديم فكان يعاني من سيطرة السحر وأوهامه عليه عند أكثرالشعوب بمن فيهم العرب ورغم هذا كله ، كان العرب مشهورين في العهد الجاهلي بمعرفة كثيرمن الأمراض وبارعين في فهم الخصائص والأغذية والأدوية والعلاج بها وإن كان عددهم قليلا ومنهم الحارث بن كلدة الثقفي وابنه النضر اللذان استفادا من أطباء الفرس والروم

---

[١] - مجموعة رسائل : الرسالة الرابعة : فخر السودان على البيضان للجاحظ ، (الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٤هـ) ، ص ٧٣

[٢] - إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي ، (سنة ١٣٢٦هـ) ، ص ٦

[٣] - نفس المصدر ، ص ٦٥ ، وأيضا الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٨٣ ، و أيضا عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤ – ٥

ولكن كل هذه المعلومات لدى العرب كانت معرفة جزئية ومتفككة وهي وليدة الممارسة والخبرة الطويلة ولم يكن لها أساس نظري يدعمها ويبرر وجه القول. وأما الطب الهندي فكان راقيا ومتقدما من الطب العربي وحتى من الطب الرومي والفارسي في بعض الميادين كما أقراليعقوبي بهذه الحقيقة قائلا:"قولهم في الطب المقدم".[١] وأما الأطباء الهنود فكان لهم قصب السبق في مجالات الطب المختلفة لأنهم كانوا شهيرين منذ قديم الزمان بمعرفة خواص الأربطة العضلية((Muscular bonds ورتق العظام (Joining the bones) وطار صيتهم في التضلع من الجهاز اللفاوي(Redress System) والضفائر العصبية(Muscular Plaits) واللفائف (Bandages) والأنسجة الدهنية (Oily Tissues) والأوعية الدموية (Blood vessels) والأغشية المخاطية والمفصلية ((Articular & Mucous Membranes وكذلك أحرزوا براعة ومهارة في فهم نظام الهضم(Digestive System) ومعرفته بصفة كبيرة وكسبوا إلماما جيدا بمعرفة واستعمال الأدوية والعقاقيرUse of durgs & pharmaceuticals)) وبمعرفة تأثيراتها السلبية (Side Effects) وقد وصف الكتاب العرب أن الأطباء الهنود كانوا على معرفة جيدة بالتطعيم (Vaccinstion) قبل عام ٥٥٠ الميلادي وكان لهم إلمام ببدايات التنويم المغناطيسي (Hypnotism) التي كانت وسيلة للمعالجة وكذلك أشار الأطباء الهنود إلى أثر البعوض في نقل الحمى "الملاريا" (Malaria) وأما علاج الطب الهندي فكان يقف بالأصالة على

[١] - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج١ ، ص ٧٩ ،

تدبير الطعام الصحي والاستحمام وكان يعتمد على الاستنشاق والحجامة[١] ومن الجدير بالذكرأن التشريعات الطبية تواجدت عند الهنود في الأمراض المعدية (Contagious diseases) والعلل الوراثية (diseases Hereditary) والأسقام الخطيرة والمضنية (Dangerous diseases) في الزمن القديم فهذه التشريعات (Statutories) والتوصيات (Recommendations) الطبية الهندية تضاهي التشريعات الطبية الحديثة كإجراء الفحص الطبي قبل عقد الزواج(Carrying out medical check up before the marriage) وقد ورد في كتاب "المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية":"وكان لهم تشريعات طبية تضاهي أحدث التشريعات كتحذيرعقد الزواج إلا بعد الفحص الطبي أو بين شخصين مصابين بالأمراض الوراثية مثل البرص."[٢]

ولكن لما جاء الإسلام في الجزيرة العربية وبدأت حركة الفتوح الإسلامية اتصل المسلمون بسواهم وشعروا حاجة إلى الطب لمعالجة جرحاهم ومداواة مرضاهم بأحسن طريقة فأولوا لهذا العلم عناية خاصة ودفعوا إليه اهتماما خاصا وبدأوا ترجمة الكتب الطبية اليونانية في العصر الأموي[٣] ولكن لما جاءت الخلافة العباسية إلى حيز الوجود وجه المسلمون اهتمامهم وصرفوا انتباههم إلى علم الطب الهندي بسبب شهرته الواسعة

[١] - المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ألفه الدكتور شحادة الناطور ، والدكتور أحمد عودات ، والدكتور جميل بيضون ، (الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩م) ، ص ٨٤

[٢] - المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ألفه الدكتور شحادة الناطور ، والدكتور أحمد عودات ، والدكتور جميل بيضون ، (الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩م) ، ص ٨٤

[٣] - البيان و التبيين للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (الطبعة الرابعة ، سنة١٩٧٥م) ، ج ١ ص ٢٦٠ ، و أيضا نشأة العلوم الطبيعية في العصر الأموي للطف الله قاري ، (الطبعة الاولي ، سنة ١٩٨٦م) ، ص ١٤٥، و أيضا تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ، (الطبعة الرابعة ، سنة ١٩٥٧م) ، ج ١ ص ٥١١

وصيته الحسن في العالم فيظهر من الروايات التاريخية أن يحيى بن خالد بعث رجلا إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في الهند[١] ولكي يستفيد منها في المضمار الطبي فأولى يحيى بن خالد وجماعة البرامكة اهتمامهم للثروة العلمية الهندية وعنوا بإحضار علماء الطب الهندي فتأثروا بالأفكار الطبية الهندية واستقدموا أعلام الطب الهنود واستدعوهم إلى بغداد ككنكة(Kanak) ومنكة (Manak) وصالح بن بهلة(Behl) وابن دهن (Abindhan) وصنجهل(Sanghal) و بازيكر(VijayGhar) وقلبيرقل (Kulbir) وسندباز(Sidhbar) وغيرهم[٢] فقام الأطباء الهنود بخدمات جليلة في الطب في بغداد فاعترف الخليفة العباسي هارون الرشيد بهذه الحقيقة وأقر بتفوقهم العلمي وأسبقيتهم الطبية ولذلك استدعاهم إلى بغداد كصالح بن بهلة ودفع اهتمامه إلى تنظيم المستشفيات ومدارس الطب في بغداد[٣] فاشتهر الأطباء الهنود الذين هاجروا من الهند إلى بغداد ، في مجال الطب وذلك في العصر العباسي واستفاد العرب منهم وعكفوا على نقل كتبهم الطبية إلى العربية إضافة إلى الكتب اليونانية والفارسية في مضمار الطب فنقل كثير من مؤلفات الهنود في الطب إلى اللغة العربية إما مباشرة أو بواسطة اللغة الفارسية ومنها كتاب سيرك الهندي- وفي رأي الباحث أنه كتاب تشرك الهندي للطبيب الهندي الشهير بـ"تشرك"- وكتاب آخر في علامات الأدواء ومعرفة

[١]- كتاب الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣٤٤- ٣٤٥

[٢] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، و راجعه و علق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧- ١٧٨

[٣]- المدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ألفه الدكتور شحادة الناطور ، و الدكتور أحمد عودات ، و الدكتور جميل بيضون ، (الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩م) ، ص ٨٤

علاجها[١] ثم بذل العرب قصارى جهدهم في التفريق والتمييز بين الغث والثمين والرطب واليابس منها فعلقوا عليها وأضافوا إليها إضافات هامة فيبدو من التاريخ أن هذه الكتب الهندية المنقولة إلى العربية في مجال الطب لعبت دورا بارزا في تشكيل الطب العربي فاستفاد الأطباء العرب المسلمون كالرازي صاحب كتاب "الحاوي" وابن سينا صاحب كتاب "القانون" والزهراوي" صاحب كتاب "التصريف لمن عجز ...." وغيرهم من الأفكارالطبية الهندية كما تتضح من الإشارات إلى الأفكار الطبية الهندية التي توجد في كتبهم الطبية ثم ابتكروا فيها ابتكارات عظيمة تدعمها التجربة وتؤيدها المشاهدة والملاحظة وتربط بينها وحدة الاستقلال والبرهان في القانون والسببية وبسبب هذه الإضافات والابتكارات في مضمار الطب كتب للطب العربي أن يسبق الطب الأوروبي مئات السنين.

ومن الكتب التي نقلت من الهندية إلى العربية وتركت تأثيرات عميقة وانطباعات راسخة وبصمات واضحة على أذهان العرب وأفكارهم في مجال الطب هي :

الكتب الطبية الهندية المنقولة إلى العربية :

١ - سشرت سنهتا (Sushrut Sanhita) : ألف هذا الكتاب الطبيب الحاذق والبارع الهندي "سشرت" نحو سنة ٩٠٠ ق م والذي كان يعد من أساطين الطب الهندي وأعلامه في زمنه. ومن المخمن أنه أول كتاب نقل إلى العربية من الهندية في مجال الطب فقسم المؤلف هذا الكتاب إلى ثمانية

[١] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، و راجعه و علق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩) ، ج ٣ ، ص ١٧٧

أبواب ومأة وخسمين فصلا ووصف فيه٣٤١ عشبا يستخدم في الطب.[١] وجدير بالملاحظة أنه ذكر فيه أيضا علامات مختلفة للأمراض المتعددة والأدواء المتنوعة والعلاج بها مع تفاصيل الأدوية فكان هذا الكتاب بمثابة مجرى الكناش في ذلك الزمن فكتب ابن النديم في كتابه قائلا : "أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكة الهندي في البيمارستان ويجرى مجرى الكناش".[٢] وكما أعتقد أن العرب ذكروا هذا الكتاب بإسم "كتاب سسرد في الطب" في ضمن كتبهم الطبية والتاريخية كما ورد في تاريخ اليعقوبي : "ولهم فيه الكتاب الذي يسمى "سسرد" فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها".[٣]

وقد نفهم أهمية هذا الكتاب و تأثيره على العرب في مجال الطب وفي هذا المكان نلاحظ أن الرازي الذي يعتبر من عباقرة الطب العربي وفطاحله قد استفاد من هذا الكتاب و نقل منه الأفكار الطبية الهندية في كتابه الشهير "الحاوي" و قد شهد على هذا ابن أبي الأصيبعة قائلا : "وجدت الرازي قد نقل في كتابه "الحاوي" وفي غيره عن كتب جماعة من الهند مثل كتاب سيرك الهندي وعن كتاب سسرد."[٤]

٢- تشرك سنهتا (Charak Sanhita) : قام الطبيب الحاذق الهندي "تشرك" بتصنيف هذا الكتاب نحو سنة ٦٠٠ ق م وقسمه المؤلف هذا الكتاب إلى ٦ أبواب و١٨٦ فصلا وذكر فيه ٣٩٥ عشبا طبيا ولم أنسى أن أصف أن المؤلف ركز فيه على الجراحة على وجه الخصوص[٥] وأما كيفية ترجمته إلى العربية فترجمه عبد الله بن علي من الفارسية إلى العربية لأنه

---

١ - P. 5, (2012, Second Edition)، Mohammed Ali , Text Book of Pharmacognosy

٢ - الفهرست لابن النديم ،(سنة الطبع غيرمذكورة) ، ٢٩٨ ، و أيضا عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤

٣ - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـ"اليعقوبي" ، و قدم له و علق عليه السيد محمد صادق ، سنة ١٩٦٤م ، ج ١ ، ص ٧٩

٤ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤

٥ - P. 5, (2012, Second Edition)، Mohammed Ali , Text Book of Pharmacognosy

أولا نقل من السنسكريتية إلى الفارسية ويروى أن الطبيب الهندي الشهير منكة (Manak) ترجمه فذكر المؤرخون العرب هذا الكتاب في كتبهم بإسم "شرك الهندي" أو "سيرك الهندي"[١] وكتب أبو الريحان البيروني في كتابه الشهير"في تحقيق ما للهند" عن هذا الكتاب : "ولهم كتاب يعرف بصاحبه وهو "شرك" يقدمونه على كتبهم في الطب ويعتقدون أنه كان "رشا" في "دواير" الأدنى وكان إسمه "أغن بيش" ثم سمي "شرك" أي العاقل لما حصل الطب من الأوائل أولاد "سوتر" وكانوا رشين وهؤلاء أخذوه من "إندر" وأخذه إندر من "أشوني" أحد طبيبي "ديو" وأخذه هذا من "برجابت" وهو براهم الأب الأول ، وقد نقل هذا الكتاب للبرامكة إلى العربي".[٢]

ذكر ابن النديم أن الرازي استفاد من هذا الكتاب الهندي واقتبس الآراء الهندية في الطب منه أيضا[٣] وتجدرالإشارة إلى أن الصيدلى الكبير ابن بيطار استفاد من هذا الكتاب ويشهد على هذا كتابه "الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية" الذي نجد فيه ذكرالآراء الطبية الهندية المنقولة من هذا الكتاب في مواضع مختلفة فعلى سبيل المثال ورد في كتابه : "وفي كتاب شرك الهندي أن الثوم جيد لتفجيرالدبيلة والقولنج وعرق النسا، وإذا أريد تفجير الدماميل طبخ بالماء واللبن حتى ينحل وينصب الماء ثم يؤخذ فإنه ينفع أيضاً من السلع والحميات العتيقة وقروح الرئة ووجع المعدة."[٤] فيدل كل هذا على أن هذا الكتاب كان يحظى بشعبية كبيرة ويحمل أهمية قصوى لدى العرب أيضا.

---

[١] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨ ، و أيضا تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي" ، و قدم له و علق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٧٩

[٢] - في تحقيق ما للهند لأبي الريحان البيروني ، (سنة ١٩٥٦م-١٣٧٧هـ) ، ص ١٢٣

[٣] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤

[٤] - الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية لابن بيطار ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٩٧

٣- كتاب السموم : ألف هذا الكتاب الطبيب العبقري الهندي شاناق(٣٥٠-٢٨٣ ق م)[١] الذي قلد منصب الوزارة في عهد الملك الهندي الشهير تشندرغبت موريا (٣٢١- ٢٩٨ قبل الميلاد) ونقله كنكة الهندي من السنسكريتية إلى الفارسية ثم ترجم أبو حاتم البلخي منها إلى العربية ليحيى بن خالد البرمكي وبعد ذلك نقله عباس بن سعيد الجوهري من جديد إلى العربية في عهد المأمون فتتجلى أهمية هذا الكتاب عند العرب من الكلمات التي كتبها ابن أبي الأصيبعة عن صاحب هذا الكتاب فهو يقول:"ومن المشهورين أيضا من أطباء الهند شاناق وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم وفي الحكمة وكان بارعا في علم النجوم ، حسن الكلام ، متقدما عند الملوك."[٢]

٤- كتاب في علاجات النساء : صنفت الطبيبة الهندية "روسا" هذا الكتاب[٣] وتم نقله إلى العربية من السنسكريتية في العهد العباسي فاستفاد أطباء العرب من هذا الكتاب كثيرا في تشخيص الأمراض النسائية وعلاجاتها فواحد منهم الرازي الذي اقتبس الآراء الطبية الهندية من هذا الكتاب في علاجات النساء في كتابه الشهير"الحاوي".[٤]

٥- كتاب توقشنل / نوكشنل : ألف الطبيب الهندي "توقشنل" كتابين في علم الطب وهما : (١) كتاب توقشنل : ذكر فيه المؤلف مأة مرض ومأة

[١] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣١٢
[٢] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٥
[٣] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨
[٤] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤

دواء.[١] (٢) كتاب "التوهم في الأمراض والعلل" فأخذ الرازي الأفكارالطبية الهندية من هذين الكتابين في ضمن الأمراض المختلفة وعلاجاتها في كتبه.[٢]

٦- كتاب في أجناس الحيات وسمومها : ألفه الطبيب الخبير رأي الهندي[٣]

٧- كتاب ندان أو بدان : وصف المؤلف أربع مأة وأربعة أمراض ومعرفتها بدون علاج في هذا الكتاب.[٤] ويبدو أن إسم هذا الكتاب الهندي "مدهارا ندانا" (Madhara Nidana) الذي ألفه مدهارا.[٥]

٨- كتاب أجناس الحيات : صنفه الطبيب الحاذق ناقل الهندي.[٦]

٩- كتاب أطر في الاشربة : يبدو أن أطر هو إسم المؤلف لهذا الكتاب.[٧]

وثمة كتب طبية نقلت من السنسكريتية إلى العربية في أمراض مختلفة وتركت آثارهاعلى الطب العربي إلا إننا لا نعرف أسماء مؤلفيها ولذا نكتفي بذكرعناوينها التي هي كما يلي :

١- كتاب علاجات الحبالى للهند[٨]

٢- كتاب السمومات للهند[٩]

٣- كتاب استانكر الجامع : ترجمه ابن دهن إلى العربية[١٠]

٤- كتاب في علامات الأدوار ومعرفة علاجها[١]

---

[١] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨

[٢] - نفس المصدر ونفس الصفحة

[٣] - نفس المصدر ونفس الصفحة

[٤] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤ ، و أيضا تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعرو ف بـ"اليعقوبي" ، و قدم له و علق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م)، ج ١ ، ص ٧٩

[٥] - Mohammed Ali , Text Book of Pharmacognosy، P. 6, (2012, Second Edition)

[٦] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٣١٣ ،

[٧] - نفس المصدر ، ص ٣٠١

[٨] - نفس المصدر ، ص ٢٩٨

[٩] - نفس المصدر ، ص ٣١٣

[١٠] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨

٥- كتاب في معرفة العلل والأدواء والعلاجات[٢]

٦- كتاب السكر للهند

٧- كتاب سندهشان أي كتاب صفوة النجح : : ترجمه ابن دهن إلى العربية وأشار ابن النديم إلى إسمه الأصلي هكذا: "كتاب سند ستاق".[٣]

٨- ترجمة كلب باره : نقله أبو الريحان البيروني وهي مقالة للهند في الأمراض التي تجرى مجرى العفونة.[٤]

وهذه هي الكتب الطبية الهندية التي وصل ذكرها إلينا على مر الدهور والعصور ولكن قد ضاع كثير منها بمرور الزمان ومن هنا لا نجد في أكثر الأحيان إلا أسماء الأطباء الهنود الذين تم نقل كتبهم إلى العربية من السنسكريتية في مجال الطب و حسب تصريحات ابن النديم كما يلي : "باكهر، وراحة، وصكة، وداهر، وآنكو، وزنكل، وأريكل، وجبهر، واندي، وجباري."[٥]

تأثير الكتب الطبية الهندية على العرب : تأثر المسلمون العرب بأفكارهندية في مجال الطب كثيرا وتشهد على هذا تلك الآراء الهندية في مجال الطب التي توجد في كتب الأطباء العرب البارعين في مجالهم كالرازي وابن سينا والزهراوي وغيرهم فكتب ابن أبي أصيبعة عن الكتب الطبية الهندية وأطبائها يلقي الضوء على أهمية تلك الكتب وتأثيرها على العرب وقال : "والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء (وهم منكة، وصنجهل،

---

[١] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، وراجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧

[٢] - مروج الذهب و معادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المعروف بـ"المسعودي" ، (الطبعة الخامسة ، سنة ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٩٧

[٣] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨ ، و أيضا تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٧٩

[٤] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، وراجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص١٧٩

[٥] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٧١

وباكهر، وراجه، وصكة، وداهر، وأنكر، وزنكل، وجبهر، وأندي، وجاري، كل هؤلاء أصحاب تصانيف وهم من حكماء الهند وأطبائهم) فيما بينهم ويقتدون بها ويتناقلونها وقد نقل كثير منها إلى اللغة العربية ووجدت الرازي أيضا قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره عن الكتب جماعة من الهند مثل كتاب شرك الهندي وعن كتاب سسرد."[١]

وكذلك كتب جرجي زيدان وهو يركز الضوء على تأثيرات كتب الهنود الطبية على العرب : "ويظهر مما كتبه المسلمون بعد العصر العباسي في الأدب أو الطب أو الصيدلة أو السير أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية الأصل راجع قانون ابن سينا مثلا أو الملكي للرازي أو غيرهما من كتب الطب الكبرى فتراهم يذكرون بعض الأمراض ويشيرون إلى أن الهنود يسمونها مثلا كذا وكذا أو يعالجونها بكذا وكذا."[٢] فاستفاد العرب من هذه الكتب كثيرا في الفحص عن الأمراض والعلاج بها خاصة حينما لا يجد العرب كيفية معرفة العلل والعلاج بها في كتبهم الطبية كما تستبين من كتابات جرجي زيدان في "تاريخ التمدن الإسلامي" فكتب بهذا الصدد هو يلقي ضوءاً على الطبيب البارع صالح بن بهلة الهندي الذي قدم إلى مدينة بغداد الخاضعة للعراق في أيام الرشيد:"خالط أطباءها يومئذ واختلطوا به، فإذا لم يكونوا نقلوا شيئا من كتبه فلا بد من اقتباسهم شيئا من آراء الهند عنه."[٣]

وكذلك كتب الدكتورأحمد فريد الرفاعي عن تأثيرالهنود على العرب وأشارإلى الحقيقة أن المسلمين العرب اعتمدوا في تأليف كتبهم الطبية على

[١] - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي الأصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٤
[٢] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، وراجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧
[٣] - نفس المصدرو نفس المجلد ، ص ١٧٨

الكتب التي نقلت من الهندية إلى العربية أو على الكتب التي ألفها أطباء الهند مثلا كنكة وترجموها إلى العربية فذكر الرازي وابن سينا وغيرهما آراء الهنود الطبية في كتبهم الطبية الكبرى.[١] فهذه الكلمات إن دلت على شيئ فإنماهى تدل على أن العرب استفادوا من الكتب الطبية الهندية في الفحص عن الأمراض المختلفة والعلاج بها وتأثروا بآراء الهنود كثيرا في مجال الطب.

الصيدلة : استفاد العرب من الأمم المختلفة بمن فيها الهنود في مجال العقاقير والحشائش والأدوية كما يظهر من الرواية أن يحيى بن خالد بعث رجلا إلى الهند ليجلب العقاقير والحشائش الموجودة في بلاد الهند[٢] وكذلك نقل العرب والمسلمون كتبا تتعلق بعلم بالعقاقير والحشائش من اللغات المختلفة بما فيها السنسكريتية إلى العربية فهذه الاستفادة من الأمم المختلفة في مجال العقاقير والأدوية لعبت دورا مهما في نشأة علم الصيدلة وتقدمها كعلم مستقل فعلى أيدي العرب قطع علم الصيدلة شوطا بعيدا و رفعوها عن مستوى تجارة العقاقير وجعلوا القوانين لمنع الغش فيها. وأما الكتب الهندية التي ترجمت في اللغة العربية من السنسكريتية واستفاد منها العرب في مجال العقاقير فهي كما يلي :

١ - كتاب مختصر للهند في العقاقير[٣]

٢ - كتاب أسماء عقاقيرالهند : ترجمه كنكة الهندي لإسحاق بن سليمان[٤]

---

[١] - عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعي ، (الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٨م) ، ج ١ ، ص ٣٨٨- ٣٨٩

[٢] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨

[٣]- نفس المصدر و نفس الصفحة

[٤] - نفس المصدر و نفس الصفحة ، و أيضا تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ،ج ١ ص ٨٠

٣- كتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة.[١]

٤- كتاب ششرت سنهتا : يعالج بقضايا الأدوية أيضا وقد سبق ذكر هذا الكتاب بالتفصيل في هذا الفصل ضمن ذكر الكتب الطبية الهندية المنقولة إلى العربية.[٢]

٥- كتاب تفسيرأسماء العقاقير: صنفه الطبيب الهندي منكة وذكر فيه أسماء الأدوية والأعشاب الهندية الأصل.[٣]

وأما تأثير الكتب الهندية على العرب في مجال الصيدلة فهي تتضح من أن المسلمين اعتمدوا في تأليف كتبهم في مضمار الصيدلة على الكتب الهندية المنقولة إلى العربية في العقاقير والحشائش بعد العصرالعباسي وتوجد الإشارات بهذا الصدد في كتب العرب في مجال الصيدلة.[٤] فعلى سبيل المثال ذكرابن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" الأدوية الهندية المختلفة وفوائدها للأمراض المتنوعة ومنها الهليلج والخولان الهندي والملح الهندي وأملج والبقم والبندق الهندي والتانبول والقرطم الهندي والنارجيل و السنبل الهندي والبيش وجوزبوا وورق الساذج الهندي وغيرها كثير.

---

[١] - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ص ٧٩

[٢] - الفهرست لابن النديم ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٢٩٨ ، وأيضا تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف بـ"اليعقوبي"، وقدم له وعلق عليه السيد محمد صادق ، (سنة ١٩٦٤م) ، ج ١ ص ٨٠

[٣] - Mohammed Ali , Text Book of Pharmacognosy، (2012, Second Edition), P. 6,

[٤] - تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان ، وراجعه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، (سنة ١٩٦٩م) ، ج ٣ ، ص ١٧٧

وأما البيطرة فاستفاد العرب من الهنود في هذا المجال كثيرا ونقلوا كتبا هندية في علم البيطرة إلى العربية لكن لا نجد إلا ذكر كتاب واحد في كتب التاريخ فقط وهو كتاب الطبيب البارع شاناق.[١]

***

[١] - عيون الأنباء في طبقات لأطباء لابن أبي أصيبعة ، (سنة الطبع غيرمذكورة) ، ص ٤٢٥

التبادل الثقافي والحضاري بين الهند والكويت

الدكتور عبد الناصر علي*

العلاقات الهندية لها تاريخ طويل غني عن البيان والتوضيح ولكنها قامت على الحاجات الوليدة في الطرفين وعلى رأسها التجارة، فتعززت على ظهر التواصل والتبادل الثقافي والتجاري وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الهندية لما دخل الإسلام شبة القارة الهندية وتأثرت الثقافة الهندية كثيرا بالثقافة العربية الإسلامية، و للهند أيضا دور كبير في إغناء الحضارة الإنسانية قبل الإسلام والذي ساعده على ذلك هو الموقع الجغرافي للهند في خريطة العالم الذي مكّنه من الاحتكاك بالحضارات والثقافات العالمية، وعلى مر العصور أصبحت الهند بوتقة انصهار الثقافات وبالتالي أصبحت الهند كالحديقة الجميلة التي تتفتح فيها أنواع و ألوان من الزهور وتقدم في مجملها منظرا رائعا وخلابا، كل زهرة منفردة بجمالها ولكنها تعطي منظرا بهيا بامتزاج الألوان.

يعود التبادل الثقافي والحضاري والتجاري والمثل والقيم المشتركة بين الهند والكويت إلى أقدم العصور ويمتد طوال القرون

* المحاضر الضيف في مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

العديدة فقد اكتشفت بالكويت في جزيرة فيلكا مجموعة من الآثار التي تدل على أن الصلة بين الهند والكويت بدأت منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد ونظرا لأن هذه الجزيرة تمثل نقطة مرور للسفن القادمة من بلاد الرافدين باتجاه الهند[١]. ولذا تضرب العلاقات الكويتية الهندية بجذورها التاريخية في أعماق الزمن فهي تمتد إلى زمن الغوص بحثا عن اللؤلؤ حين كانت السفن التجارية الكويتية تنقل اللؤلؤ والذهب والبضائع من القارة الهندية وإليها. ومن هنا ازدادت العلاقات التجارية بين البلدين في تجارة اللؤلؤ والذهب خاصة وفي البضائع الأخرى عامة. و مهدت هذه العلاقات بين الهند والكويت الطريق للتواصل والتبادل الثقافي والحضاري بين البلدين.

تعود هذه العلاقات إلى الألف الخامس قبل الميلاد كما تدل على ذلك بعض الآثار التي تم اكتشافها في بلاد الرافدين أو في المواقع الأثرية المنتشرة على طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية في حضارات وادي السندر إلى السند ومالابار وبومبائي التي تسمى الآن بومبائي وكولكتا فأقاموا فيها واستوطنوها وإلى هذا الجانب قد أشار الدكتور عبد المنعم النمر بصدد تواجد الكويتين في كاليكوت وهو يقول: " زرت المدينة الكبيرة وهي التي تسمى الآن "كاليكوت" عدة مرات وأقمت فيها أياما وهي تقع على ساحل لها من البلاد العربية وتعود محملة بالأخشاب والجبال وجوز الهند الفلفل وشاهدت بها مسجدا قديما جدا، يقال إنه يرجع إلى ألف سنة مضت

[١] - الكويت والهند ، إعداد مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت، ص ٥

وقابلت بها بعض العرب من البحرين والكويت الذين استوطنوها وأصبحت لهم تجارة كبيرة مثل يعقوب الصقر من الكويت وغيره وكثير من الأسر فيها يفتخر بأن أصله عربي.[١]

ولقصد التجارة قد استوطن بومبائي بعض رجالات الكويت مثلا خالد الفرج وأسرة العيسى وآل إبراهيم وغيرهم وهم كانوا يتكلمون اللغة المحلية وكانت لهم مكاتب تجارية خاصة بهم وينقلون منها إلى الكويت البضائع المختلفة والمواد الغذائية وهذه التجارة كانت لهم رابحة ولذا أقاموا هنا إلى أمد بعيد.

ويطيب لنا أن نذكر أن العلاقات التجارية بين الكويت والهند كانت مربحة لكلا الطرفين ولذلك حرص الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت في ذلك الوقت في بداية القرن العشرين على تشجيع التجار الكويتين وحرصا منه على ازدهار اقتصاد الكويت وأبنائها فقد شجعهم على فتح مكاتب لهم (استيراد وتصدير) فانتشرت مكاتبهم في كراتشي وبومبائي وكاليكوت وبوربندر وغيرها.[٢]

وراجت التجارة بين البلدين خاصة تجارة اللآلي والذهب فكانت اللآلي السلعة الرئيسية التي كان الكويتيون يحملونها للتجارة إلى الهند وكانت مدن سورت وبومبائي سوقا رابحة لتجارة اللؤلؤ قديما ومن هنا تم نقلها إلى أسواق أوربا أيضا. وهكذا كانت السفن الكويتية تنقل الذهب من إلى الكويت حتى نهاية الحرب العالمية

[١] - الدكتور عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ص ٦٨

[٢] - الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، تاريخ الكويت ج ٢: مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ص ٤٥

الثانية. وكانت هذه التجارة رابحة لكلا البلدين. علاوة على ذلك كانت السفن تنقل من الهند إلى الكويت محملة بأنواع من المواد الإنشائية مثل "البامبو" الذي يستخدم لأسقف المنازل والمواد الغذائية مثل الأرز والتوابل والشأي ، إضافة إلى المنسوجات والمواد الاستهلاكية.[١]

وبدأت العلاقات بين الهند والكويت رسميا في عهد الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت سنة ١٨٩٥م وهي الفترة التي تنازع فيها الإنجليز مع الأتراك العثمانيين الذين يحكمون العراق ويحاولون للسيادة على الكويت فكشف حاكم الكويت عن اتفاقية سرية بينه وبين الإنجليز بالحماية والتبعية الخارجية فقط مما جعل العثمانيين يكفون عن المطالبة بذلك. وكانت الهند في تلك الآونة تحت سيطرة الإنجليز فبدأت العلاقات السياسية تزداد كل يوم بين الهند والكويت وكذلك اتسعت تجارة الكويت مع الدول المجاورة وصارت الكويت ميناء للبضائع الهندية وكما صارت الهند سوقا للكويت ثم نشطت التجارة بين البلدين وأصبحت موردا اقتصاديا لكلا البلدين.

والعلاقات السياسية الحديثة بين الكويت والهند بعد استقلال الكويت ، نتيجة للتواصل التجاري والاقتصادي وما ترتب عليه من روابط اجتماعية أو علمية أو دينية . فصدر مرسوم أميري في ٢٤ من يونيو عام ١٩٦٤ بتعيين السيد يعقوب عبد العزيز الرشيد سفيرا فوق العادة ومفوضا من دولة الكويت لدى جمهورية الهند. ومنذ ذلك

[١]- الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، تاريخ الكويت ج ٢: مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت،٢٠٠٧ ، ص ٣٧

الوقت صدر العديد من المراسيم الأميرية والاتفاقيات التي تنظم العلاقة الاقتصادية بين البلدين.[١]

وتبادل زيارات الوفد الدبلوماسي رفيع المستوى بين البلدين وزادت علاقات سياسية وتجارية وحتى قام الشيخ جابر الأحمد الصباح مع الوفد المرافق رفيع المستوى بزيارة رسمية تاريخية للهند في عهد رئيسة الوزراء السيدة أنديرا غاندي عام ١٩٨٠م ، وشدد جابر الصباح على عمق العلاقات الكويتية الهندية وقال سموه أن تلك الزيارة تعد فرصة طيبة لتوثيق العلاقات بين البلدين الصديقين على المستويين الحكومي والشعبي ودراسة القضايا ذات الاهتمام المشترك وفي خطوة مماثلة لتدعيم أواصر العلاقات الكويتية الهندية قامت رئيسة وزراء الهند السابقة أنديراغاندي بزيارة رسمية إلى الكويت في مايو ١٩٨١ واعتبرت دفعة قوية لتعزيز العلاقات بين البلدين الصديقين وحلقة جديدة في سلسلة الاتصالات واللقاءات التي تجسد طبيعة ومعطيات العلاقات المتميزة بين البلدين.

وزار الهند لجنة الصداقة البرلمانية الكويتية تحت قيادة الشيخ طلال مبارك عيار نائب الرئيس لمجلس الأمة الكويتي في أكتوبر ١٩٩٨م وقد تم عديد من التبادلات والزيارات الرسمية رفيع المستوى بين الهند والكويت التي تستهدف إلى ازدهار قدرات العلاقات التجارية الثنائية والتبادل الثقافي والعلمي.

[١]- يعقوب عبد العزيز الرشيد : امتع واوجع الذكريات ، شركة دار الفكر الحر

وخلال تلك الآونة وجد العديد من الزعماء الهنود فرصة لزيارة الكويت وكما زار وزير الدولة للشؤون الخارجية للهند السيد أجيت كمار مع الوفد رفيع المستوى وتعليقا على العلاقة الهندية الكويتية يقول وزير الأوقاف السابق لدولة الكويت معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان: يرتبط الكويتيون مع أهل الهند بعلاقة خاصة مميزة بوجود مئات الملايين المسلمين في الهند وتجمعهم الرابطة الروحية والعقيدة الإسلامية، والتعاطف الأخوي في الدين "إنما المسلمون إخوة" . ولم يتأخر الكويتيون عن غيرهم في التوافد على الهند أفرادا وممثلي الجمعيات الخيرية لتفقد أحوال إخوانهم من المسلمين ومديد المساعدة المادية والمعنوية فساعدوا في بناء المدارس والمساجد والكليات والمراكز الإسلامية في العديد من ربوع الهند. [١]

ولم تنقطع سلسلة الزيارات بين الكويت والهند ومن أبرز تلك اللقاءات زيارة وزير الخارجية السابق الشيخ الدكتور محمد صباح السالم الصباح إلى نيو دلهي في أغسطس عام ٢٠٠٤ التي تم خلالها إنشاء مجموعة إستيراتيجية استشارية مهمتها تنسيق عملية عقد لقاء دوري على مستوى وزيري الخارجية في البلدين للتباحث في مختلف القضايا المشتركة بين الحكومتين الكويتية والهندية. وكذلك قام نائب رئيس جمهورية الهند حامد انصاري بزيارة رسمية إلى الكويت عام ٢٠٠٩ وخلال هذه الزيارة قد تم تعزيز التعاون الثنائي

[١] - مجلة البعث الإسلامي ، جمادي الثانية ١٤٢٦ هجرية ، ٤-٩، ج ٥ ، الصادرة من لكنؤ ، الهند

في المجالات السياسية والتجارية والثقافية والتكنولوجيا وغيرها من المجالات ذات الاهتمام المشترك. وفما لا شك فيه أن الكويت تعد من أبرز الشركاء التجاريين للهند نظرا للقرب الجغرافي بين البلدين وأن الهند رابع أكبر مستورد للنفط الكويتي عالميا وتبلغ قيمة النفط الكويتي ومنتجاته المصدرة إلى الهند في كل سنة مليارات دولار أمريكي.

وقد قامت الهند بخدمات جليلة في سبيل تقوية أواصر الصداقة بين الكويت والهند وتعزيز العلاقات فيما بين البلدين وكانت الخدمات البريدية إحدى الخدمات الهامة التي ساهمت الهند مساهمة أساسية في ادخالها إلى الكويت ومما ترتب عليها طلب الشيخ مبارك الصباح في عام ١٩٠١ من الحكومة البريطانية أن تفتح مكتبا للبريد الهندي في الكويت.[١]

واستمرت هذه العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الهند والكويت ثم اتسعت في المجالات الأخرى حتى انعكست على العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين لأن معظم التجار كانوا يعيشون سنة كاملة في الهند لغرض التجارة ثم ينقلون معهم الكلمات الهندية مع اللهجة الكويتية ويوجد هذا الأثر في اللهجة الشعبية الكويتية التي تستعمل في الأغاني والتحدث فيما بينهم باللهجة العامية. والشاعر الكويتي الكبير عبد الله الفرج الذي تأثر بالهند وعاش في بومبائي في النصف من القرن التاسع عشر ونال مكانة

[١] - دليل الروزنامة البحرية، الدكتور يعقوب يوسف الحجي، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت، ٢٠٠٣، ص٥٥

مرموقة في الأوساط الأدبية الكويتية, وكان يجيد اللغة الهندوستانية كأحد أبنائها، واهتم بالموسيقى والتصوير وبرع في الشعر، قد أدخل على الشعر النبطي (العامي) كثيرا من التجديد، فأوجد أوزانا اقتبسها من الشعر الهندي، ولإتقانه الموسيقا استخلص مزيجا من الألحان الحضرمية والألحان الأفريقية ومزجهما بالأنغام الهندية وغنى بها على العود والكمان والمرواس، وهى الأنغام الكويتية المنتشرة اللآن في الخليج التي استمرت حية شائعة يتداولها الملحنون والمغنون وقد طعم الفرج بعض أشعاره الغنائية العربية بمقاطع اللغة الهندية فأعطتها نكهة خاصة وشعبية تقبلها الجمهور بالاستحسان.[١]

يطيب لي أن أذكر هنا الشاعر خالد محمد الفرج الذي نشأ في بيت موفور النعمة والجاه، وفي عام ١٩١٧م سافر إلى مدينة مومبائي حيث وجد ظروفا مؤاتية له فاستقر هناك نحو خمس سنوات وتعلم اللغة الهندية وأنشأ مطبعة فيها باسم "المطبعة العمومية" وطبع فيها ديوان شعره وقد اتضح فيه تأثره بالهند وحياتها السياسية تأثرا قويا ويبدو واضحا في قصيدته التي تدور حول الزعيم الهندي المعروف "غاندي" في سنة ١٩٢٢ م ، هذا كان وقت جهاده مع الاستعمار الانجليزي في الهند، ويتضح لنا أن هذا الشاعر كان يفكر في مواقف بلاده وقضاياها مع الاستعمار منذ سفره إلى الهند وهو يقول:

[١] - الكويت والهند، إعداد مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت، ص ٢٧

قطعـــة من نسيـــج قطن خـــام خشن حـــول هيـــكل من عظـــام
ثم رأس ، رأس "السبرمـــــان" موجودا كما صوروه في الأوهام
أذن قد أعـــارها الفيـــل إيـــاه وأنف مـــن الأنـــوف الضخـــام
وعيون كمـــن خـــلف زجـــاج نافـــذات و لا نـــفـــوذ السهـــام

هذه الصورة التي تمـــلأ الكـــون ضجيجـــا محـــاطـــة بالزحـــام
هزت الهند بالمحيـــط بهمـــــلايا ومـــا بينهـــا مـــن الأقـــوام
وحدت حولهـــا المـــلايين ممن خلقـــوا وسط بـــؤرة الانقســـام[1]

وكان عبد الله سنان شاعرا مبـــدعا فـــنظم قصـــيدة باســـم "الهنديـــة" ويصف بها المرأة الهندية وهي قصيدة جميلـــة طويلـــة ولكـــن ننقـــل هنـــا بضعة أبياتها وهو يقول في هذه القصيدة:

يا ربة الحسن ذات القرط والساري حيـــرت في هذه الأزيـــاء أفكاري
أفتنـــة أم مـــلاك أنت أم قمـــــر أم دميـــة أنت خطتـــها يد الباري
رحمـــاك رحمـــاك إن الحب أتلفني و هـــا أمامك دمعي لم يزل جاري
جودي بربـــك يا ذات الوشاح لنـــا بلفتـــة الجيـــد واطفي جـــذوة النار
في وجنتيـــك دمي لا تـــكريه فقـــد أوهبته لك فاقضي بعض أوطـــاري[2]

استمرت المحاولات من أجل تفعيـــل التبـــادل الثقـــافي بـــين الهنـــد والكويـــت فـــي مجـــالات متنوعـــة وحتـــى صـــدر كتـــاب مـــن مركـــز الدراســـات العربيـــة ، المعهـــد المركـــزي للغـــة الإنجليزيـــة واللغـــات

[1] - راجع نورية الرومي ، الحركة الشعرية في منطقة الخليج العربي بين التقليد والتطوير
[2] - عبد الله سنان (الشاعر): نفحات الخليج ، قصيده "الهندية"

الأجنبية، حيدر آباد، باسم "الأدب العربي الحديث في الكويت" للدكتور محمد إقبال حسين الندوي، وهو يشتمل على الأبحاث والدراسات القيمة التي جرى تقديمها في الندوة الدولية المنعقد في ١٨و ١٩ أكتوبر عام ٢٠٠١، ويتجلى فيه ما هي النشاطات العلمية والأدبية التي تعمل في الكويت بكل حيوية ونشاط.

و يعمل مركز البحوث والدراسات الكويتية في الكويت على تقديم البحوث والدراسات الحضارية والتراثية عن الكويت و تعنى هذه البحوث بالدراسات التأصيلية فيما يتصل بالنشاطات الحياتية لمجتمع الكويت وتطورها مثل النشاط البحري والثقافي والاقتصادي بما يبرز جوانب الحياة ومساراتها وخصائصها في المجتمع الكويت عبر العصور المختلفة. وقد صدر كتاب قيم من هذا المركز باسم "الكويت والهند" في عام ٢٠٠٦، وكتب فيه رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيم تصديرا قيما وعبر فيه عن الصلة الوثيقة بين الآباء والأجداد في الكويت مع الهند بقوله: كان آباؤنا وأجدادنا في الكويت يتحدثون دائما عن الهند بشيء من الود والتقدير، وذلك لأنهم عرفوا الكثير عنها من خلال سفرهم إليها وإقامة بعضهم فيها، ومخاطبتهم لأهلها، وتعرفهم على عادات أهل هذه البلاد والتأثر بها في المعرفة والفنون وكثير من طرائق الحياة العامة.

ويحتوي هذا الكتاب على الأبحاث حول العلاقات التجارية القديمة بين الكويت والهند والصلات الكويتية الهندية وتحدث الكتاب

عن العملة الهندية في الكويت ومساهمة الهند في الخدمات البريدية وكذلك تحدث عن العلاقات السياسية الحديثة بين الكويت والهند.

وكذلك قد ألف الدكتور يعقوب يوسف الحجي كتابا باسم "النشاط البحرية القديمة في الكويت" وهو يتحدث فيه عن رحلات الهند وفوائدها وغرائبها ويذكر لنا عن اقتصاديات السفر في رحلة الهند وعن بيع التمور وتجارة الخيول فيها ونقل الذهب من الهند وإليها وكذلك يتكلم عن التجار الكويتيين في الهند وتصدير العملات والجلود إلى الهند. وهكذا قدجمع الدكتور يعقوب الحجي المعلومات الكثيرة القديمة عن الكويت والهند فأصبح هذا الكتاب مصدرا للباحثين والدارسين في هذا الصدد.

وقد لعبت وتلعب رسالة الكويت دورا فعالا في سبيل تعزيز العلاقات الدولية وإرسال رسائلها إلى كل دول العالم، وهي رسالة دورية تصدر من مركز البحوث والدراسات الكويتية في الكويت ، وصدرت رسالة في اكتوبر ٢٠٠٦ وهي تتحدث عن الكويت والهند قديما وعن شدة التواصل والترابط والتبادل التجاري بينهما ، وذلك على نحو حقق الكثير من العلاقات الاجتماعية والثقافية بين أبناء البلدين، وكذلك تتحدث عن التبادل التجاري بين الكويت والهند قديما إلى أن نصل إلى رعاية الشيخ مبارك للنشاط التجاري في الهند.[١]

وإضافة إلى هذه الخدمات في مجال الثقافة بين الكويت والهند قد تم إنشاء بعض المؤسسات الثقافية والتعليمية التي تركت بصمات

[١]- رسالة الكويت، العدد ٦ ، اكتوبر ٢٠٠٦ ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت، ص ٢٤-٢٥

عميقة في تاريخ العلاقات بين البلدين ومنها "المنتدى العربي الإسلامي" الذي كان ناديا ثقافيا وأدبيا وملتقى للجاليات الكويتية والخليجية في بومبائي. ومنها إنشاء المدرسة العربية في بومبائي بناء على طلب المقيمين هناك من أمير الكويت المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح في أثناء إحدى زيارته للهند عام ١٩٥٢ وذلك لتعليم أبنائهم الذين يقيمون معهم.

وهناك عدد متزايد باستمرار في المجال التكنولوجي والبرمجة الإلكترونية والهندسة الصناعية والمعمارية وكما يتواجد أكثر من ١٨ منتدى ثقافي هندي ترعى شؤون الجاليات الهندية في الكويت ويتوافر أكثر من عشرين مدرسة هندية تجري إدارتها ومناهجها الدراسية حسب مقتضيات الوافدين الهنود. وهذه المدارس تؤدي خدمات كبيرة في تعليم وتثقيف أبناء الجاليات الهندية ومن ناحية أخرى هي تلعب دورا بارزا في سبيل البتادل الثقافي والحضاري بين البلدين خاصة وتعزيز العلاقات والروابط بينهما عامة.

و تلعب المؤتمرات والندوات الدولية دورا فعالا في تنشيط العلاقات الثقافية والعلمية بين البلدين ويتم تبادل الزيارات الثقافية والفن التشكيلي بينهما وتنعقد البرامج الثقافية والأدبية المشتركة بينهما تستهدف إلى التواصل والتبادل الثقافي بين الكويت والهند، كما انعقدت الندوة العالمية عن الأدب الكويتي الحديث في حيدرآباد عام ٢٠٠١م بجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية وحضرها عدد لابأس به من الأدباء والعلماء من أنحاء الهند والكويت وغيرهما من البلدان العربية الإسلامية.

وعلى مستوى الحكومة الهندية في مجال التبادل الثقافي والحضاري بين الكويت والهند قد تم توقيع اتفاقية مشروع البرنامج التنفيذي للتبادل الثقافي في ديسمبر ١٩٩٩ وتجددت العلاقات الكويتية الهندية بعد زيارة سمو أميرة البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الهند في يونيو ٢٠٠٦ التي أثمرت عن تعزيز العلاقات الكويتية الهندية وتدشين عهد جديد فيما بين البلدين وتم تجديد الاتفاقية في يونيو ٢٠٠٦ التي تهدف إلى تشجيع التبادل الثقافي والتعليمي والإعلامي بين البلدين.

وتأكيدا لأهمية العامل الثقافي في التقريب بين الشعوب تم افتتاح مكتبة الشيخ صباح الأحمد في الجامعة الملية الإسلامية في نيو دلهي في سبتمبر ٢٠١١ والتي تحتوي على آلاف الكتب الكويتية والعربية والأجنبية وجناح للصور الفوتوغرافية يوثق مسيرة طويلة وزاخرة في العلاقات الكويتية الهندية.

ولاشك فيه أن التبادل الثقافي والحضاري بين الكويت والهند قوي على المستويات التجارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية. وقد مهدت العلاقات السياسية والدبلوماسية الطريق إلى تعزيز هذه الروابط وأواصر الصداقة بين البلدين فكثر التبادل العلمي والثقافي والحضاري من خلال الزيارات في الندوات العلمية والثقافية بالجامعات الهندية والجامعات الكويتية ومن خلال الملحقيات الثقافية في السفارات ومراكز البحوث والدراسات الكائنة في كلا البلدين (الكويت والهند).

خَوْاجَهْ ألطافْ حُسينْ حالِيْ
و جهوده الفكرية والاجتماعية في بناء المجتمع الإسلامي

الدكتور محمد أنظر*

اعترف الذين عاندوا خواجه ألطاف حسين حالي البـــاني بتـــي بـــأن أهداف حركة علي كره قد نالت الترقية والازدهار بقدر بـــالغ مـــن الكميـــة والكيفية بسبب انتماء حالي إليها، وتفاقمت أهميتة المعنوية والثوريـــة التـــي حدثت من أثر حالي في مجال الشعر والأدب الأردي. وفي الحقيقة مؤلفـــات حالي مثل: مقدمه شعر و شاعري، ومسدّس حالي، و يادگارِ غالب، وحياتِ جاويد، ومرثيه غالب أعمال بارزة تصاعدت مـــن أجلهـــا عظمـــة حـــالي التاريخية وخطورته المعنوية بمرور الزمان، وحالي قد حصلت له مرجعيـــة في الأدب الأردي وشعره، فمن المستحيل التفكيرُ بدونه عـــن الأدب القـــديم والتفقه للأدب الحديث.

سجّل الأستاذ مولانا محمد الرابع الحسني الندوي مـــدير دار العلـــوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ، انطباعاته بشأن حالي في كتابـــه المعنـــون بـــــ "الغزل الأردي – محاوره ومكانته في الشعر"، قائلا:

* أستاذ مساعد بقسم الأدب العربي، كلية الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد - الهند

"لقد برزت من بين رجال الأدب والشعر المرموقين باللغة الأردية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عدة شخصيات، وكان من أهم هذه الشخصيات ألطاف حسين حالي، والعلامة شبلي النعماني[١]، فقد كانا دعامتين للأدب والنقد الأدبي، نهل من إبداعهما ونظراتهما الأدباء في عصرهما وبعده، وقد ألف ألطاف حسين حالي كتابا قيما حول نقد الشعر ومبادئه، وكان مما ذكره في خلال بحثه في صنف الغزل أنه يجب أن لا يقتصر هذا الصنف بالتشبيب، وذكر الصبوة والحب، بل يجب أن يتسع نطاقه للمشاعر الإنسانية والخواطر الوجدانية في مجالات الحياة الإنسانية."[٢]

كان خواجه ألطاف حسين حالي واسع المطالعة في اللغات والآداب المختلفة، وكان يتقن اللغة العربية كل الإتقان مع أنه بتواضعه الطبيعي لم يكن مطمئنا إلى ما كتب في اللغة العربية[٣]. و له أبيات رائقة رقيقة بالعربية، وبالفارسية كذلك، وهو أول من اخترع أسلوبا جديدا في الشعر.

يقول حالي: "... وخلال هذه الأيام بسبب الوحدة وقلة المشاغل بدأت رغبة تعلّم اللغة العربية تدب في قلبي ومع أنه ما سنحت لي فرصة أن أتعلم اللغة العربية من أي أستاذ بصورة منتظمة، وأن آخذ الإصلاح من أي أديب، ولكن بميل طبيعتي إلى الأدب وأحيانا بالرجوع إلى القواميس بدأت أقرأ الكتب في الأدب وبالتدريج بدأت أكتب النثر و النظم فيها".[٤]

---

[١] شبلي النعماني (١٨٥٧-١٩١٤م) من أشهر علماء الفكر الإسلامي في الهند وكان ينشد بالفارسية والأردية، ومن أكبر كتاب السيرة في النثر الأردي. ومن كتبه المأمون و سيرت نعمان و الغزالي و مولانا روم و علم الكلام و شعر العجم و موازنه أنيس و دَبير و سيرة النبي. و أسس شبلي " دار المصنفين " في أعظم كره بأترا بردیش والیتي أوقف لها كل تركته. وقال مَهدي افادي " إن شبلي هو المعلم الأول للتاريخ " ص ٢٢٦ اردو ادب كي تاريخ – عظيم الحق جيندي

[٢] محمد الرابع الحسني الندوي: الغزل الأردي – محاوره ومكانته في الشعر، مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بلكناؤ، الهند، عام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص: ٩٥

[٣] المرحوم الأستاذ محمد سليمان أشرف: حالي والأدب العربي، كوخ العلم، دهلي، ٢٠٠٦م

[٤] ضميمه اردو كليات حالي، ص ٣، نقلا عن حالي والأدب العربي لسليمان أشرف، ص ٨

أسرة ألطاف حسين حالي:

خواجه ألطاف حسين حالي انحدر من المدينة التاريخية الشهيرة باني بت التي كانت مقاطعة من مقاطعات كرنال في بنجاب، من سلسلة أجداده إلى خواجه ملك العالم الكبير والصوفي الشهير، وترجع سلسلة نسبه إلى فرع من أنصار عاش هناك منذ نحو سبعمائة عام أي منذ عهد غياث الدين بَلبَن (المتوفى سنة ٥٨٥هـ / ١٢٨٧م)، وكان جده من الأم سيدا من السادات الأشراف، وقد توارد خواجه ملك علي إلى الهند في عهد السلطان غياث الدين بلبن، ونظرًا إلى حذقه في العلم وتقواه شرفه غياث الدين بلبن بمنح عدة قرى بقرب من باني بت كممتلكات إقطاعية، وعيّنه قاضيا في باني بت، وقد كان أعطاه السلطان حقا أن يقرر الأسعار في السوق ويصلي بالناس صلوات العيدين. وكان والد حالي خواجه ايزد بخش صوفيا ومولعا بحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكان قرر نظام حيدرآباد مير عثمان علي خان الآصف جاه السابع مائة روبية شهريا كمنحة تؤدّى إليه للأعمال والإنجازات المتعددة التي تتعلق بحقل الأدب الأردي، وكان مشغولا بإكمالها في باني بت، وإنه أقام في باني بت إقامة مستقلة واشتغل هناك بأعمال التأليف والتصنيف باللغة الأردية وآدابها، ولقب بشمس العلماء عام ١٩٠٤م.

مولد حالِي و نشأته وأعماله:

ولد خواجه ألطاف حسين حالي في باني بت المكان التاريخي عام ١١٣٥هـ / ١٨٣٧م، وذاق مرارة اليتم في عمره الناهز عندما بلغ العام التاسع من مولده حيث توفي أبوه ولم يتجاوز السنة التاسعة من عمره، فعاش

في كنف أخيه الأكبر. حالي كان قوي الذاكرة، وما قرأ مـــرة بقـــي عالقـــا بذهنه. لم ينخرط حالي بسلك التدريس في البداية وإنه سجل هذا الحدث أنـــه ما سُنحت له قط فرصة التعلم والتدرب بصورة منتظمة، أولا حفظ القـــرآن عن ظهر قلب وتعلم التجويد ودرس بعض الكتب الفارسية والكتب الابتدائية في الصرف والنحو والمنطق واللغة العربية على أيدي الأساتذة فـــي بـــاني بت، وتم زواجه في السابع عشر من عمره، وكان يتألم كثيرا لعـــدم إكمـــال الدراسة فشدّ الرحال الأولي لطلب العلم إلى دلهي حوالي عام ١٨٥٤م بعـــد سنة من النكاح وبدون إخبار أسرته، وأخذ يدرس في مدرسة تقع قريبا مـــن المسجد الجامع بدلهي، وتلمذ للشيخ نوازش علي والمولوي فـــيض الحســـن السهارنفوري والمولوي أمير أحمد وشمس العلماء مولانا ميان السيد نـــذير حسين[١]. وكان هذا العهد من أعسر الأزمان معيشة واقتصادا فـــي حياتـــه، ولكنه كان عصاميا نبيلا معرّقا، فسار مسيرة الطلاب وأجرى سلسلة تعلّمـــه في مثل هذه الأحوال الحرجة.

وخلال قيامه في دلهي تتلمّذ في الشعر على الشاعر المعـــروف أســـد الله خان غالب (المتوفى سنة ١٢٨٥هـــ / ١٨٦٩م) واختص به، وأقبل على الشعر إقبالا كليا، و اشتغل منصبا تافها بمكتب نائب المفوض، وسُنحت لـــه فرصة أن يقابل نواب محمد مصطفى خان شيفته (١٢٢١ – ١٢٦٨هـــ). يقول حالي عنه :"عندما كان يقرض غزلا في أي بحر من اللغة الفارسية أو الأردية كان يشركني فيه"[٢]. وظل حالي معلما لأطفال النواب مصطفى خان شيفته إلى ثمانية أعوام، وبعد وفاة شيفته عام ١٨٧٢م توظـــف حـــالي فـــي

[١] شجاعت علي السنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر، ص ٢٠
[٢] ضميمه اردو كليات حالي، ص ٣

مخزن الكتب الحكومي لبنجاب في لاهور وظل بها إلى أربعة أعوام، وكان يقوم فيه بتصحيح عبارات الكتب المترجمة من اللغة الإنجليزية إلى الأردية[١]. وبهذا الطريق تعرف حالي بالآداب الإنجليزية، و عيّن حالي في أواخر ١٨٧٤م أو أوائل ١٨٧٥م كمدرس أول للغة العربية في المدرسة الأينكلو العربية بدلهي، ولم يزل ينخرط بسلك التدريس فيها نحو اثني عشر عاما واستقال منها في أغسطس عام ١٨٨٩م.[٢]

و في عام ١٨٧٤م باقتراح من الكولونيل هالْ رائدْ [٣] أسست حفلة شعرية لعقد المساجلة الشعرية المعروفة في الساحة الأردية في شبه القارة الهندية " بـ مُشاعِرَه " ، وكان يطرح فيها أمام الشعراء أي موضوع للتعبير حولها عن أفكارهم، واستمرت هذه السلسلة الشعرية المسماة بالمشاعره إلى ١١ شهرا، وكان حالي ومحمد حسين آزاد (١٨٢١ – ١٩١٩م)[٤] من الشعراء البارزين فيها.[٥]

واعترافا بفضله وعلمه وأدبه منح السَر آسمان جاه بهادر مدار المهام في حيدر آباد الدكن منحة شهرية يساوي قدرها حوالي ٧٥ روبية عام ١٨٨٩م، فاقتنع بها كل الاقتناع، واستقال من وظيفة التدريس وعاد إلى باني بت في ١٣ أغسطس عام ١٨٨٩م واستقر فيها ولكن مازالت رحلاته الأدبية والتعليمية والوطنية تجري إلى دلهي وعلي جره ومدن أخرى.

---

[١] دائره معارف اسلاميه، باكستان، ص ٨٣٥

[٢] شجاعت علي السنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر، ص ٣٨، ٤٠

[٣] الكولونيل هالْرائد إنجليزي كان يعمل في مديرية التعليم بأقاليم البنجاب

[٤] محمد حسين آزاد (١٨٣٠م-١٩١٠م) من روّاد الشعر الأردي الحديث، ومن أهم النقاد والمحققين في الأدب الأردي، وكان يمتاز بأسلوبه الخاص الفصيح الجزل الموجز. و من أهم مؤلفاته النثرية " آبِ حيات " والذي يعدّ من أهم كتب التراجم في اللغة الأردية، بل يعتبر الكتاب الأردي الأول في هذا الفن. ولكتابه "نيرنگِ خيال " أهمية كبيرة في النثر الأردي لما يحتويه من مقالات تمثيلية. ومن مؤلفاته الشعرية ديوان "نظم دل افروز" "مجموعة نظم آذار" ومن مثنوياته "شبِ قدر" و"صبحِ اُميد" و"كنجِ قناعت" و"داد انصاف" و"خواب امن".

[٥] شجاعت علي سنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر (حالي كشاعر)، ص ٣٨، ٤٠

حالي في محراب السلوك والتربية:

وكان خواجه ألطاف حسين حالي هو الآخر من الموحِّدين المتقين والمواظبين على الصلاة والصوم وكان غارقا في حب الرسول صلوات الله عليه وسلامه وأهل البيت، وكان متصفا بالكرامة ومتمسكا بالأسس المتينة والقيم الفاضلة من حسن الخلق والتواضع في النفس وقوة الصبر والعفو، وكان متحليا بأوصاف القناعة والشكر والرضا بقدر الله تعالى. يقول الأستاذ مولانا محمد الرابع الحسني الندوي في كتابه المعنون بـ "الغزل الأردي – محاوره ومكانته في الشعر":

> "وكان ألطاف حسين حالي رقيق الشعور، مرهف الحس، سريع الانفعال، جيد القريحة في الشعر، له كعب عال في نقد الشعر ومعرفة جيده من سقيمه، أحسن الاقتباس من الأساليب العصرية في النقد والتاريخ، كان متألما بما أصيب به المسلمون، كان كريم الطبع، دمث الخلق، كثير الإنصاف مع معاصريه".[١]

حالِي في حركة السَرْ سيّدْ أحمدْ خانْ[٢]:

[١] محمد الرابع الحسني الندوي: الغزل الأردي – محاوره ومكانته في الشعر، ص: ٩٦ – ٩٧

[٢] ولد السَر سيد أحمد خان في دلهي في ١٧ أكتوبر سنة ١٨١٧م وتوفي في مدينة عليكره في ٢٧ من مارس سنة ١٨٩٨م، ودفن فيها. وقد منحه الإنجليز لقب "السير: Sir"، و شغل منصب القاضي فترة. وسافر إلى إنجلترا وقضى بها فترة وجيزة. وفي عام ١٨٧٦م استقال من وظيفته وتفرغ للكلية التي كان قد أنشأها للنهوض بالمسلمين علميا وثقافيا، وقد أنشأ السير سيد كثيرا من المؤسسات العلمية والجرائد لرقي المسلمين في شتى نواحي الحياة أهمها "عليگرھ كالج" التي تعرف الآن باسم "جامعة علي كره الإسلامية"، وأنشأ سر سيد مجلة "تهذيب الأخلاق" باللغة الأردية، و بها تبدأ الصحافة الأردية بالمعنى الصحيح. وسميت حركة سر سيد الإصلاحية باسم "حركة سر سيد" وأيضا باسم "حركة علي كرھ" لأن مقرها كان في هذه المدينة. وله مؤلفات كثيرة منها: ١ ـ حام جم (بالفارسية) سنة ١٨٣٩م. ٢- انتخاب الأخوين. ٣- جلاء القلوب بذكر المحبوب (١٢٥٥هـ) وهو في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ٤- تسهيل في جر الثقيل (١٨٤٤م) وهو ترجمة أردية لكتاب " بو علي " الفارسي. ٥- آثار الصناديد (١٨٤٧م) وهو في ثلاثة أجزاء ذكر فيه أحوال وآثار مدينة دلهي، ٦- خطبات أحمدية، وفيه يرد على سر وليم ميور في كتابه الذي افترى فيه على الرسول صلى الله عليه وسلم. ٧ - تفسير القرآن (مأخوذ بتصرف من هامش مقالة الدكتور يوسف عامر بعنوان "اتجاه الرفض الاجتماعي والحضاري في الشعر الأردي الحديث"، التي تم نشرها في الإنترنت)

كان خواجه ألطاف حسين حالي متواضعا و ذا خلق عظيم، وكان وطنيا مخلصا، وكان يحزن لتخلف المسلمين في ميادين العلم والاقتصاد في جهة، وفي جهة أخرى كان السير سيد أحمد خان (١٨١٧م - ١٨٩٨م) في تلك الفترة يبذل قصارى جهوده في التركيز على الاهتمام بحركة تعليم المسلمين وتثقيفهم وتقويتهم اقتصاديا وجعلهم متكاتفين لأبناء الوطن الهندي في مجال العلم والمعرفة والتعلم والتربية والمعيشة والاقتصاد والسياسة والقومية وما إلى ذلك. حرّر الدكتور يوسف عامر أستاذ الأدب الأردي، في قسم اللغة الأردية وآدابها، بجامعة الأزهر في هامش مقالته بعنوان "اتجاه الرفض الاجتماعي والحضاري في الشعر الأردي الحديث"عن السَر سيد أحمد خان قائلا : "رجال قلما يجود بنظيرهم الزمان، يضحون بالمال والأنفس والأموال وبكل عزيز من أجل رفعة أوطانهم وأممهم، لذا يخلدهم الزمان، وتضيء أسماؤهم صفحات التاريخ. و كان السير سيد أحمد خان واحدا من هؤلاء الرجال الذين بذلوا كل جهدهم من أجل تقدم ورفعة أهل شبه القارة الهندية وخاصة المسلمين منهم، وهو رائد الحركة العلمية والثقافية والوعي السياسي في شبه القارة".

قابل حالي السير سيد (المتوفى سنة ١٨٩٨م) بوساطة شيفته بين ١٨٦٤م و ١٨٦٩م في جلسة للجمعية العلمية، والتحق خواجه ألطاف حسين حالي بهذه الحركة، وامتثالا لأمر سير سيد أحمد خان كتب كتابا قيما باسم "مسدّس" الذي عرف فيما بعد بـ مسدس حالي، لإيقاظ المسلمين من سباتهم العميق، وقد نال الكتاب قبولا تاما من قبل المسلمين، والآن إنه سمي بشاعر الوطنية ، وإنه نظم قصائد بشأن الدمار والهلاك في دلهي، وثورة غدر

(١٨٥٧م) والمراثي للحكيم محمود خان. وصار حالي مصلحا قوميا وخطيبا مصقعا خاض ميدان النضال بحق المسلمين وشرع يكثف الجهد المتواصل لإخراج الأمة المسلمة من قعر الذل والنكبة. كان حالي سيال القلم ولم يتوقف عن إنتاجاته الأدبية إلا قبل مدة قليلة من وفاته، فإنه أثرى مكتبة الأدب الأردي بأعماله القيمة، ومن مصنفاته: المثنوي، ومدّ و جزرِ إسلام المعروف بـ مسدّس حالي، وشكوه هند، وچپ كي داد، ومرثيه غالب، ومرثيه حكيم محمود خان و تباهي دهلي، ومجموعه نظمِ حالي، ومجموعه نظمِ فارسي.

وفاة حالِي:

توفي مولانا خواجه ألطاف حسين حالي في موطنه الأصلي أي بباني بت بعمر يناهز سبعين سنة في ٣١ ديسمبر عام ١٩١٤م الموافق ١٣ صفر ١٣٣٣هـ ، و دفن بها.[١]

مؤلفات حالي:

د. يوسف عامر يكتب عن شاعر الغزل الأردي ألطاف حسين حالي قائلا: "الشاعر والأديب ألطاف حسين حالي (١٨٣٧م- ١٩١٤م) كان من رفقاء السير سيد أحمد خان، و حالي هو الذي يبدأ من عهده الشعر الأردي الحديث، فضلا عن أنه أوجد فن النقد في اللغة الأردية بمقدمة كتبها لديوانه "شعر وشاعري" وكأن مقدمته هذه أصبحت كمقدمة ابن خلدون التي كانت اللبنة الأولى لعلم الاجتماع. وتعرف مقدمة حالي هذه باسم "مقدمة شعر وشاعري" ومن أهم منظوماته الشعرية منظومة "مد وجزر إسلام" التي

[١] شجاعت علي سنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر، ص ٤٤ – ٤٧

تعرف أيضًا باسم "مسدس حالي" باعتبار أنها منظومة في قالب المسدس. ومن أهم مؤلفاته النثرية حيات سعدي، وحيات جاويد، ويادگار غالب".[١]

ألف حالي رسالة في المنطق، ضاعت في عام ١٨٥٤م، وترجَم "طباق الأرض" من العربية إلى الأردية (وهذا التأليف كان بموضوع المبادئ الجيولوجية)، كما له تأليف بعنوان "أصولِ فارسي". وله مولود شريف، وترياق مسموم، و خير المواعظ، و شواهدِ اِلهام، و مجالس النساء، و سوانح حكيم ناصر خسرو، و تذكره رحمانيه (طبع بمناسبة وفاة مولانا عبد الرحمن). وله مجموعة مقالات في الأدب والإنشاء مثل: مضامينِ حالي، ومقالاتِ حالي، و مكاتيبِ حالي.

كتب الدكتور جلال السعيد الحفناوي المصري في شأن حالي، وهو يقول:

"تتلمذ على يد الشاعر الهندي المعروف بأسد الله خان غالب أمير الشعراء الهنود، وله منظومة معروفة بـ "مسدّس حالي" أو "مدّ و جزر اسلام" وهي ملحمة صوّر فيها حال مسلمي الهند في الماضي والحاضر وهي باللغة الأردية وله ديوان مطبوع لأشعاره بالأردية، وهو ناقد كبير كتب أول محاولة نقدية في شبه القارة الهندية معروفة "بـ مقدمه شعر و شاعري"، ورغم أن حالي معروف بأنه شاعر أردي، فإن له قصائد عربية عديدة تنمّ عن شاعريته وإتقانه للغة الشعر وتوفي في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م".[٢]

---

[١] د. يوسف عامر: اتجاه الرفض الاجتماعي والحضاري في الشعر الأردي الحديث"، مقالة تم نشرها في الإنترنت، وذكر الكاتب السير سيد أحمد خان في هامش المقالة.

[٢] الشعر العربي في المهجر الشرقي من شبه القارة الهندية للدكتور جلال السعيد الحفناوي، مجلة ثقافة الهند، العدد ٢، عام ٢٠٠٤م، ص ٧٦ – ٧٨.

مُسَدَّسْ حالِي:

ألف مولانا ألطاف حسين حالي قصائده الشعرية في الأردية باسم "مدّ و جزرِ إسلام" وهو معروف بمسدّسْ حالي، وهذا الكتاب قيم نادر، نال القبول العام والذيوع الشائع بين الجمهور منذ أول يوم، وسار مسير الأمثال في البلاد، حتى أن أحدا من المستشرقين وصف المسدّسْ بالمرثاة الرائعة، و ذكر فيها الشاعر أحوال المسلمين في شبه القارة الهندية في عهد الإنجليز وحض المسلمين على أن يغيروا ما بأنفسهم ليستردوا كرامتهم وينزعوا نير المستعمر من رقابهم، وتعد هذه القصيدة من أروع ما كتب من شعر في الأدب الأردي، وطبع مرارا لا يحصى، فيه ٤٥١ مقطوعة في ١٣٦٨ بيتا، أولا كان فيه ٢٩٤ مقطوعة، ثم في عام ١٨٨٦م أضيفت ١٦٢ مقطوعة بعد أن أخذ الملل واليأس كل مأخذ في القوم. نشر مسدس أول مرة عام ١٨٧٩م، ولأول مرة استخدم حالي الشعر في المسدس ليقوم بمهمة إصلاحية في المجتمع الهندي، وبعد تأليف هذا الكتاب تم البناء للشعر القومي في الهند، وكان سير سيد أحمد خان يقول أن مسدس حالي غيّر مجرى الشعر الأردي وأحدث عهدا جديدا في نظم الشعر، وصف الشاعر مولانا حالي بطولات و عظمة المسلمين الأقدمين وتخلفهم الحالي بأسلوب شجين يذوب به قلب الإنسان القوي، والتمس الشاعر من المسلمين نهائيا أن ينتبهوا وينهضوا ويحصلوا على عظمتهم التليدة وكرامتهم المفقودة بمحاولاتهم الجادة والفاقدة النظير. يقول حالي:

"كتبت في هذا المسدس أولا خمس أو سبع مقطوعات، عرضت فيها الحالة السيئة للعرب التي كانت قبل ظهور الإسلام والتي تعرف في المصطلح الإسلامي كالعهد الجاهلي، ثم تناولت ظهور كوكب الإسلام الذي جعل هذه الصحراء القاحلة بتعليم النبي الأمي الخضراء و أرفه الظلال

"مؤزرة بعميم النبت جاد عليه الوسمى"، وتفوق المسلمين سائر العالم في الشؤون الدينية والدنيوية، ثم بينت حالة تدهورهم وأعددت مرآة للقوم بالأبد غير البارعة يمكن أن يروا فيها بأننا كيف كنا وكيف أصبحنا".[١]

وقبل قليل سبقنا الذكر أن الدكتور يوسف عامر أستاذ الأدب الأردي بجامعة الأزهر حرر أن "حالي أوجد فن النقد في اللغة الأردية بمقدمة كتبها لديوانه "شعر وشاعري" وكأن مقدمته هذه أصبحت كمقدمة ابن خلدون التي كانت اللبنة الأولى لعلم الاجتماع".

يفيد الدكتور جلال السعيد الحفناوي في مقالته المنشورة في مجلة الأدب الإسلامي بالرياض ومجلة "ثقافة الهند" بنيو دلهي بعنوان "دور مسدس حالي في الحياة الاجتماعية في شبه القارة الهندية":

"وتعد هذه المنظومة فريدة من نوعها في الشعر الأردي وبداية لعهد جديد في نظام الشعر الأردي الهادف، الذي يفيد المجتمع ويعود عليه بالنفع ويعمل على إصلاحه وبذلك أصبح للشعر دور هام في الحياة بعد ما كان يقتصر على مجرد المتعة الفنية الخالصة بغض النظر عن الجانب الأخلاقي، وكان لهذا المسدس دور كبير في نهوض المجتمع الهندي من تأخره واضمحلاله حتى صار يتردد على ألسنة الكبار والصغار وصار مضربا للأمثال و به ذاع صيت حالي وشهره في أكناف الهند وأطرافها. وعلى الرغم من أن حالي لم يأت بجديد من الناحية الفنية وناحية القالب الشعري إلا أنه جاء بجديد من ناحية المضمون حيث استخدم الشعر لأول مرة في مهمة إصلاحية."

[١] محسن الملك (١٨١٧م-١٩٠٧م) من أهم إنجازاته أنه جعل اللغة الأردية اللغة الرسمية في إقليم حيدرآباد بدلا من الفارسية حين شغل منصب مدير عام الماليات في هذا الإقليم. و كان من أشهر كتاب مجلة تهذيب الأخلاق الأردية ويقول حالي عن مقالاته إنها تثير حماس الشباب المسلم وتشعل حميته نحو الجهاد من أجل حياة أفضل.

وهو يضيف قائلا:

"أما المسدس فكان لسهولة لغته وبساطة أفكاره مقبولا لدى الخاصة والعامة على السواء، فكثير من الناس عارض حركة عليكره ولكن من من الناس عارض مسدس حالي؟ وقد غير المسدس مليون شخص ويعتبر من أهم خمس أو ست قصائد طويلة في العالم وإن لم ينظم حالي سوى هذه المرثية في قومه فإنه يعتبر في عداد مصلحي قومه جنبا إلى جنب مع السير سيد أحمد خان ومحسن الملك [١]، وكان مسدس حالي مرآة لانحطاط المسلمين وتأخرهم". [٢]

(ألف) ترجمة مُسدّس حالي بالعربية:

وقد ترجم هذا المسدس إلى عدة لغات عالمية ومحلية لشهرته، فترجم إلى اللغة الإنجليزية والروسية ولغة الباشتو واللغة الهندية والبنغالية والبنجابية. أفادنا الدكتور جلال السعيد الحفناوي في مقالته السالفة الذكر قائلا:

"وقد قام الشاعر اليمني القاضي محمد محمود الزبيري [٣] بترجمة مسدس حالي شعرا وقد اطلعت على نماذج من هذه الترجمة في مجلة المسلمون التي كان الإخوان المسلمون يصدرونها في عامي 1952م و ١٩٥٣م.. وهذه الأبيات سبعة وستون بيتا نشرت في العددين السادس والسابع عام ١٩٥٢م، ويقول الشاعر في مقدمته على هذه الترجمة: هذه

[١] المقدمة الأولى للمسدس، ص ٧، عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م

[٢] الدكتور جلال السعيد الحفناوي: دور مسدس حالي في الحياة الاجتماعية في شبه القارة الهندية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٢٢، بتاريخ ١٤٢٠هـ، و ثقافة الهند، بنيو دلهي، (العدد والعام غير معلوم).

[٣] هو شاعر يمني كان معارضا لحكام اليمن من الأئمة، فهاجر لاجئا إلى باكستان، ونزل ضيفا على شيخ الإسلام شبير أحمد عثماني، وقد تعلم اللغة الأردية، وترجم "مسدس حالي" إلى اللغة العربية، وظل بباكستان حتى تم انقلاب اليمن، وعاد إلى وطنه ومات ودفن باليمن (مجلة المسلمين، العدد السادس، ص ٩٣).

المنظومة التي وضعها حالي لاستنهاض عزائم المسلمين هي أعظم مؤلفاته، كما أنها من أعظم ما أنتجته آداب الهند الإسلامية على الإطلاق، وكان لها أثر بعيد المدى في إيقاد روح الوعي الإسلامي في شبه القارة، وقد ترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة. ولما كانت اللغة العربية أدنى قرابة إلى هذه اللغة (الأردية) وأحق بتراثها الأدبي وكنوزها الإسلامية، فإنا نرى أن ترجمة هذه المنظومة الأردية إليها كان يجب أن يسبق جميع التراجم الأخرى، ومع ذلك فإنا وقد جئنا إلى ترجمتها متأخرين نرى أن العالم العربي لا يزال في حاجة إلى مثل هذه الهزة الروحية التي توقظ في أعماقه أمجاد العافية ؟ ؟ ؟ .وفيما يلي نماذج من هذه الترجمة التي لم يلتزم فيها الشاعر بقالب المسدس عند الترجمة كما أنها ليست ترجمة حرفية بل حاول الشاعر جاهدا أن يوصل المعنى إلى القارئ فأضاف أبياتا من عنده".[١]

الأستاذ حسين مجيب المصري ترجم هذه القصيدة الأردية أي "المسدّس" للشاعر الهندي ألطاف حسين حالي بعنوان "الإسلام بين مدّ وجزر" ترجمة منظومة.[٢]

جلال السعيد الحفناوي أستاذ اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية من مواليد كفر الشيخ وحائز الليسانس والماجستير مع رسالة حول "ألطاف حسين حالي ومنهجه في نقد الشعر الأردي". وإنه كتب مقالة علمية و ورقة بحثية بعنوان

[١] الدكتور جلال السعيد الحفناوي: دور مسدس حالي في الحياة الاجتماعية في شبه القارة الهندية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٢٢، بتاريخ ١٤٢٠هـ، ثقافة الهند، بنيو دلهي، (العدد والعام غير معلوم).

[٢] الدكتور مظفر عالم: دور المترجمين المصريين في تنمية العلاقات الهندية المصرية في العصر الحديث، ص ١٣٢، مقالة تم نشرها في مجموعة مقالات بعنوان دور الترجمة في تعزيز العلاقات العربية الهندية في العصر الحديث، القسم العربي بالجامعة العثمانية، حيدرآباد، عام ٢٠١٠م.

"نقد الشعر الأردي عند ألطاف حسين حالي"، وعلاوة على ذلك له حظ كبير في نقل الكتب الأردية إلى العربية ومنها على سبيل المثال:"الشعر والشاعرية" لخواجه ألطاف حسين حالي.

(ب) مسدّس حالي صلة وصلٍ بين الهند والأندلس:

حرّر تر. ع. ر. بن عبد الله مقالته بعنوان " روابط متينة بين دولة الإسلام في الأندلس والهند الإسلامية الحديثة " ونشرتها مجلة دعوة الحق الإلكترونية الصادرة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، المغرب في عددَيْها ١١١ و ١١٢. وها أنا أتناول في السطور التالية بالإيجاز (وذلك بشيء من التصرف في العبارة) بعض أجزائها التي تسلّط الأضواء على "مسدّس حالي" ومسيرته المبتكرة لنظم القصائد الأردية وبوجه الخصوص في تكوين روابط متينة بين الهند والأندلس من خلال الأدب الأردوي.

يعتقد العامة من مسلمي الهند أن المؤلفات الأردية الأدبية تشكل صلة وصلٍ بينهم وبين الأندلس. فلقد نظم الشاعر ألطاف حسين حالي سنة ١٨٧٩م قصيدته الشهيرة "مُسدَّسْ" حيث يرثي مأساة الإسلام ويعبر عن أمله في نهضة له يسترجع فيها ما فات من أمجاده. والقصيدة تتضمن ثلاثة مقاطع مؤثرة، يعرض فيها الشاعر لمآثر الإسلام بإسبانيا مؤكدا عروبتها الأصيلة سواء من حيث الشكل أو المضمون، وكذا سمو معالمها التي لا تبلى جدتها على مر الأيام .وقد شاعت هذه القصيدة في الأوساط الشعبية بصورة أصبح معها السكان في الهند يطلقون على منازلهم أسماء المدن

الإسبانية محتفظين بشكلها العربي. والأبيات التي تتضمن موضوع الأنـــدلس هي كما يلي:

ہوااندلس اُن سے گلزار یکسر — جہاں اُن کے آثار باقی ہیں اکثر
جو چاہے کوئی دیکھ لے آج جا کر — یہ ہے بیت حمرا کی گویا زباں پر
کہ تھے آل عدنان سے میرے بانی — عرب کی ہوں میں اس زمیں پر پیرسانی

ہویدا ہے غرناطہ سے شوکت اُن کی — عیاں ہے بلد سے یہ قدرت اُن کی
بطلیوس کو یاد ہے عظمت اُن کی — ٹپکتی ہے قادس میں اب حسرت اُن کی
نصیب اُن کا اشبیلیہ میں ہے سوما — یسب وروزیہے فرطبہ اُن کو یروما

کوئی فرطبہ کے کھنڈر جا کے دیکھے — مساجد کے محراب ودر جا کے دیکھے
حجازی امیروں کے گھر جا کے دیکھے — وہ اُجڑا ہوا کرّوفرج ـا کے دیکھے
جلال اُن کا کھنڈروں میں ہے یوں چمکتا — کہ ہو خاک میں جیسے کندن دمکتا

وسارت القصة التاريخية الأردية على نهج القصيدة الأردية ونســـجت على منوالها في قالب أندلسي، فقد كتب عبد الحليم شررْ، من المعاصـــرين للشاعر حالي – ولكنه أصغر منه سنا – عـــدة قصـــص تاريخيـــة، ومنهـــا مسرحية تاريخية سماها "شهيد الوفاء"(سنة ١٨٩٠م)، وقصة فـــي الحـــوار التاريخي سماها "فلورا فلوريندا"(سنة ١٨٩٦م)، وقصة تاريخية عن إســـبانيا باسم "الفاتح المفتوح". وهكذا نقل إلى الأردية سنة ١٩٠٦ كتـــاب المـــؤرخ اللبناني جرجي زيدان الذي يقص تاريخ الفـــتح العربـــي للأنـــدلس دراســـة الإسلام بعد اكتشافه في الأندلس.

وإذا كان "حالي" أول من ابتدع عبادة الأندلس قبل الشاعر الكبير والمفكر الهندي المسلم محمد إقبال (الذي وافته المنية سنة ١٩٣٨م) بنصف قرن، فلقد بلغت الذروة في قصيدة هذا الأخير التي عنونها بمسجد قرطبة. وقد تم نقل هذه القصيدة وكثير غيرها مؤخرا إلى اللغة الإسبانية.

(ج) مسدّس حالي أصبح هدفا للمعارضات:

وكان حالي يعرف أنه يقدم المسدس نموذجا جديدا، وكان يعلم أن أنصار الشعر القديم لن يستحسنوا هذه البدعة، وكان تقديره في موضعه.. فعندما وصلت الطبعة الأولى من المسدس إلى أيدى الناس عام ١٨٧٩م، ومقدمه شعر و شاعري عام ١٨٩٣م، انتشرت صيحات المعارضة في أنحاء الهند واحتدم النقاش حوله ونقدوا طريقة حالي في كشف العيوب أمام الأعداء، وظهرت عدة مسدّسات ردا على مسدّسه، مثلا:

١. مسدس حديقة المذاهب، عروج النظم، حماية الخير، أغرب الهياكل لمولوي سليم الدين الجَيبوري.
٢. ومسدّس عوالي بجواب مسدس حالي للقاضي محمد فاروق التشرياكوتي.
٣. ومسدس خيالي بجواب مسدس حالي للمولوي فخر الدين المتخلص بخيالي.
٤. ومسدس لمعات الصواعق المعروف بمسدس حاذق لغلام حضرت خان خاذق.
٥. ومسدس حالي وغيرها.

وكان من "أهم أسباب المعارضة والمخالفة مسدس ومقدمه شعر و شاعري"[١]. ومن الأسباب الأخرى لمعارضته:

١. وجهة نظره حول الشعر والشاعر.
٢. وتشديده على اتباع الشعر المغربي (الأوربي)
٣. وارتباطه بحركة السير سيد
٤. والخرافة عن تقليد القدماء.
٥. وإصلاح الروايات القديمة.[٢]

(د) نماذج شعرية من مسدّس حالي:

وفيما يلى نماذج من مسدّس حالي يبكى أوضاع المسلمين المتردية وفساد العلماء ورجال الدين ويتحسر على انقضاء عهد علماء الشريعة والمفسرين والمحدثين والمناظرين وتوقف المدارس التي تعلم الدين وتخرج القضاة والمفتين وضياع الكتب الدينية الثمينة، وجهل رجال الدين الذي تسبب في تأخر المسلمين فيقول:

وہ علم شریعت کے ماہر کدھر ہیں
وہ اخبار دین کے مبصّر کدھر ہیں
اصولی کدھر ہیں مناظر کدھر ہیں
محدّث کہاں ہیں مفسّر کدھر ہیں

[١] الدكتور شجاعت علي السنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر، ص ٢٧٧ و ٣٢٤، (بتصرف) نقلا عن حالي والأدب العربي للأستاذ سليمان أشرف، ص ١٢٤

[٢] الدكتور شجاعت علي السنديلوي: حالي بحيثيتِ شاعر، ص ٢٧٧ و ٣٢٤، (بتصرف) نقلا عن حالي والأدب العربي للأستاذ سليمان أشرف، ص ١٢٤

وہ مجلس جو کل سر بسر تھی چراغاں
چراغ اب کہیں ٹمٹماتا نہیں واں

(أين علماء الشريعة المهرة، وأين الذين لهم بصيرة بأخبار الدين. أين علماء علم الأصول والمناظرون وأين المفسرون وأين المحدثون. فالمجلس الذي كان مضاء بالأمس، لم يبق منه الآن ضوء مصباح خافت.)

مدارس وہ تعلیم دین کے کہاں ہیں
مراحل وہ علم ویقین کے کہاں ہیں
وہ ارکان شرع متین کے کہاں ہیں
وہ وارث رسول امین کے کہاں ہیں
رہا کوئی امیں کا ملجا نہ ماوا
نہ قاضی نہ مفتی نہ صوفی نہ ملّا

(أين المدارس التي تعلم الدين، وأين مراحل العلم واليقين. و أين أركان الشرع المتين، وأين ورثة الرسول الأمين. لم يبق أي ملجأ أو مأوى للأمة، فلا قاض ولا مفت ولا شيخ.)

کہاں ہیں وہ دینی کتابوں کے دفتر
کہاں ہیں وہ علم الٰہی کے منظر
چلی ایسی اس بر . م میں بادِ صرصر
بجھیں مشعلیں نورِ حق کی سراسر
رہا کوئی سامان نہ مجلس میں باقی
صراحی نہ طنبور مطرب نہ ساقی

(أين خزائن الكتب الدينية، وأين اختفت مشاهد العلم الإلهي. لقد مرت بهذا المجلس ريح صرصر عاتية، أطفأت جميع مشاعل نور الحق. ولم يبق أي متاع في المجلس فلا إبريق ولا ربابة، ولا مطرب ولا ساق.)

بہت لوگ بن کر ہوا خواہ امیر
سفیہوں سے منوا کے اپنی فصیلت
سدا گاؤں در گاؤں بنو بیٹی
پڑی پھرتی ہیں کرتے تحصیل دولت
یہ ٹھہرے ہیں اسلام کے رہنما اب
لقب ان کا ہے وارث انبیا اب

(وكثير من الناس بعد ما ادعوا أنهم يرجون الخير للأمة واعترف السفهاء بفضلهم، بدؤوا يتجولون في القرى ويجدون في جمع المال والثروة. هؤلاء هم مرشدو الإسلام، وهم الذين يلقبون باسم ورثة الأنبياء.)

بہت لوگ پیروں کی اولاد بن کر
نہیں ذات والا میں کچھ جن کی جوہر
بڑا فخر ہے جن کو لے دے کے اس پر
کہ تھے ان کے اسلاف مقبول داور
کرشمے ہیں جا جا کے جھوٹے دکھاتے
مریدوں کو ہیں لوٹتے اور کھاتے

(وكثير منهم يفتخرون بأن أسلافهم كانوا من أولياء الله. ويظهرون كرامتهم ومعجزاتهم الزائفة أمام الناس، وهكذا ينهبون أتباعهم.)

یہ ہیں جادہ پیمائے راہ طریقت
مقام اِن کا ہے ماورائے شریعت
اِن ہی پر ہے ختم آج کشف و کرامیت
ان ہی کے ہے قبضے میں بندوں کی قسمت
یہی ہیں مراد اور یہی ہیں مریداب
یہی ہیں جنید اور یہی بایزیداب

(و يعتبرون أن هؤلاء الناس هم الذين يسيرون على طريق الشريعة وأن منزلتهم أسمى من الشريعة. وهم الذين انتهى إليهم الكشف والكرامات، وفي قبضتهم أقدار العباد. فهم المرادون وهم المريدون الذي يقصد إليهم، وهؤلاء أولياء أبرار مثل جنيد البغدادي و بايزيد البسطامي (وهما من الأولياء المعروفين في القرن الثالث الهجري في الأغلب) في الطهر والتقوى)

برا ہے جس سے نفرت وہ تحریر کرنے
جگر جس سے شق ہوں وہ تقریر کرنے
گنہگار بندوں کی تحقیر کرنے
مسلمان بھائی کی تکفیر کرنی
یہ ہے عالموں کا ہمارے طریقہ
یہ ہے ہادیوں کا ہمارے سلیقہ

(يخطبون بالشيء الذي يزيد الكراهية ويكتبون الحديث الذي تنفطر منه الأكباد. يحقرون العباد المذنبين، ويكفرون الأخ المسلم. هذه هي طريقة علمائنا، وهذا هو أسلوب مرشدينا.)

کوئی مسئلہ پوچھنے اُسے جائے
تو گردن پہ بار گراں لے کے آئے
اگر بد نصیبی سے شک اس میں لائے
تو قطعی خطاب اہل دوزخ کا پائے
اگر اعتراض اس کی ٹکلا زبان سے
تو آماسلامیہ ہے دشوار واں سے

(لو ذهب أحد إليهم ليسألهم أي مسألة يرجع من عندهم وهو يحمل عبئا ثقيلا على كاهله. وإذا شك أحد في كلامهم لسوء حظه، فإنه لابد أن يقال: إنه من أهل النار. ولو حاول أحد الاعتراض عليهم، فمن الصعب أن يعود آمنا.)

(ر) دعاوي التوحيد الإلهي مع التورط في الشرك والبدع:

وفي الأبيات التالية يسجل حالي دعاوي المسلمين لتوحيد الله سبحانه وتعالى مع احتذائهم للشرك والبدع والخرافات التي تزيف دعائم إيمانهم وعقيدتهم نحو وحدة الله جل ثناؤه.

نبی کو جو چاہیں حدا کر دکھائیں
اماموں کا رتبہ نبی سے بڑھائیں
مزاروں پہ دن رات بدریں چڑھائیں
شہیدوں سے جا جا کے مانگیں دعائیں

نہ توحید میں کچھ خلل اس سے آئے
نہ اسلام بگڑے نہ ایمان جائے

(إنهم لو أرادوا فإنهم يجعلون النبي إلها، ويرفعون منزلة الإمام على منزلة النبي!! ويقدمون النذور والقرابين على أضرحة الأولياء، ويتلون دعواتهم أمام قبور الشهداء. فهذا كله في رأيهم التوحيد، ولا يضعف الإسلام، ولا يحدث أي نقص في الإيمان.)

وہ دین جس سے توحید پھیلی جہاں میں
ہوا جلوہ گر حق زمین وزماں میں
رہا شرک باقی نہ وہم وگماں میں
وہ بدلا گیا آکے ہندوستاں میں
ہمیشہ سے اسلام تھا جس پہ نازاں
وہ دولت بھی کھو بیٹھے آخر مسلماں

(ذلك الدين الذي كان سببا في نشر التوحيد في العالم، وتجلى الحق به في كل زمان ومكان. والذي قضى تماما على الشرك، ذلك الدين قد حدث فيه تغيير في الهند. والثروة التي كان الإسلام معتزا وفخورا بها، فقدت أيضا مع آخر مسلم.)

مقدّمه شعر و شاعري:

يود الكاتب ألطاف حسين حالي بهذا التأليف الإصلاح في أنواع الشعر، ويريد احتواء الأشعار التي تتعلق بموضوعات الحب والفلسفة والقضايا الوطنية والشعبية، وذلك لتوسيع نطاق الغزل الأردي، ويؤيد التغيير في لسان الغزل أيضا، لكي تتوسع دائرة اللغة، كما إنه يبتغي إزالة

قيود العروض التي هي تعرقل في سبيل تطوير الغزل، كما إنه يريد الإيجاز في رديف الغزل و قافيته، ويشير على الشعراء أن يكتفوا على القوافي دون الرديف لكي يظهر الشعراء آراءهم بحرية واستقلال. ومع اعترافه متواضعا بعدم إجادته للغة العربية نقل في "مقدمه شعر و شاعري" عن المراجع العربية نحو ٥٢ مرة، وعند نقله عن الكتب المختلفة لا يذكر رقم الصفحات وسنة طبع المراجع والمصادر. يعدّ هذا الكتاب كتابا أساسيا في نقد الشعر وتجديد أسسه ومبادئه، وقد أثر على النظرة السائدة في الأدب الأردي وشعره. نقل الدكتور جلال السعيد الحفناوي المصري هذا الكتاب إلى العربية باسم "الشعر والشاعرية".

ديوانِ حالي:

يتضمن ديوان حالي كلا المنهجين أي الجديد والقديم، والغزل أكثر من أنواع الكلام، والغزل الذي يتسم بأسلوب جديد يعرف بشكل منفرد، والغزل كله حافل بالعواطف والانفعالات، والرباعيات مليئة بالقيم الخلقية والنصائح الغالية، وتم طرح القصائد بلون حديث يتحلى بالموعظة الغراء.

أوليات حالي:

يحتل مولانا ألطاف حسين حالي مكانة مرموقة في الأدب الأردي، أولا إنه اختار لونا جديدا في الغزل والقصيدة، نظم قصائد سياسية وقومية، وإن حالي و آزاد يعتبران منشئين للون الجديد في الشعر الأردي.

وكان مولانا ألطاف حسين حالي من كبار كتاب النثر الأردي، وكان أحسن في شعره من نثره، بدأ الكتابة في النثر قبل قرض الشعر، ومن مؤلفاته في النثر الأردي هي: يادگارِ غالب، وحياتِ جاويد، وترياق مسموم، وعلم طبقات الأرض، ومجالس النساء، وحياتِ سعدي، ومضامينِ حالي.

حياتِ جاويد:

ألف حالي سيرة حياة السير سيد أحمد خان في ألف صفحة بعمل متواصل لست سنين، جمع فيه أحوال سر سيد ببحث وتدقيق، نشر عام ١٩٠١م. حياة جاويد ليس قصيدة ثناء ومدح، بل هو ترجمة حقيقية لأفكاره وأحاسيسه واعتراف بأعماق القلب وصميمه لجهود سير سيد أحمد خان المخلصة و ولوعه وخدماته القومية والاجتماعية والأدبية، و وجه شبلي انتقادا إلى حالي بحيث أنه بين جانبا واحدا من حياة سير سيد، والحق أنه من اللزام على كاتب السيرة أن يعرض الشخصية كإنسان لا كبطل و أن يتعرض لكافة الجوانب من حياتها، ولا شك أن التجنب من الموضوعية في بعض الأماكن في كتاب "حياة جاويد" لم يترك أثرا يجود بشخصية حالي.

يادگارِ غالب:

يادگارِ غالب (تذكار غالب) في الحقيقة سيرة الميرزا أسد الله خان غالب، وهذا التأليف موثوق به لدى الأدباء والمؤرخين، حيث لا يوجد كتاب أفضل من هذا في المكتبة الأردية بموضوع أسد الله خان غالب، وأعطى هذا الكتاب الميرزا غالب حياة سرمدية.

وقد تمت كتابة أحوال حياة غالب وأحداثه ولطائفه بأسلوب رشيق، تناول فيه الكاتب حياته واستعرض شعره في اللغتين الفارسية والأردية في ضوء الانتقاد والتقييم. اعترف شيخ محمد إكرام بأن هذا الكتاب جامع في ترجمة غالب[١]، وسببه أن حالي كان رأى غالبا عن كثب، وحاول أن يفقه شخصية غالب وأفكاره الحضارية والأدبية.

[١] غالب نامه، ص ٨

يبدو حالي في يادگارِ غالب أكثر من موضوعية "حياتِ سعدي" وجرأته فيه، وإنه لم يسلك مسلك عبد الرحمن البجنوري في ثنائه ولم يتعرض للمحافظات الذهنية مثل الدكتور لطيف، وأسلوب حالي في يادگار غالب أروع وأمتع، وعرض المؤلف صورة واقعية فيه لشخصية غالب، وفند مولانا مهر بعض آراء حالي[١]. تم طبع هذا الكتاب عام ١٨٩٧م، وفي الواقع أن حالي قد أدى حق التتلمذ عليه بتأليف هذا الكتاب.

مرثيه غالب:

وهو عبارة عن حزن حالي بشدة على وفاة غالب (عام ١٨٦٩م)، ونظم مائة بيت يتجلى فيها حزن وألم و إخلاص ومودة، وطبعت هذه القصيدة في عام ١٨٦٩م.

حياة سعدي:

هذا الكتاب عبارة عن سيرة حياة الشيخ سعدي الشيرازي (١١٨٩ – ١٢٩٢هـ). الجزء الأول في أحواله و الجزء الثاني في عرض و تحليل شعره. استعرض حالي شاعرية سعدي من منظور نقدي، وسعى لتقديم المواد المستندة بشأن حياته.

مجالس النساء:

ألف حالي هذا الكتاب في صورة الرواية في جزئين في ٢٣٦ صفحة لإصلاح النساء والبنات، وقد منحته الحكومة الهندية جائزة بشكل الروبية بمبلغ أربعة مائة روبية لتأليف هذا الكتاب، وهذا الكتاب ممتع ومفيد وهو باللغة الأردية السهلة البسيطة، نشر في عام ١٣٤٢هـ.

ترياق مسموم:

[١] سيده جعفر: تاريخ ادب اردو – عهدِ مير سے ترقي پسند تحريك تك، ٢٠٠٢م، حيدرآباد ، ج ٢، ص ٢١٨

رسالة حررها حالي عام ١٣٨٤ هـ / ١٨٦٨م في الرد على الكتاب الذي ألفه الأسقف عماد الدين بعنوان "هداية المسلمين".

حالي في مرآة بعض قصائده الأردية:

بدأ حالي نظم شعره في حين عندما "كان الشعر الأردي - حسب التعبير لمحمد حسين آزاد – يطير على جناحَيْ الفارسية"، وكانت هذه الشاعرية منمقة بحسن الصنائع والبدائع والعلو الفكري وقوة التخيل والروعة والجمال. سلك حالي بادئ ذي بدء في غزله الابتدائي مسلك الشعر التقليدي والتزم بلوازم شعر الحب، ولكنه انكشفت له إمكانيات الحياة الجديدة وحقيقة مقتضياتها بسبب الظروف المتبدلة والتعمق في الشعور والحس المرهف العصري ومصاحبته للسر سيد أحمد خان، فغزل حالي الأردي كان في الواقع لونا جديدا وأسلوبا متغيرا[١]. وكانت نماذج الوصف والتصوير في قصائد حالي مستنبطة من البيئة الهندية وكان منفعلا عقلانيا و عاطفيا من حركة السير سيد أحمد خان الإصلاحية، فلذا إنه أتى إلى حيز الوجود بكتاب المد والجزر في الإسلام، وذلك بعنوان بمسدّس حالي وفي الحقيقة إنها كانت من مراثيه النادرة التي لم يسبق له نظير في الشعر الأردي في شبه القارة الهندية.

(ألف) بركهارت (فصل موسم الأمطار):

قرض حالي قصيدة بعنوان "بركهارت" (فصل موسم الأمطار)، وعرضها في الحفلة الشعرية التي عقدها اَنجمن بنجاب، وفيه ١٤٥ بيتا، وهو أحسن المثنويات ضمن موسم الأمطار في الهند. عبر الشاعر فيها عن انفعالات الشعب الهندي وصور موسم الأمطار بأسلوب جذاب ولغة بسيطة

[١] المصدر السابق

ولسان سلس، وبهذه القصيدة نشعر بقدرة الشاعر على التصوير والمحاكاة بشكل رشيق، وهو يقول:

برسات کا بج رہا ہے ڈنکا
ایک شور ہے آسمان پہ برپا
ہے ابر کی فوج آگے آگے
اور پیچھے ہیں دل کے دل ہوائے

(تهطل الأمطار الغزيرة وترن رنين الطبل والأسطوانة، ولها صوت دوي طليق في السماء، وجيش السحابة تخطوا إلى الأمام، وتتابعها الرياح الشديدة)

(ب) نشاطِ اُمید (فرحة الأمل):

يعجب حالي بهذه القصيدة، وفيها ٩٢ بيتا، وهي تزيل الخيبة واليأس. اليأس والقنوط شيء مذموم لما أنه يعطل كفاءة الإنسان ويجعله فاترا وعاجزا عن العمل الجاد، ويفقد به المرء الرغبة في الحياة، فالشاعر حالي طرح في هذه القصيدة فرحة الأمل وروعة التفاءل من الحياة المتألمة، والواقع أن المسلمين فقدوا رجاءهم من حاضرهم ومستقبلهم بعد ثورة انفجرت عام ١٨٥٧م وأصبحوا يعيشون في ذكريات ماضيهم، فأبرز حالي خطورة الأمل ومخاطر التشاؤم مثلما نظم محمد حسين آزاد قصيدة طويلة لتصوير هذا المنظر المؤلم، أبدى حالي رأيه في "نشاطِ اُمید" (فرحة الأمل) بأن الأمل يخرج الإنسان من ظلمات الحزن والألم ويمنحه قوة فائقة للعمل والنشاط، وهو يخاطب الأمل قائلا:

کانٹے والی غم ایام کی

تھامنے والی دل ناکام کی
ہو مانو میدیوں کا جب ہجوم
آتی حسرت کی گھٹا ہے جھوم جھوم
جاما ہے قابو سے دل آخر نکل
کرتی ہے ان مشکلوں کو تو ہی حل

(ج) حبُّ الوطني (حبُّ الوطن):

حالي كان مغمورا بعواطف الحب للوطن وكان يعتقد أن حب الوطن جزء من أجزاء الإيمان، والنكبات التي تمسه من الهند وأهلها كانت أروع من أزهار البلدان الغربية الأجنبية، وكانت الأراضي لوطنه، وسمائه، ومواسمه وفصوله، ومناظره وقمره وشمسه وطيوره وحدائقه وجباله وصحراواته عزيزة له وهو مكب على ثنائها، وهو يقول في قصيدته بعنوان "حب الوطني":

اے پہاڑوں کی دلفریب فضاء
اے لب جو کی ٹھنڈی ٹھنڈی ہوا
اے عنادل کے نغمہ سحری
اے سب ماہتاب ماروں بھری
اے نسیم بہار کے جھونکو
دہر ما پائیدار کے دھوکہ
تم پر اک حال میں ہو یوں عزیز .
تھے وطن میں مگر کچھ اور ہی چیز

و يبدو حب الشاعر لوطنه بأمر هو أنه لا يرضى بقبول الجنة والفردوس الإلهي بدلا من حفنة من تربة وطنه ويتمنى أن لا تلفظ أنفاسه الأخيرة من جسمه حتى يقضي على آخر أعداء وطنه ولا يبقى هناك أحد منهم، و لله دره يقول:

تیری اِک مشتِ خاک کے بدلے
لوں نہ ہر گز اگر بہشت ملے
جان جب یک نہ ہو بدن سے جدا
کوئی دشمن نہ ہو وطن سے جدا

حالي والأدب العربي:

حالي لم يكن مقتنعا بما قال في اللغتين الفارسية والعربية من النثر والنظم[١]، وذلك بحكم طبيعته المتواضعة حيث لم يكن يتكبر ولا يتفاخر، وكان يعتقد أن كتاباته في اللغتين الفارسية و العربية ليست على مستوى مطلوب، مع أن في ديوانه العربي قصيدة في مدح الشاه عبد الغني النقشبندي، وإنها أرسلت في عام ١٢٨٣هـ إليه في المدينة المنورة، وقد أعجب بها الأدباء هناك.[٢]

قد ساهم خواجه ألطاف حسين حالي مساهمة كبيرة في النوعين من الأدب العربي أي له إسهامات في النثر العربي والشعر العربي سواسية، والمواد كلها متوفرة في كتاب "حالي والأدب العربي" للبروفيسور محمد سليمان أشرف أستاذ و رئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقا، بجامعة

[١] ضميه أردو كليات حالي ، ص ٣
[٢] المصدر السابق، ص ٤

دلهي، الهند. وهذا الأستاذ المرحوم قد اعتنى بالإعداد والضبط والتشكيل والتعليق عليه بشيء من الإسهاب، وها أنا أقتطف بعض الأزهار منه.

(ألف) قسم الشعر:

و توجد في منظوماته العربية ٦ قصائد، و قد ترجم الشاعر حالي نفسه بعض القصائد منها إلى الأردية في هامش الديوان. يبدو من قراءة قصائد حالي وكتاباته الأخرى بأنه قرأ حالي الكتب العربية والدواوين المتداولة آنذاك مثل المعلقات السبع والحماسة لأبي تمام الشاعر العباسي، وديوان المتنبي والعمدة لابن رشيق القيرواني وغيرها. في القصيدة الأولى ١٤ بيتا، وهي قصيدة أرسلها الشاعر من لاهور إلى دلهي بمناسبة زواج المنشي محمد إكرام الله خان. ذكر فيها نبأ الزواج السار الذي بلغ إليه فابتهج به جدا ولكنه لا يستطيع أن يشترك فيه بسبب مرضه، ومن أبيات هذه القصيدة من بحر الوافر:

شَكيًّا لا يُصاحبه أنيسٌ غريبًا لا يُزار و لا يَزورُ[١]

ثم يذكر الفرحة التي عمت في الأرجاء، يقول:

أرى الأرجاءَ قد مُلئتْ بهاءً وفي القمرَين فوقَ النُور نورُ

[١] المصدر السابق، ص ١١٩، نقلا عن حالي والأدب العربي لسليمان أشرف، ص ٦٥

والقصيدة الثانية نظمت عند انتقال الشاعر من دلهي إلى إدارة الترجمة بلاهور، وكان حزينا على فراق الأحباء والأصدقاء. فيها ٩ أبيات. يبدأ القصيدة بالبيت التالي و هو من بحر البسيط:

هلْ مَن يبلّغ عن محصور لاهور عن مبتلىً فيه بعد الكَور بالحَور

فيه تلميح إلى دعاء النبي صلوات الله عليه وسلامه: "اللهم إنّا نعوذ بك من الحور بعد الكور". ويختتم الشاعر النظم بالبيت الآتي:

أرجو من الله بعد العُسر مَيسرةً إما على مُهلةٍ ما أو على فور

في هذا البيت تلميح إلى الآية القرآنية"إن مع العُسر يُسرًا".

والمنظومة الثالثة قرضها الشاعر في مدح السيد كاردي الذي كان مديرا لإدارة الترجمة بلاهور وكان حالي التمس منه التوصية في أمر من الأمور. فيه ١١ بيتا، يذكر طبيعة الأسيويين عندما أحدقت بهم حاجة أن يقدموا القصائد، والأبيات من بحر الطويل:

لَنا آسيائيين عند خَصاصةٍ تكونُ بنا أن نلتجي بالقصائد[١]

ثم يشير الشاعر إلى ما قام به الممدوح من شرح لنظم الشاعر اليوناني هومر إلياذة[٢] ويقول:

كشفتَ غطاءً عن خبيّاتِ هومرٍ كما يكشِف الصبحُ الدُجى عن مَراقد

[١] المصدر السابق، ص ١٢٢

[٢] الشاعر اليوناني المشهور Homer الذي عاش في القرن الثامن أو التاسع ق. م. وصنّف إلياذة Iliad و الأوذيسّة Odyssey .

ويختتم المنظومة بالبيت الذي فيما يلي مصرّحا بأنه لم يبالغ فيما قال في المدح:

مدحتُك حقًا غير مُطْرٍ مُبالِغٍ وشأنُك عندي فوق تلك المَحامِدِ

والمنظومة الرابعة قرضها حالي بمناسبة زَواج الميرزا ثريّا جاه غورغاني بناء على طلب صديقه العزيز المولوي أشرف بيغ المرحوم. يبدأ الشاعر المنظومة بالكلمات العربية الشائعة في العهد الجاهلي للدعاء للملوك والسلاطين. وفيه عشرة أبيات و هو في بحر الوافر:

أبَيتَ اللَّعنَ نُخبة آل قوم إليهم ينتهي كلُّ المعاني

وفي مدح العريس والعروس يقول حالي:

خطبتَ كريمة من طيباتٍ أو لات الفصل خيَّرةِ الفِعالِ

وفي البيت الأخير في كلمة الثريا إيهام. فالثريا كوكب واسم العريس أيضا ثريا:

قبوركَ فيه ما دام الثُريّا وما انسلخ النهارُ من الليالي[١]

والقصيدة الخامسة البائية طويلة جدا، ففيها ٤٨ بيتا، أرسلها الشاعر إلى الشاه عبد الغني قدّس الله سرّه الذي كان آنذاك في المدينة المنورة. والشيخ عبد الغني أظهر إعجابه بها وعرّفها على أدباء المدينة المنورة،

[١] ضميمه أردو كليات حالي، ص ١٢٤.

فإنهم حبّذوها أيضا[١]. وهذه القصيدة تبدأ بالتشبيب وفيها ٢٦ بيتا في التشبيب. ولم يترجمها الشاعر إلى اللغة الأردية مثل القصائد الأخرى. تبدأ قصيدة حالي بالأبيات التالية وهي من بحر الطويل:

هَوَى الحُور بَلْوَى كلِ حبرٍ ونادبِ و فتنةُ قِسِّيسٍ و زلةُ راهبِ
وهزمٌ لِمنصورٍ وفتحٌ لِخاذلٍ و عِزٌ لِمغلوبٍ و ذُلٌّ لِغالبِ
وما مِن نساءِ الحيِّ لِلعِزِّ مخلصٌ بِلمحٍ قدِ استأثرْنَ أهلَ التجاربِ
وليسَ بِداءٍ كادَ يُشفى سقيمُه صَبابَةُ قلبي بِالعَذارَى الكواعِبِ
قد اختطَفتْ لُبّي وروعِيْ مَلِيحةٌ بِلُطفِ مُدارٍ لا بِعَبْسِ مُعاتِبِ
مُعطلّة الآراءِ مِن غيرِ رُقيةٍ مُقتّلةُ الأحشاءِ لا بِالمَضارِبِ
وصاحِبةُ العُشّاقِ لا فِي مَكارِهٍ و كاذِبةُ الميثاقِ لا بِالمُراقِبِ
لِفِي نظرةٍ منها و غَمْزٍ و لمحةٍ بلاءٌ لِذي وَرْعٍ إلى اللهِ تائبِ
وكمْ مِن حياءٍ دونَها و تصَحُّبٍ و حصنٍ مِن التقوى وخَوفِ العَواقِبِ
عَجِبنا لِمَا قدْ خرَّ موسى و صَعْقِهِ ولكنْ رأينا عندَ كشفِ الْجَلابِيْبِ

وما أروع شعره في هذا النسيب:

لفِي نَظْرَةٍ مِنها وغَمْزٍ ولمْحةٍ بلاءٌ لِذي وَرْعٍ إلى اللهِ تائِبِ

ويختتم حالي القصيدة قائلا:

سينفدُ دون الابتداء بوصفه أقاويلُ وَصّافٍ وأوصافُ كاتبِ

[١] المصدر السابق، ص ١٢٥.

وفي القصيدة السادسة الأخيرة قدّم خواجه ألطاف حسين حالي أعطر التهاني و التبريكات إلى مولانا شبلي النعماني (١٨٥٧ – ١٩١٤م) بمناسبة تعيينه محاضرا في علي جره. وفيه ١٣ بيتا. ذكر فيه خصائصه المختلفة من علم وفضل و ورع وتقوى وكشف غطاء عن الحق و جعلِ كتاب الله خيرَ جليس له. يبدأ القصيدة بالبيت التالي وهو من بحر الخفيف:

يا وحيدا من الكرام فريدا وعزيزا كمثل عِلْقٍ نفيسِ

ويختتم حالي قصيدته بالدعاء له:

صانك اللهُ عن مكارهَ حتى صرتَ كالقلب آمنا في الخميس[١]

(ب) قسم النثر:

والنثر في هذه الملحقة (صفحة ١٢٩ - ١٥٦) يتضمن ٧ مكاتيب، وتقريظا على كتاب ضياء الدين الجهان آبادي، وخطبة ليوم الجمعة، وترجمة للحكايتين الصغيرتين من گلستان الشيخ سعدي الشيرازي، ومقالة بعنوان "جملة صالحة".

و ألقى حالي ضوء في هذه المقالة على خدمات السَر سيد أحمد خان (المتوفى سنة ١٨٩٨م) وعلمه وفضله. والمقالة على الرغم من أن حالي كتبها للمجلة العربية الأدبية المسماة بـ "النحلة" الصادرة من لندن، ولكن المجلة توقفت، فانتشرت الأوراق، ثم جمع المؤلف الأوراق المتبقية له،

[١] المصدر السابق، ص ١٢٨.

ونشرها في هذه الملحقة التي تعرف بـــ ضميمه. وقد صرح الأستاذ سليمان أشرف أنه ترجم هذه المقالة إلى اللغة الأردية ونشرها في مجلة فكر و نظر الأردية (سبتمبر ٢٠٠٤م) الصادرة من جامعة علي جره الإسلامية.[١]

***

[١] المرحوم الأستاذ سليمان أشرف: حالي والأدب العربي، كوخ العلم، دهي، ٢٠٠٦م، ص ٦٤ – ٧٠.

التيارات الفكرية ودورها الرائد في إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند

الدكتور محمد أجمل القاسمي*

منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري – نهاية القرن الثامن عشر الميلادي- ظهرت تيارات إصلاحية في العالم الإسلامي وغير الإسلامي وهذه التيارات شهدتها الدول نحو إيران ومصر وسوريا ولبنان وشمال إفريقيا وتركيا وأفغانستان إسلامياً مثلاً والهند غير إسلامي على سبيل المثال.[١] كذلك في هذه البلدان ظهر بعض دعاة الإصلاح الذين نشروا الأفكار الإصلاحية ديناً ووطنياً. ظهور هذه التيارات والحركات جاء بعد ركود فكري لعدة قرون، وإلى حد يمكن القول بأنه كان كردّ فعل لغزو الاستعمار الغربي السياسي والاقتصادي والثقافي وكان نوعاً من حركة التوعية وتجديد الحياة (Renaissance) في البلدان الآنفة الذكر.

وفي الواقع قد انطلقت الحركات الإصلاحية في الهند – على وجه العموم – خلال نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر الميلاديين وتالياً حتى القرن العشرين، وكان شعارها التغيير والتجديد،

* محاضر ضيف في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو- نيودلهي.

١. أرحيلة ، عباس: "حركات الإصلاح في العالم الإسلامي"، منشور في موقع رسمي على الانترنت للكاتب، ٢٠٠٩، ص. ١.

والإسهام في الحضارة الحديثة، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية. وقد اتخذت هذه الحركات توجهات بحسب أوضاعها، وعلاقاتها مع الحضارة الغربية.

كانت الوضعية العامة في المجتمع الهندي تستدعي الإصلاح. وهناك خصائص طبيعية وأسباب تاريخية تزيد من عوامل الاختلاف بين الشعوب؛ إذ تتميز هذه الشعوب بتوزيع جغرافي عبر مناطق شاسعة من أرجاء الهند، وتتعدد أجناسها وتختلف لغاتها وحضارتها، مما يصعب معه تصور تحقيق وحدة وطنية، إلا إذا قامت على منهجية قومية قوية ودقيقة.

وفي هذه المرحلة الحَرِجة من تاريخ الإسلام في الهند، ظهرت حركة الشيخ المجدد أحمد السرهندي (١٥٦٣ – ١٦٢٤م) وقويتْ في عهد المَلِك جهانگير (١٥٦٩ – ١٦٢٧م)، بعد أن وصل الإسلام إلى حالة من الضعف والهوان.[١] ومن واقع المسلمين هذا نهَض الشيخ السرهندي بدعوته التي تركزت على تثبيت العقيدة الصحيحة، والقضاء على معالم الوثنيَّة الهندوسية والمسيحية الثلاثية والديانات الأخرى الرائجة في البلاد.

كذلك وفي مِثل هذا العصر الخامل المُظلِم مفكِّرٌ مُتبصِّر، حرية الرأي، يُفكِّر متجرّدًا عن أوضاع بيئته وزمانه، ويَفُك أغلال المسلم التقليدي، والعصبيات الراسخة في النفوس طيلة القرون، فإن الإمام الشاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٣ – ١٧٦٢م) ولا ريب فيه أنه ثبت من أعماله ومساهماته فإنه من أحد زعماء التاريخ الإنساني الذين عالجوا مرتبِكَ الأفكار، مُتشابِكَ

[١]. النجار، فهمي قطب الدين: "الشيخ السرهندي من رواد الصحوة الإسلامية في الهند"، ط. شبكة الألوكة الثقافية الإلكترونية.

الآراء، فجلّوا غامضها، وحلّوا مَقصِدَها، ووضعوا للفكر والنظر الإنساني نهجًا واضحًا مستقيمًا، ثم خلّفوا في نفس الناس تضجُّرًا من الأحوال الراهنة، وتركوا في أذهانهم صورة متلألئة لبرامج الإصلاح والإنشاء؛ مما يُفضي، لا محالة إلى أن تَنبعِث منهم حركة لهدم الفاسد وعمارة الصالح.[١]

ففي ضوء أفكار وآراء هاتين الشخصيتين البارزتين نقوم بالتطرق إلى الخدمات والنشاطات في الأسطر التالية عبر بعض الكتل والتيارات أو الحركات التي مرّت خلال أجواء الهند آنذاك.

فاستبقت في هذه المرحلة وذلك على نطاق واسع مدرسة "فرنغي محل" التي أسست خلال نظام الملك المغول أورنگ زيب (١٦٥٨-١٧٠٧م) في النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي والتي لعبت دوراً هاماً في الأوضاع الخطيرة عمت في أنحاء البلاد وأثرت أثراً عميقاً في تقدم البيئة العلمية والمناخ التعليمي في الهند[٢].

مدرسة فرنغي محل

ساهمت مدرسة "فرنغي محل" مساهمة كبيرة في ازدهار وتطور العلوم الإسلامي في الهند، وهي أول مدرسة فكرية وعلمية في ذلك العصر، وذلك في بداية القرن الثامن عشر الميلادي[٣]. وانتقلت العلوم انتقالاً سريعاً إلى طيلة زمن حتى جاء عهد شاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٣ – ١٧٦٢م)،

---

[١]. المودودي، أبو الأعلى: "تجديد الدين وإحياءه"، ط. دار الفكر الحديث لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٧، ص. ١٤٠.

[٢]. Singh, Rajendrapal: Rana, Gopal: "Teacher Education in Turmoil: Quest for solution", Sterling Publishers Pvt. Ltd. New Delhi-2002, p. 19.

[٣]. الحسني، عبد الحي: "الهند في العهد الإسلامي"، ط. مجمع الامام احمد بن عرفان، دار عرفات، رائ بريلوي ٢٠٠١، ص. ٣٦٩.

وفي هذه المدرسة على الأغلب انتشرت دراسة علوم المعقولات بدلاً عن العلوم المنقولات ولكنها بسرعة سريعة.[١]

"فرنغي محل"، في الحقيقة، هي حي من أحياء مدينة لكناؤ، قام في هذا القرن بزيارة الهند تاجر فرنسي وأقام في هذا الحي، فسمي هذا المكان الخاص بـــ "فرنغي محل"، الذي سكن فيه عندما غادر التاجر متوجهاً إلى موطنه، وهذا القصر الخاص الذي مكث فيه تم نقله إلى الأراضي الحكومية، وتم تأسيس مدرسة أساسية وجرى التعليم في هذا القصر، وهي أصبحت تدريجياً معهداً كبيراً للعلوم المعاصرة والعلوم الدينية بشمول المعقولات والمنقولات والعلوم الأخرى الضرورية.[٢]

ولم تقم في شبه القارة الهندية دعوة إصلاحية واحدة فحسب ولكن قامت فيها عدة تيارات ومنظمات حقق لبعضها النجاح التام وبعضها الآخر تم له نجاح محدود كقوة سياسية ذات نفوذ مستقل.

ومن أشهر قادة الإصلاح الديني والاجتماعي في الهند السيد أحمد بن عرفان الشهيد (١٧٨٦-١٨٣١م) الذي درس على يد الشاه عبد العزيز (١٧٤٦- ١٨٢٣م) ابن ولي الله الدهلوي، بدأ يُرشِد الناس ويدعوهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وبعد عودته من فريضة الحج نادى بالجهاد في سبيل الله؛ لتحرير الهند من السيطرة الإنغليزية، التي بدأت في الهند سنة ١٦٠٠م على يد شركة الهند الشرقية، ثم استولت على الهند عند انتهاء

١- ط. لندن ١٩٦٧، ص. ٣٦.The Indian Muslim" مجيب ، محمد:

٢- شيخ محمد إكرام: "رود كوثر" كلاسيكل برنترس دلهي ١٩٥٧، ص ٥٧٨.

القرن الثامن عشر الميلادي.[١] كانت له جهود عظيمة في إيقاظ الروح الإسلامية في القارة الهندية. وكان له تأثير بالغ في صفوف المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية ورعاية أتباعها. وكذلك التيارات التي أنجزت نجاحاً كبيراً في هذا المجال هي حركة أهل الحديث في الهند وقائدها العظيم النواب صديق حسن خان (١٨٣٢-١٨٩٠م) أمير مدينة بهوبال الهندية، الذي قامت دولته على الدين الخالص وإحياء السنن وإماتة البدع وكانت له عناية بعلوم الشريعة أصولا وفروعا فبحث وألف ونشر ودعا الناس إلى التوحيد.[٢] وأقام كياناً سياسياً في شبه القارة الهندية. وإن كانت الدولة قد زالت فإن آثار هذه الدولة الفكرية والدينية لا تزال قائمة في نفوس أتباعها ممثلة في جمعية أهل الحديث.[٣] ومن بين هذه الكيانات، الحركة الفرائضية كرس أصحابها على قوة ضاغطة ووقفوا في وجه الاستعمار الانكليزي في الهند ينافحون عن دعوتها ويعملون على نشر مبادئها السلفية بكل قوة جريئة.

ومن أصحاب الكيانات الإصلاحية في الهند كذلك السيد أمير علي (١٨٤٩ – ١٩٢٨م) وهو أحد قادة الهند الذي قاد حركة سياسية إسلامية في الهند ولقي في ذلك عناء شديداً وكان في كثير من الأحيان يضطهد من الجيش الإنغليزي وإن كان يشجع من أحرارهم ويُكره من الهندوسيين لاصطدامه معهم في إصلاح المسلمين.[٤] وأخذت دعوته تتعاظم وتمتد، وأقام دولة إسلامية حملت راية الدعوة الإسلامية والجهاد ضد الاستعمار

---

٣. الندوي، مسعود عالم: "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ط. دار العربية بيروت، ١٩٨٦، ص ١٦٨

٢. الندوي، أبو الحسن علي: "إذا هبت ريح الإيمان"، ط. مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد دار عرفات-راى بريلي، ١٩٩٤، ص. ٣٨

٣. الندوي ، محمد إجتباء: الأمير نواب صديق حسن خان، حياته وآثاره"، ط. دار ابن كثير ١٩٩٩، ص. ١٥.

٤. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح في عصر الحديث"، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥، ص. ١٣٩

الانغليزي وأعوانه.[١] وبقيت آثار هذه الحركة في نفوس أتباعها حتى اليوم في إقليمي البنجاب والبنغال.

فكان القرن التاسع عشر الميلادي قرن الازدهار Booming والتطور Blooming علماً وثقافة، كما و هذا القرن كان قرن الحركات الإصلاحية والتيارات النشطة، وحاولت هذه الحركات إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند، واعتنى المصلحون والمفكرون عناية خاصة إلى إصلاحات سياسية، دينية، اجتماعية، دراسية، علمية، وعقائدية، وتحول انتباه الناس إلى العلوم الجديدة[٢]. فأليق بنا أن نقوم بتسليط الضوء على أبرز الحركات الإصلاحية المهمة التي لعبت دوراً هاماً لإصلاح المسلمين الهنود.

حركة أهل الحديث

أهل الحديث هو اسم آخر من مسميات أهل السنة. فقد عُرف أهل السنة والجماعة بمسميات تدل على منهجهم واعتقادهم، الذي يميزهم عن غيرهم من أهل التشيع والتصوف والإباضية والمعتزلة وغيرها كأهل السنة والجماعة، أهل الحديث أو أصحاب الأثر، والفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة، والسلف والسلفيون، والخلاف بين تلك المسميات خلاف تنوع[٣].

حركة أصحاب الحديث من أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية، قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة وفهمهما على ضوء منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يوم الدين،

---

[١]. انجينير،أصغر علي: "They too fought for India's freedom: The role of minorities"، مقال منشور له في كتاب قام بإدارتها أصغر علي انجينير بنفسه، ط. Hope India Publications نيودلهي ٢٠٠٥، ص. ١٨.

[٢]. Chandra , Bipan: "India's Struggle for Independence", Penguin Books, New Delhi, 1988, pp. 44.

[٣]. عجلان ، عبد الله ابن محمد: "حركة التجديد والاصلاح في نجد في العصر الحديث"، ط. مكة ١٩٩٢، ١١٣.

وتقديمها على كل قول وهدى سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق على طريقة الفقهاء المحدثين، ومحاربة المحدثات والبدع والخرافات بأنواعها. يرجع تاريخ أهل الحديث في شبه القارة الهندية إلى العهد الإسلامي الأول،[١] وفي أواخر القرن الرابع الهجري بدأ الضعف يدب في نشاط هذه التيار الفكري وقد بلغ منتهاه في القرن الثالث عشر الهجري نظراً لانتشار الخلافات السياسية والعصبيات، وظهور فتنة الباطنية وقل الاهتمام بالسنة وفشا التقليد والتعصب للمذاهب والجمود عليها، وسادت علوم اليونان.[٢]

ومع بداية القرن الحادي عشر الهجري بدأ دور جديد لأهل الحديث إذ ظهرت في عصر الشيخ أحمد السرهند (١٥٦٣ – ١٦٢٤م) وبلغت ذورتها في عهد أنجال الإمام شاه ولي الله المحدث الدهلوي (١٧٠٣ – ١٧٦٢م) وبخاصة نجله الأكبر شاه عبد العزيز الدهلوي (١٧٤٦- ١٨٢٣م). إذا استفادوا من منهج أبيهم في الدعوة والإرشاد والتدريس والإفادة والتأليف، ونبذ الجمود والتعصب المذهبي، وزادت قوتها وانتشارها في عهد حفيده الإمام إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهيد (١٧٧٩ – ١٨٣٠م) قائد الدعوة والجهاد وصاحب كتاب تقوية الإيمان.

بعد وفاة الإمام شاه إسماعيل الدهلوي في معركة بالاكوت في سنة (١٢٤٦ه/١٨٣٠م)ـــ. عمل أهل الحديث مسؤولية الدعوة والجهاد بكل أمانة

[١]. عبد الوهاب خليل الرحمان: "الحركة السلفية في الهند"، لاهور ١٩٨٣، ص. ٣٠

[٢]. أحمد، صلاح الدين مقبول: " دعوة شيخ الإسلام إبن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة ومواقف الخصوم منها"، در ابن الأثير، القاهرة ١٩٩٦، ص. ٢٥٣.

وإخلاص، وكانت جهودهم في هذه الفترة مرتكزة على ثلاثة ميادين: الجهاد والتأليف والتدريس.

أما فيما يتعلق بمصطلح أهل الحديث فقد روى الخطيب البغدادي في "شرف أصحاب الحديث" عن الإمام أحمد: أنه ذكر حديث افتراق الأمة فقال: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم"، وكذا قال يزيد بن هارون، وعقب القاضي عياض على قول أحمد بقوله: "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث".[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه: "وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هِيَ بِاتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ. فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ : هُمْ أَعْلَمُهُمْ بِآثَارِ الْمُرْسَلِينَ وَأَتْبَعُهُمْ لِذَلِكَ فَالْعَالِمُونَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ الْمُتَّبِعُونَ لَهَا هُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَهُمْ الطَّائِفَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَإِنَّهُمْ يُشَارِكُونَ سَائِرَ الْأُمَّةِ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ أُمُورِ الرِّسَالَةِ وَيَمْتَازُونَ عَنْهُمْ بِمَا اُخْتُصُّوا بِهِ مِنْ الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ الرَّسُولِ؛ مِمَّا يَجْهَلُهُ غَيْرُهُمْ أَوْ يُكَذِّبُ بِهِ.[٢].

ومنذ أن سطعت شمس الإسلام على أرض الهند، وبددت أنوارُ التوحيد ظلمات الكفر وإلى يومنا هذا؛ كان ولا يزال أهل الحديث هم الحاملين الحقيقيين للجهاد والدعوة الإسلامية.

ففي ميدان الجهاد هم الذين قادوا الفتح إلى البلاد، وهم الذين حاربوا الهندوس والسيخ والبراهمة، وهم الذين قاوموا المحتلين الأجانب، وحرروا

---

[١]. شرح النووي على مسلم (٦٧/١٣)
[٢]. مجموع الفتاوى:٢٦/٤

المدن وفتحوا أخرى، بل هم الذين قاوموا الاحتلال الإنغليزي وبخاصة في الحدود الشمالية للهند حتى خرج الاستخراب منها عام ١٩٤٧م.

وفي ميدان المشاركة العلمية والتأليف فقد كانت لهم قدم السبق إلى الاهتمام بعلوم القرآن والحديث، وبيان السنة وشروحها، والدفاع عن العقيدة، ومحاربة البدع والأفكار الهدامة.

فمن أبرز أئمتهم أمير (بهوبال العلامة النواب صديق حسن خان (١٨٣٢-١٨٩٠م)، الذي أُثرى المكتبة الإسلامية بما يقارب ثلاثمائة كتاب والذي آثر العمل الجماعي على الجهد الفردي. فشكل مجلسا علميا مكونا من العلماء السلفيين، ليقوم بمهمات التأليف والترجمة والتدريس. وأنشأ لذلك عدة مطابع لنشر كتب السلف، قرر لغير واحد من العلماء والدعاة العاكفين على التأليف والدعوة والإرشاد رواتب شهرية تشجيعا لهم وتنويها بأعمالهم.[١]

أما في ميدان الدعوة والتدريس والتعليم فقد كان تركيز علماء أهل الحديث في الهند، إذ به يُفرق بين الحق والباطل، وتــُضبط المسائل، وتــُقام الحجة، وتُبين المحجة. وكان من أبرزهم العلامة الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي (١٨٠٥ – ١٩٠٢م)، الذي استمر في تدريس علوم الحديث والعقيدة الصحيحة في مدينة دلهي قرابة الستين عاما، وانتهت إليه رئاسة علوم الحديث فيها، بل وقيل أنه اعتنق في عصره نحو المليونين من المسلمين العقيدة الصحيحة، ورأى أن جهده كفرد لا يوافي القدر المطلوب من العمل والمتابعة والتدريس، فأنشأ لذلك مدرسة، خرَّجت عددا من أعلام

[١]. ابو المكرم بن عبد الجليل: "دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها" ط. مكتبة السلام الرياض، ٢٠٠٠، ص. ١٤٨.

السنة والدعوة في العصر الحديث، أمثال الإمام المحدث عبدالله الغزنوي (المتوفي ١٨٨٠م) وشمس الحق العظيم آبادي (١٨٥٦ – ١٩٢٩م)، مؤلف عون المعبود شرح سنن أبي داوود، والشيخ عبد الرحمن المباركفوري (١٨٦٦ – ١٩٣٤م)، صاحب تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، والشيخ محمد بشير السهسواني (١٨٣٣ – ١٩٠٨م)، صاحب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، والشيخ عبدالله بن إدريس السنوسي (١٨٤٤ – ١٩٣١م) وغيرهم، ومازالت مدرسته إلى اليوم بمدينة دلهي معروفة بجامعة السيد نذير حسين الدهلوي.[١]

وقد اعترف الشيخ العلامة رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٣٥م) بخدمات علماء السنة في الهند فقال في مقدمة كتاب كنوز السنة للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: "لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر".[٢] وإلى الإشادة بمنهجهم تكلم الأستاذ المحقق عبدالعزيز الخولي في كتاب مفتاح السنة فقال:

وإن أساس تلك النهضة في البلاد الهندية الأفذاذ والأجلاء تمخضت بهم العصور الحديثة وانتهجوا في تحصيل العلوم نهج السلف فنبه شأنهم وعلا أمرهم وذاع صيتهم وتكونت جمعيات سلكت سبيلهم وعملت على نشر مبادئهم، فكان لها ذلك الأثر الصالح والسبق الواضح ومن أشهر هؤلاء

[١]. الفريوائي ، عبد الرحمان: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، جامعة السلفية بنارس ١٩٩٠، ص. ٢١٠.
[٢]. عبد الباقي محمد فؤاد: "مفتاح كنوز السنة"، في مقدمته أعرب رشيد رضا عن رأيه حول علماء الهند وخدماتهم.

الأعلام ولي الله الدهلوي صاحب التصانيف في اللغتين العربية والفارسية وأشهرها حجة الله البالغة والسيد صديق حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف الكثيرة أيضاً".[١]

وفي الحقيقة ظهرت حركة أهل الحديث لأول مرة بعد انحطاط الدولة المظفرية بولاية غوجرات في الهند، ولعب علماءها دوراً بارزاً هاماً في نشرها وحمايتها ورعايتها ورعاية أهلها وطار صيتها في أنحاء البلاد، فيتبادر إليها أهل العلم من كل ناحية من نواحي البلاد، حتى تتابع وفود العلماء من خارج الهند. وكانت حركة الحديث والسنة قوية في البلاد العربية آنذاك. وتخرج منها عدد كبير من علماء الهند والعرب ويرجع إلى هذه الحركة فضل تجديد علوم السنة في بلاد الهند، فإن تلاميذها قصدوا إلى أرجاء الهند وركزوا اهتمامهم على خدمة الكتاب والسنة، وكثرت رحلات أهل العلم من الهند إلى الحرمين التي كان لها أثر طيب في تجديد السنة. ثم انتقل علم الحديث من غوجرات إلى منطقة دلهي.[٢]

واليقظة الدينية التي ظهرت من دعوة المجدد السرهندي والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (١٥٥١ – ١٦٤٢م) قد خفيت آثارها واندرست وتسربت الأوهام المنكرات إلى صفوف المسلمين، وراج التصوف على أعمال المحدثات والخرافات التي تقضي إلى الزندقة والإلحاد. وران الجمود الفقهي والتعصب الديني على عقول الفقهاء الذين شغلتهم التدقيقات الفقهية، والمناقشات الكلامية وعلوم اليونان عن الإشتغال بعلوم الكتاب والسنة. فلم

---

[١]. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح ص. ١٦٤.

[٢]. مهر ، غلام رسول: "تراجم أهل حديث"، لاهور ١٩٧٧، ص. ١٣٨-.١٣٩

يكن من السهل الميسور إحياء تلك الحركة التجديدية التي بذر بذرتها الأولى الإمام السرهندي، ولكن تغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين ببروز الشاه ولي المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى الذي رتب منهاجاً حديثاً للدعوة والإصلاح وكان هذا الرجوع إلى دين السلف، وقصر همته على نشر أفكاره وإحياء السنة وكان هذا تحولا عظيما في حياته، وقد اختار نشر أفكاره عن طريق التدريس والتاليف والدعوة والإرشاد، وقد استقاد من دروسه ومؤلفاته خلق كثير واشتغلوا بعده في نشر أفكاره وبث الروح الإسلامي ودعوة الرجوع إلى دين السلف.[١]

الشاه ولي الله الدهلوي وحركة أهل الحديث

ومن المعروف كان بروز دعوة الشاه ولي الله الدهلوي في القرن الثامن عشر الميلادي واهتمامه بإحياء السنة على طريقة السلف، وكان الشاه ولي الله من العلماء المجتهدين الذين جدّدوا علوم الدين وشيدوا أركان العلم ودفعوا الفساد عن الأرض. وللشاه ولي الله آراء قوية في تقدير الرجال وهي إن أعظم الرجال وأفضلهم المصلحين الذين يوجهون عزائمهم إلى رفع الأمة من الدرجة السفلى إلى الدرجة العليا، وهو يقول عن أسباب الضعف للإسلام:

"إن أسباب الضعف ليس مصدرها الإسلام بل الإسلام لا يزال على نقائه وإنما سببها المسلمون أنفسهم الذي تخلفوا عن دينهم، وإنه دافع عن

١. الفريوائي ، عبد الرحمن: "جهود مخلصة ، ص. ٦٠ – ٦٢ وسيالكوتي: "تاريخ أهل حديث"، ص. ٤٥

الإسلام أشرف دفاع وهاجم الأنظمة والأفكار الإنغليزية، فكانت له مواقف قوية رائعة خاصة للدفاع عن الإسلام".[١]

وتختلف آراء العلماء في موقف الشاه ولي الله الدهلوي، إما هو يتعلق بأهل الحديث أو بالحنفية، فيجره الحنفية إلى الحنفية ويضيف السلفيون إلى السلفية ولكن الأحسن أن تتأمل إلى أعماله وإصلاحاته فإنه يركز نفسه على دراسة الحديث وعلمه وعمله، وكذلك يبدوا بعد دراسة عميقة لكتب المسالك الأربعة وكتب أصول الفقه والأحاديث التي تعتصم بها إستقر في القلب بتوفيق الله تعالى وهدايته إلى طريقة الفقهاء المحدثين.[٢] ومع هذه الصراحة لا يرى من البأس انتسابه إلى الحنفية أو السلفية بثبات، كما أنه قام بأكثر من الأعمال التي هي على طريقة الأحناف عامة، وفي بعض الأحيان إنه يؤيد التأمين بالجهر خلف الإمام، الذي هو عمل أصلي لمسلك أهل الحديث.

وكانت الغايات والأهداف لهذه الحركة إلى أن يلفق بين المذاهب الأربعة ومذهب الفقهاء المحدثين، لا تكون فيها الظاهرية التي تشين النصوص وتبعد عنها الفصاحة والبلاغة عهدناها لدى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ولا الإهتمام البالغ بالقياس والرأي بحيث يتحكم في النصوص تدقيق العلماء وتفريعهم، ولا يبقى لها معنى واضحا كما نرى لدى الفقهاء المتأخرين الذين أنشأوا قصراً جديداً للدين حيث عجز المتقدمون.

وكذلك إهتم أصحاب هذ الحركة بعدم قبول إلى مواقف الظاهرية، فوجهوا انتقادهم إلى قواعد الفقه وأصوله التي يترتب عليها رفض الحديث

---

٢. الحسني ، عبد الحيء: "الثقافة الإسلامية في الهند"، دار عرفات رائ بريلي، ص. ١٩٧٩، ص. ١٠٥

[٢]. نوشهروي: تراجم علماء أهل الحديث"، ص. ٢٢٧.

وانكاره، مثل الخاص واضح فلا يلحقه البيان، والعام القطعي كالخاص والمفهوم المخالف غير معتبر.[١]

أبناء الشاه ولي الله وحركة أهل الحديث

ثم انتقلت مسؤولية هذه الحركة إلى أنجال الشاه ولي الله الدهلوي وتلامذتهم الذين ساهموا في حركة إحياء السنة النبوية.

تخرج فيها علماء ودعاة وأئمة، قاموا بنشر دعوته وإصلاحاته والأخص بالذكر منهم أبناءه الأربعة الذين رفعوا لواء السنة والتوحيد بعده. ومن بينهم: الشاه عبد العزيز الدهلوي (١٧٤٦- ١٨٢٣مـــ)، والشاه رفيع الدين (١٧٥٠ - ١٨١٧م) والشاه عبد القادر (١٧٥٣ – ١٨١٥م) والشاه عبد الغني (١٧٥٧ – ١٨١٩م). وعكف أبناء الشاه ولي الله الدهلوي على مسند أبيه في المدرسة الرحيمية بدلهي، ونشطوا لنشر آراءه وأفكاره فصارت المدرسة أكبر معهد في الهند، تبادر إليها طلاب العلم من أرجاء البلاد. وقد تخرج على هؤلاء العلماء الكبار عدد كبير من طالبي علوم الحديث والفقه وتفسير القرآن الكريم الذين قاموا بدور التجديد والإصلاح في المجتع الإسلامي الهندي ونشروا السنة وأحيوها.[٢] وقد انتشرت هذه الدعوة في الهند على نطاق واسع. وكان بناءها الفكري والعلمي والديني على أساس قوي بحيث لم تهنه التحولات السياسية الهندية. وكانت من غاياتها تصفية الإسلام من التوهمات المخترعة والخرافات المنكرة ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف في مجال العلم والعمل واختيار طريق الفقهاء

٢. نو شهروي: "علماء أهل حديث كى تصنيفي خدمات"، ص. ١٤٥.

[٢]. أجمل ، محمد: "الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي ومآثره العلمية"، ط. روز وورد بوك، نيودلهي ٢٠١٢، ص. ٥٨.

المحدثين في المسائل الفقهية، وفي الوقت نفسه أخذ يغادر الناشطون متوجهاً إلى الدول مثل نجد والحجاز واليمن وغيرها لتجديد هذه الحركة التي بدأها ابن تيمية وابن القيم في بلاد مصر والشام في القرن السابع و الثامن الميلاديين، والتي كانت تهدف إلى تحرير الأمة المسلمة من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم من غير دليل وبرهان، ودعوتهم إلى اتباع الكتاب والسنة، وقد التصقت هذه الحركة بفكرة الشاه ولي الله الخالصة.[١]

"إن حركة أهل الحديث ملتقى حركات ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والشوكاني وحركة الشاه ولي الله الدهلوي للرجوع إلى دين السلف والتي تهدف إلى القضاء على المحدثات وتحرير المسلمين من التقليد الجامد للأئمة المجتهدين وأتباعهم بدون دليل. ثم دعوة الناس إلى أصل الكتاب والسنة في العقائد والأعمال واتباع طريق السلف".[٢]

وقد صرح الشيخ السيد سليمان الندوي:

"إن أهل الحديث قادها إسماعيل الشهيد فكانت تبني على نصب الامارة وإنشاء نظم الزكاة وإرجاع الإسلام إلى أصله بإزالة جميع الآثار التي طرأت عليه".[٣]

وازدهرت هذه الحركة العلمية والإصلاحية بمحاولات هؤلاء العباقرة المخلصين، وكان في هذه الجماعة من ينتمي إلى الحنفية عملاً وإلى أهل الحديث عقيدة، ومنهم من ينتمي إلى الحنفية في العقيدة والعمل، ومنهم من ينتمي إلى أهل الحديث عقيدة وعملاً. ولكنهم الذين يشتركون فيه الجميع هو

---

[١]. المصدر السابق: ص. ٥٩-٦٠.

١. الفريوائي، عبد الرحمان: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، جامعة السلفية بنارس ١٩٩٢، ص. ٣٩

٢. الندوي ، سيد سليمان: "مقدمة" نوشهروي: تراجم أهل حديث، ص. ٧.

أنهم لا يبرزون هذا الاختلاف فقط. فمن كان منهم من يتمسك المذهب الحنفي كان يكره الجمود الفقهي والعصبية وكان هؤلاء يتوسعون في المسائل الخلافية لدى الأئمة ولم يكن يسخطهم العمل بمذهب من المذاهب. وأيضاً متأثرون بالتصوف ولكن يتنفرون من المحدثات.

ثم تطورت هذه الحركة الإصلاحية الدينية تحت رئاسة عائلة "صادق فور" السلفية ومن أبرز الشخصيات في هذا الميدان كان الشيخ ولايت علي الصادقفوي (ت ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) وشقيقه الشيخ عنايت علي الصادقفوري (ت ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)[١] وأسرتهما الذين تحملوا مسؤولية الجهاد ورفعوا رايته وأبلوا فيه بلاءً حسناً.

وقد ضحت بكل غال وثمين للحركة وسجل التاريخ بطولتهما وبطولة عائلة صادقفور في إصلاحها وإخلاصها للحركة، وقد ظلت هذه الحركة تمارس أعمالها الإصلاحية والدعوية، ونظرة دعاتها وقادتها في انشاء المدارس الدينية، وإحياء الدعوة السلفية وقد انتفع بهذه الحركة أهل الهند كثيراً بحيث لفت الناس عناياتهم إلى الإسلام، فتطورت الدعوة السلفية، ونشط رجالها لنشر السنة وإحياءها، فإن هذا جانب رائع من هذه الحركة التي ملأت بها الحياة الدينية في المسلمين. ثم شعر بعض من كان لهم علاقة وثيقة بهذه الحركة وأهدافها، وأدّوا واجباتهم فمنهم الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي، فهو بذل قصارى جهوده لنشر السنة والسلفية بطريق التدريس والتأليف والإرشاد.[٢]

---

[١]. السلفي ، محمد مستقيم: "جماعة اهل حديث كى تصنيفى خدمات"، ط. الجامعة السلفية بنارس .٢٠٠٢

١. سيالكوتي ب، محمد إبراهيم مير: "تاريخ أهل حديث"، ص. ١٢١. [٢]

الحـــركة الفـــرائضـــية

الحركة الفرائضية أسسها المولوي شـــريعة الله (١٧٨١ - ١٨٤٠م) عام ١٨٠٤م، الذي نزل في مدينة فريدفور في ولاية غرب بنغـــــال حاليـــاً بعـــد أن قضى سنتين في الحجاز، فقد استهلت هذه الحركة السلفية المهتمـــة بتنقية التوحيد من الشوائب الكثيرة التي علقت به،[١] ثم سرعان مـــا اكتســـبت طابعا سياسيا في عهد ابنه محمد محسن الملقب بـــــ دادو ميـــان (١٨١٩ - ١٨٦١م)، الذي جمع الفلاحين والحرفيين المسلمين في مجموعات متفرقـــة ودعاهم لمقاومة ملاك الأراضي الكبار، إلى جانب البريطانيين، عن طريـــق الإضرابات والمظاهرات والهجرة وعدم إقامة الصلوات العامـــة كالجمعـــة والعيدين، ما دامت السلطة في البلاد ليست بيد المسلمين![٢] محمـــد محســـن أعطى لهذه الحركة بعداً جديداً وقوة ضاغطة.

وبدأت الحركة بقيام أعمالها الإصلاحية والاستقلالية بقيادة مؤسســـها شريعة الله عام ١٨٢١م، وخلفه ابنه الذي قام بريادتها في تتميم دعوة أبيـــه، وتأثرت مراكز الإصلاح الدينية الأخرى أثراً بالغاً وعلماءها ومصلحيها من هذه الحركة[٣]. وكان المجتمع الإسلامي في أسوأ حال آنذاك، وقد تم الاحتلال عليه من الاستعمار البريطاني، وكانت هذه الحركـــة كحركـــة ســـيد أحمـــد البريلوي في الهند وكحركة محمد بـــن الوهـــاب (١٧٠٣ – ١٧٩٢م) فـــي الحجاز ويسمى لها أيضاً "حركة كتابية" أي مأخوذة ومنقولـــة مـــن الكتـــاب

١. انجينير ، أصغر علي: "They too fought for India's freedom: The role of minorities"، ص. ٢٠

٢. نفس المصدر: ص. ٢٠.

٣. شيخ محمد اكرام: "آب كوثر"، ط. ادبي دنيا ماتيا محل دلهي، ١٩٩٨، ص. ١٣٥

والسنة[١]، وهذه الحركة كانت تعتقد بالعقائد الصحيحة وتكره الاعتقادات الباطلة المشهورة في الناس. وتوجهت هذه الحركة عنايتها إلى المجتمع الإسلامي وإصلاحه، وتعرف بـ "الحركة الفرائضية" لأنها كانت تلتزم على القضايا الدينية الأساسية للإسلام.[٢] ولكنها أصلاً كان هدف هذه الحركة هو تشجيع المسلمين على أداء واجباتهم نحو الدين ومنعهم من العادات الدخيلة مثل تعظيم القبور وتقديم القرابين إليها، ويقال أن حاجي شريعة الله تأثر بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيام مكوثه في الحرمين الشريفين.

حركة دار العلوم ديوبند

أدرك بعض أصحاب شاه ولي الله الدهلوي حاجة الإصلاح والإرشاد في هذا القرن بأن يبدو على أن الطبقات الراشدة الأخرى لم تكن نشيطة في الشؤون الدينية الإصلاحية، فإنها انقسمت إلى جهتين جديدتين بوجه خاص، أحدها توجهت عنايتها تجاه دراسة الفقه وكتابة الفتاوى حول قضايا عامة المسلمين، فبهذه المناسبة إنها انفصلت عن خطوط الطريقة النقشبندية والمجددية وبذلت جهودها في تصفية النفس وتزكيتها فقط. وكانت الجهة الثانية أكثرها تمثيلية اهتمت بالتمرد العسكري في إمبراطورية القديمة، يعتبره عملاً إسلامياً عن طريق الجهاد[٣]، ولكنها باءت بالفشل في

---

[١]. مكي ، الدكتور مختار أحمد: "تحريك آزادي اور هندوستاني مسلمان" ط. قاضي Publishers and distributors، دلهي، الطبعة الثانية ٢٠٠٣، ص. ٦٧ – ٦٨.

[٢]. Ahmad , Moinuddin: “A History of the Fraidi Movement in Bengal”, 1987. P. 11

[٣]. Gopal , Ram: "Indian Muslims", (A Political History), Bombay, pp. 22-23

هذا المجال. أما السابقة فهي كانت شائعة معروفة ليست لأسرة شاه ولي الله فحسب، بل لجميع فرق من العلماء لهذا القرن. وكانت فكرة ولي الله مبنيـــة على الكتاب والسنة وتطورت بعد وفاته كمصدر أساسي وتناولت هذه الفكرة بعدد كبير من المسلمين لإنشاء المعاهد الدينية، وانبثقت هذه الفكـــرة انبثاقـــاً واسعاً وخرجت منها حركات إصلاحية كثيرة.[١]

نقابة العلماء في ميدان التعليم والتدريب

فـــإن الـــذين كانوا يتدرسون في مدينـــة دلهي عـــام ١٨٤٠م مـــنهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي (١٨٣٣ – ١٨٧٧م) الذي ساهم مساهمة كبيـــرة في حـــركة الإصـــلاح، و رشيد أحمد الكنكوهي (١٨٢٩ – ١٩٠٥م)، كانا يريدان إقامة المجمع العلمي في مدينة ديوبند بعد أن قامت الثورة ١٨٥٧م[٢]. وكان الرجل الثالث وهو الحاج إمداد الله (١٨١٥ – ١٨٩٩م) الـــذي لعـــب دوراً بارزاً في مجال التصوف في الهند وأصبح صوفياً حيث بايع على يديه عدد كبير من العلماء البارزين في ذلك العصر، وهاجر الحاج إمداد الله إلى مكة وعاش بها وتأثر به معظم العلماء البارعين وتلخص هـــؤلاء الرجـــال الثلاثة همتهم المبكرة خلفة كثير من العلماء في هذا العهد، وكان كل واحـــد منهم ينتمون إلى بلاد المجاورة ومكثوا في مدينة دلهي لمدة قليلة. ثم رجعوا إلى قراهم حسب مسؤولياتهم الدينية. وفي هذه الأعوام المبكرة لعب الشـــيخ محمد قاسم النانوتوي دوراً نشيطاً في مجال الإصلاح والتقويم ولاسيما فـــي

٢. فاروقي ، زبير أحمد: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي١٩٩٠. ص١٨.

[2] .Desai , Z. A.: “Centres for Islamic Learning in India”, Publications Division, Ministry of Information and Broadcasting, Government of India, New Delhi, 1978, pp. 174-175.

الأعمال المهمة للنشر والطباعة في مجموعات أعمال شاه ولي الله وأبنـــاءه في خدمة الحديث ودراسته.[١]

عقد برامج إصلاحية وثورة ١٨٥٧م

وبعد جهد جهيد تيسّر لهم أن يعدّوا برامج إصلاحية لأداء موهبـــاتهم الشهيرة في ضوء توجيهات السيد أحمد الشهيد البريلوي. وأصبحوا نظيـــراً في الطريقة الصوفية في جميع أرجاء البلاد حينذاك، وخاصة بعد ما حدثت كارثة ١٨٥٧م ولا يمكن للمصلحين أن يختاروا نفس السبيل الـــذي اختـــاره سيد أحمد البريلوي، وكانت تساعد حميته في نشر تأويلاته الأصلية الذائعـــة للقانون وصاروا له الوارثين الدائمين.[٢]

بعد ما فشلت ثورة ١٨٥٧م الشهيرة ضد الإستعمار الإنغليزي في شبه القارة الهندية التي قام بها الشعب الهندي، وتناهت الحالة سوءًا؛ حيث لفظت الدولة المغولية الإسلامية المزعومة في دلهي أنفاسها الأخيرة؛ إذ فشلت الثورة بمؤامرات تم تدبيرها من داخل الصف، وبقوة الجنود والبنود وكثرة العَدَد والعُدَد من قبل الاستعمار، وعلى ذلك فتم استيلاء الإنغليز على الهند كلها شرقًا وغربًا، فوضعوا السيف في المسلمين في دلهي وفي أرجاء البلاد ، وكثر القتلى والجرحى، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء، وتعرض العلماء ورجال الفكر والدعوة خصيصًا لغضب الإنغليز، فقتلوْا تقتيلاً وشُرِّدوا تشريدًا، وأُعْدِمُوْا شنقاً بعدد لا يُحصى. ومن تخلص منهم من ذلك كله نُفُوا إلى جزيرة "إندومان" التي كانت منفى سياسيًّا على

[1] .Barbara Daly Metcalf: “Islamic Revival in British India- Deoband-1800-1900” Princeton University Press, New Jersey, 1982. P. 48

٣. گيلاني ، مناظر أحسن: "سوانح قاسمي" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند ١٩٩٣. ص. ٢٤

عهد الإنغليز، لكونها غير ملائمة طبيعيّاً وجغرافيًّا للحياة الإنسانية والصحة البدنية.[١]

وبعد ما رسبت محاولات صدام مكشوف مرات كثيرة مع الاستعمار الإنغليزي الذي كان قد قضى نهائياً على الدولة المغولية الإسلامية، وأحكم قبضته على الهند من أدناها إلى أقصاها، كانت آخر هذه المحاولة الجريئة معركة الجهاد التي خاضها الشيخ محمد قاسم النانوتوي وزملاؤه وشيوخه العظام في الطريقة بقرية "شاملي" بمديرية مظفر نغار، بولاية أوترابراديش، تلك التي سقط فيها أحد العلماء الكبار الحافظ ضامن علي الشهيد وغيرهم من الذين استُشهدوا على أرض المعركة.[٢]

ثم خيّم الظلام على الهند كلها؛ حيث اغتصب الإنغليز جميعَ الأوقاف والعقارات والإقطاعات التي كانت تُمِدّ المدارسَ الإسلاميةَ بإحياءها،[٣] وعملوا على تجفيف منابع الإشعاع والإصلاح والفكر والدعوة والتعليم والتربية، حتى يتحول المسلمون مع الأيام جُهَّالاً يسهل صوغُهم في بوتقة المسيحية المحرفة.

مكافحة العلماء ضد الأديان الأخرى

وبعد ما اشتدت وطأة التبشير المسيحي على الدين الإسلامي الذي كانت تُمِدُّه دولة الاستعمار الإنغليزي الموطدة الأركان، الشامخة البنيان، الممتدة الأطراف التي كانت لا تغرب عنها الشمس. وبعد ما كثرت هجمات

---

١. رضوي، سيد محبوب: "تاريخ دار العلوم ديوبند"، مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٩٩٢، ط. ١٦.

٢. الأسعدي، عبيد الله: "دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية، حركة إصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية"، ط. أكاديمية شيخ الهند، ديوبند ٢٠٠٠، ص. ٢٨.

٣. Barbara: Islamic Revival, p. 241

الدعوة الهندوسية على الإسلام التي كانت تضم صوتها مع صوت التبشير في أغلب الأحايين.

بعد ما حصل كل ذلك، وأصبح المسلمون بالنسبة إلى الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم كالغيث في الليلة المطيرة الشاتية، فكّر علماء الإسلام والمسلمين وقادتهم في الهند في جميع الطرق التي كانت من شأنها أن تساعدهم على عملية الإبقاء على الكيان الإسلامي في هذه البلاد والحفاظ على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وعقيدة الدين الإسلامي الأصيلة؛ فبدأوا بسلسلة إنشاء المدارس الإسلامية الأهلية السائرة بتبرعات عامة الشعب من المسلمين، واعتقدوا أن ذلك هو وحده الطريق الأنجع الأسلم إلى بقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار في مثل هذه الظروف؛ حيث ستنتشر بذلك علوم الكتاب والسنة والتعاليم الإسلامية.[١]

وكان على رأس هؤلاء العلماء والمشايخ الشيخ محمد قاسم النانوتوي الذي أسس مدرسةً صغيرة بتعاون من زملائه ومشوراتهم، أمثال: المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (المتوفي ١٩٠٤م) والحاج عابد حسين الديوبندي (١٨٣٤ - ١٩١٢م) والشيخ محمد يعقوب النانوتوي (١٨٣٣ــ ١٨٨٤م) والشيخ رفيع الدين (المتوفى ١٨٩٠م) والشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي (المتوفى ١٩٠٧م) وذلك بيوم الخميس المؤرخ في يوم ١٥ من شهر محرم الحرام ١٢٨٣هــ ما كان يوافق ٣٠ مايو/أيار ١٨٦٦م، في مسجد أثري صغير (يقع جانب الجنوبي الشرقي من حرم المدرسة واليوم يُعْرَف بـــ "مسجد شته")[٢]، كانت نواتها

[١]. رضوي، سيد محبوب ، مقال له قام بترجمته وتعليقه إلى العربية الأستاذ عارف جميل القاسمي نشرته مجلــة الــداعي الشهرية في عددها الصادر ٨ في شهر حزيران/يونيو ٢٠١٣، ص. ٥٥.

[٢]. الحسني ، عبد الحي: نزهة الخواطر، ج٨، ص. ٥٥٠.

مدرسًا واحدًا باسم "الملا محمود" وتلميذا واحدًا كان اسمه "محمود حسن" الذي اشتهر لاحقاً بـــ "شيخ الهند" والذي قاد حركة تحرير الهند بشكل أثمر الاستقلال (١٨٥١ - ١٩٢٠م). وذلك بقرية "ديوبند" التي كانت لا تتمتع بأية ميزة آنذاك، ثم صارت قرية شاملة بذريعة هذه المدرسة التي سُمِّيَتْ لدى تأسيسها تسميةً بسيطةً باسم "المدرسة الإسلامية العربية" ثم اشتهرت القرية وذاع صيتها بـــ "ديوبند" خلال أيام قليلة أرجاءَ الهند حتى تجاوز إلى البلاد النائية، حتى صارت الآن مدينة نالت من الشهرة ما لم تنله كثير من المدن الرئيسية في الهند. وهي تقع على مسافة نحو ١٥٠ كيلو متراً الجانب الشمالي من دهلي عاصمة الهند.[١]

تأسيس مدرسة ديوبند

وجاء تأسيس مدرسة دار العلوم – بديوبند على رسوخ العقيدة والإيمان، والنشر المتوازن العادل للعلم والروحانية وعلى أساس الجمع بين مقتضيات القلب والعقل، من هنا سرت روح المحافظة على الشعائر الإسلامية وعاطفة الكفاح المستميت لحفظ كيان الإسلام وشوكته في جميع المنتمين إلى هذا المعهد والمنتسبين إلى هذه المدرسة الفكرية الشاملة.[٢] ولم يزل نطاق المدرسة يتسع، وصيتها يذيع، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم، حتى أمها الطلبة

[١]. أسعدي، محمد عبيد الله: "دارالعلوم ديوبند: مدرسة فكرية توحيهية"، ص. ٦١.

[٢]. رضوي، سيد محبوب: مقال له ترجمه إلى العربية بعنوان "افتتاح الجامعة الإسلامية دار العلوم/ديوبند" الأستاذ عارف جميل القاسمي نشرته مجلة الداعي الشهرية في عددها الصادر ١-٢ في شهري نوفمبر/ديسيمبر ٢٠١٣، ص. ٤٥.

من أنحاء الهند، ومن الأقطار الإسلامية الأخرى[١]. وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر[٢].

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة.

حركـــة علي غـــراه (حركـــة سيـــد أحمـــد خـــان)

اندلعت نار الثورة في عام ١٨٥٧م، وقام الهنود بحركة عنيفة يخربون المستعمرات والمباني ويقتلون الإنغليز حيثما وجدوهم، ويدمّرون ما وصلت إليه أيديهم، وهاج الرأي العام على الإنغليز هياجاً شديداً. ولكن كان رأي السيد أحمد خان هادئاً متزناً مخالفاً للرأي العام فرأى أن هذه الثورة لا تأتي بنتيجة، وتأتي النتيجة بعودة الإنغليز إلى السيطرة مرة ثانية من غير فائدة. وأن قتل الإنغليز عمل غير إنساني. ولذلك وضع خطة الجهد مع بعض أصدقائه لمنع الإنغليز من القتل والدمار، فنجا على يده ويد أصدقائه كثير. فلما هدأت الثورة، عرف الإنغليز فضله، وحفظوا له. ومن ذلك الحين تأكدت الصلة بينه وبين الإنغليز. فبدأ أعمال الإصلاح في الشعب الهندي.

---

١. Sarkar, Sumit: "Modern India (1855 - 1947), Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995, 9th Ed., p. 78.

٢. الحسني ، ابو الحسن علي: "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها" ط. المجمع الاسلامي العلمـــي لكنـــاؤ ١٩٨٦، ص.٢١ - ٢٢

ولم يعجب السيد أحمد خان هذا كله، وتساءل في حزم، فاعلة هذا الجهل وضيق العقل والفقر وسوء الحال؟ وأجاب في حماسة! إنه التربية؛ ومن ذلك الحين بدأ يضع منهج التربية التي يريدها. وصادف ذلك أن ثورة عام ١٨٥٧م كشفت لعقلاء المسلمين في الهند حالهم ووجوب تغيير موقفهم وشعورهم بتخلفهم من الطوائف الأخرى فتناغم تفكير "السيد أحمد خان" واستعداد الرأي العام المتنور، فانتج هذا التناغم حركة إصلاح تعد نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند[١]. وقال مخاطباً شعبه:

"انظروا إلى إنكلترا، لقد كانت ثروتها تتمشى يوماً فيوماً مع تربيتها، كلما زادت تربيتها زادت ثروتها، وقد كانت قبل قرن عوائق التي تعوق التربية أكثر مما عندنا، ولم يكن لها إذ ذاك سكك حديدية ولا آلات ميكانيكية للطباعة وإنما كان لها سعة نظر وقوة إرادة".[٢]

وأول ما بدأ به خطته في التربية أنشأ جمعية أدبية علمية في علي غراه، وكان الغرض منها إشاعة الآراء الحديثة في التاريخ والاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الكتب الإنغليزية إلى اللغة الأردية. وكان يرى أن تعلم هذه العلوم باللغة الإنغليزية لا يكفي إلاّ بعدد قليل من المثقفين، إنما الذي يفيد فائدة كبرى نقل هذه العلوم إلى لغة البلاد حتى يشترك في تفهمها والاستفادة منها عدد كبير، ولذلك نقل هذه الكتب الهامة من اللغة الإنغليزية إلى اللغة الأردية، ولم يمنعه إعجابه بالإنغليز ولغتهم وثقافتهم من أن يكون

[1] Eliade, Mircen (ed): "The Encyclopedia of Religion", Mcmilan Publishing Company, New York & London, vol. 7, P.57

[١]. مظهر حسين : "علي كرهــ تحريك"، انجمن ترقي أردو، دلهي ١٩٨٢، ص. ٤٤-٤٥

صلباً حازماً شديداً في طلبة نقل الكتب الإنغليزية للشعب. ولكن سرعان ما هاج عليه الرجعيون من رجال الدين، يتهمونه بإفساد العقول وإفساد الدين والوطنية، واشتبك في حرب عوان معهم انتهت بانتصاره بوضعه الحجر الأساسي لكلية فيكتوريا بمدينة غازي فور، اوترا براديش-الهند.[١]

مغادرة السيد أحمد إلى إنكلترا وعودته منها

وسافر إلى إنكلترا وقابل كثيراً من عظمائها، ولفت نظره تربية الإنغليز الشعب أكثر مما لفت نظره إلى تربيتهم وخاصة المتعلمين. يجب تغيير كل ذلك، ووضع منهج لمسلمي الهند غير المنهج الذي يسيرون عليه.[٢] عاد السيد أحمد من إنكلترا وهو عاقد العزم إصلاح حال المسلمين في الهند عقلاً وديناً ولغة وخلقاً واجتماعاً، سواء في ذلك خاصتهم وعامتهم، مصمم على أن يغزو الجهل والجمود بكل ما يستطيع من قوة، وأن يحمل المسلمين بكل الوسائل على أن يتقبلوا المدنية الحديثة في علومها وفنونها قبولاً حسناً، ويستخدموها في ترقية حياتهم؛ وأن يبذل الجهد في التوفيق بين الإسلام والمدنية الحديثة... فالإسلام في جوهره وأصله معقول واسع الصدر لأحكام العقل غير مناهض لما يثبته العلم، فإذا نقيَ مما لحقه، وأن يقبل المسلمون على العلم الحديث من غير حرج.[٣]

وجعل من أول خططه بعد عودته أن ينشئ في الهند جامعة تكـــون للمسلمين تربي الخاصة، ثم هم يربون العامة؛ ومازال يكدّ ويسعى ويجمـــع

---

١. Barbara Daly Metcalf: "Islamic Revival in British India- 1982. P. 324

٢. أحمد أمين: "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، ط. كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٢، ص. ١٣٢.

٣. Mohammad, Shan: "Successor of Sayed Ahmad Khan", Idara Adabiat, Delhi. 1981. P. 16-17.

المال ويبذل قصارى جهوده في سبيله و أخيراً فاز بإنشاء كلية فـــي علـــي غراه المشهورة وعين لها ثلاثة أهداف:

١- أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية من غير تعصب ولا جمود.

٢- أن يعني فيها بحياة الطلبة الاجتماعية، فيجدوا فيها سكناً يقيهم من شرور المدن ومفاسدها، فيطمئن الآباء حين يرسلون أبناءهم إليها إلى أنهم في بيئة صالحة لخلقهم، مراقبة لآدابهم.

٣- أن يعني في نظام الكلية بترقية العقل وتربية المدن وتهذيب الخلق معاً، وبعبارة أخرى يكون الغرض منها "التربية" لا التعليم فقط".[١]

دوره في مجال النشر والتهذيب

فلما فرغ من تأسيس هذه الكلية أخذ يعمل في اتجاه آخر، فأنشأ مجلة دورية سماها "تهذيب الأخلاق" الأردية، عالج فيها المشاكل الاجتماعية والدينية في جرأة وصراحة، وأخذ يفسر القرآن، ويدعوا إلى فهم القرآن صحيحاً وإذ اتفق مع العقل وأن النظر الصحيح يوجب الاعتماد على روحه أكثر من الاعتماد على حرفيته أو كلماته وأنه يجب أن يفسر على ضوء العقل والضمير[٢]. ثم كانت له فكرة عظيمة نافعة، وهي أن يجمع مؤتمراً كل عام يجتمع فيه قادة المسلمين من الأقاليم الهندية المختلفة كل عام في مدينة، يلقون فيه الخطب والمحاضرات نافعة عن الشؤون الإسلامية وأمراض المسلمين وعلاجها ويصدرون القرارات التي يرونها نافعة في ذلك. وكان

[٢]. الحسني ، عبد الحي: "نزهة الخواطر"، ج ٨، ص. ٣٩.
[٢]. نظامي ، خليق احمد: "سرسيد اور عليكرهـــ تحريك"، ١٩٨٢، ص. ٤٥.

الغرض الذي يرمي إليه رأي السيد أحمد منه بث روح الائتلاف بين المسلمين في البلاد الهندية، وتبادل الآراء في خبر الوسائل لترقيتهم، والتعاون على الأعمال المفيدة من إنشاء المدارس أو النهوض بها أو نحو ذلك[١]. وقد نفذت الفكرة ثم استمر يجتمع حياته برئاسة بعض أصحابه وأتباعه، وهو يقول:

"إن النور اليوم يأتي من الغرب بعد أن كان يشرف من الشرق فيجب أن نأخذ من أوربا علومها ومدنيتها، ونسير مع الزمان في مضمار الحياة العصرية، وذلك لا يُفقد المسلمون شخصيتهم ودينهم، إنما يفقدهم ذلك الجهل لا العلم، وإن التعليم كان في الزمن الماضي دينياً محضاً لا يعبأ بالدنيا وما فيها وقد تطرف في الأولى وأخلّ بالثانية، وفحبّذا الجمع بين الدين والدنياً".[٢]

الإرتكاز على ترويج اللغة الأردية

فقد رأى مسلمو الهند ناشئة جديدة عاقلة مفكرة مهذبة تصلح للحياة و إن كلية عليغراه تنتج في البلاد حركة فكرية بديعة، وتؤلف الكتب القيمة في أسلوب جديد، وأخذت الحياة تزدهر بين المسلمين بعد خمودها، واتضح أن السيد أحمد خان مصدر نعمة وبركة، وان اختلفوا معه في بعض آرائه. ثم كانت له خطوة أخرى للاصلاح في اللغة الأردية، لقد كانت هذه اللغة قبله كاللغة العربية في عهد الظلام فكانت مجموعة عشق وغرام ومديح، فنقلها إلى آفاق واسعة، واستخدمها في موضوعاتها المختلفة من السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والأدب وكل ذلك في أسلوب متين مع القوة والسلاسة والسعة وغزير المعنى وخال من التصنع. ثم اعتنى بهذه اللغة

---

١. Gopal , Ram: "Indian Muslims", p. 47.

٣ Metcalf: “Islamic Revival in British India”, P. 32

وأدبها، ونقل كثيراً من أطيب الآداب الأجنبية إليها. وكان له رأي بديع في الترجمة إلى اللغة الأردية وهو عدم التقليد بالحرفية في الترجمة، ويرى أن هذا أسلوب واه ضعيف. وإنما الواجب أخذ الأفكار وعرضها عرضاً جديداً بطريقة تتفق ذوق الهنود وتلا أفكارهم ولم تكن اللغة الأردية تشتمل على مصطلحات علمية، فحاول وضع مصطلحات اللغة الأردية التي تتناسب مع العلم وسار على هذا المنهج طلبته.[١]

حـــركـــــة نـــــدوة العـلمـــــاء

أنشئت الحركة سنة ١٨٩٤م كجمعية إسلامية أهلية عامة باسم "ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ وهي عاصمة ولاية أوترا براديش الهندية، وكان مؤسسوها الشيخ شبلي النعماني (١٨٥٧ – ١٩١٤م) والشيخ محمد علي المونغيري (المتوفي ١٩٢٧م) ورجال الدين الإسلامي الآخرون وذلك في حفلة قام بعقدها كبار علماء شبه القارة الهندية للقيام بمشورات في أوضاع المسلمين المتغلبة وظروفهم الراهنة. حين اشتدت وطأة الاستعمار الإنغليزي وأصبح المجتمع الغربي الزاحف إلى الشرق وتبهر عيون السذج والطبقة المتحضرة بالعلم والمعرفة منهم، وفي الوقت عينه كان رجال العلوم الدينية الإسلامية في تشاجر وعراك على خلافاتهم الفقهية وصراعاتهم المذهبية دون أن يبالوا بالمخاطر المحدقة بالإسلام والمسلمين. وقد برزت فكرة ندوة العلماء في ١٨٩٣م على نطاق أوسع بعد نشوب الخلافات بين المسلمين في اجتماع لهم بمدينة كان فور الهندية، وكان الهدف من هذه الندوة إزالة الخلافات بين رجال الدين المسلمين في الهند، ووضع برنامج تعليمي

١. القاسمي، عطاء الرحمن: "ألواح الصناديد"، مولانا أبو الكلام آزاد أكادمي دلهي. ١٩٩٠، ص. ٥٤

لإصلاح المناهج الدراسية ومقرراتها طبقاً لحاجة الأمة الإسلامية في ظروفها المتجددة وذلك لتمكين المتخرجين في العلوم العربية من الدراسة في العلوم الحديثة أيضاً فأنشئت مدرسة باسم "دار العلوم ندوة العلماء" بمدينة لكناؤ -الهند.[١]

تأليف أعضاء الندوة

كان الشيخ محمد علي المونغيري الأمين العام الأول لندوة العلماء ثم خلفه الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (١٨٥٢ – ١٩٢٧م)، ثم خلفه الشيخ مسيح الزمان الشاهجهانفوري، ثم خلفه الشيخ عبد الحي الحسني (١٨٦٩ - ١٩٢٣م)، ثم خلفه الشيخ الأمير سيد علي حسن خان، ثم خلفه الدكتور الشيخ عبد العلي الحسني (١٨٩٣ – ١٩٦١م)، ثم خلفه الشيخ أبو الحسن علي الحسني (١٩١٤ – ١٩٩٩م)،[٢] وبعد أن لبّى الشيخ أبو الحسن الحسني دعوة ربه متوجهاً إلى رحمته الأزلية عام ١٩٩٩م يتحمل مسؤولية نظام وإدارة ندوة العلماء الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على عاتقه حتى الآن.

الأبعاد الثلاثة الهادفه

اهتمت جميعة ندوة العلماء بمهامها العملية ثلاثة أبعاد في المجتمع الإسلامي الهندي، أولها إصلاح المنهج التربوي والتعليمي وتطويره حيث دعت حاجة المسلمين الزاهية وصونه وصياغته لتتجسد بحاجة حياة المجتمع

١. عبد الحق شجاعت علي: "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال ١٩٤٧"، المعهد الديني دلهي١٩٨٩، ص. ١٤

٢. الأميني، نور عالم خليل، مقال له نشرته مجلة الداعي الشهرية تصدر عن مدرسة دار العلوم بديوبند في عددها الصادر ٥، سنة ٣٧، لشهري مارس وأبريل ٢٠١٣

الإسلامي المعاصر، وبذلوا جهدهم في هذا المجال لخمس سنوات متتالية إلى أن وصلوا إلى قرار إقامة مدرسة شاملة تكون نموذجاً لتطبيق فكرتهم لنظام التعليمي، وقاموا بإنشاء مدرسة المدعوة "دار العلوم" الآنفة الذكر. والبعدين الآخرين من الأبعاد الثلاثة التي ندوة العلماء قامت بعنايتها هي "جمع كلمة المسلمين"، وخلق التسامح الديني والاجتماعي في المجتمع الإسلامي الهندي وزعماء مسالكه الفقهية. و"تصحيح المفاهيم الدينية"، وإخضاعها لما تبث من الكتاب والسنة وتأييد الفكر الإسلامي عن طريق الكتابة والتأليف والترجمة والنشر.[١]

وقد تمكنت الحركة أن تقوم بأداء واجباتها بشكل فريد من نوعها وقد أوجدت تقارباً أخوياً بين عديد من الفئات الإسلامية المتباعدة، وجمعت على ساحتها في دوراتها السنوية التي عقدت في كل عام طيلة ثلاثين سنة منذ نشأتها أصحاب الفكر الديني الإسلامي الذين يخالفون خلافا باتا من فكرة ندوه العلماء، وزعماء المذاهب الفكرية المتعارضين لها، رغم أنهم كانو شديدي التباعد قبل ذلك فيما بينهم، ولكن دعوة ندوة العلماء بجهود رجالها على كرامة الدين الإسلامي المخلصين للأمة الإسلامية لم تذهب دون جدوى بل إنها نجحت في تثبيت قلوب متباعدة، والتاليف بين آمال متعارضة، وقربت بين الأحناف والشوافع وبينهم وبين جماعة أهل الحديث، وكان يرى ذلك مستحيلا في ظروف ذلك العهد، واستمرت مجالس ندوة العلماء ومراكزها التربوية ومعاهدها للتعليم متصفة بهذه الصفة.[٢]

---

[١]. الحسني ، محمد الرابع: "ندوة العلماء: فكرتها ومنهاجها"، ط. مؤسسة الصحافة والنشر، لكناو-الهند ٢٠٠١، ص. ٥.

[٢]. القرضاوي، يوسف: "ندوة العلماء بالهند ودورها المعاصر"، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢، ص. ١٢.

أثرها وانتشارها

أما في مجال الفكر الإسلامي وبثه في أوساط المسلمين فقد استطاعت ندوة العلماء أن تنجز غايتها في ذلك عن طريق إنشاء المجاميع والأكاديميات للأبحاث العلمية والمكتبات العامة ودور النشر، مثل أكاديمية شبلي، المجمع الإسلامي العلمي وغيرهما.

وقد أثرت جمعية ندوة العلماء ودعوتها وفكرتها وخدماتها على رجال العلم الآخرين خارج محيط ندوة العلماء أيضاً فقد اتبع عدد منهم أسلوبها وانتهج منهجه في ذلك، وكان في إنتاجهم ثروة علمية وفكرية إسلامية كبيرة، ومن أهم هؤلاء المسايرين مع فكرة ندوة العلماء الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي (١٨٩٢ – ١٩٧٧م)، الشيخ السيد سليمان الندوي (١٨٨٤ – ١٩٥٣م) وغيرهما من العلماء والمفكرين البارزين في الهند.

وتتوسط ندوة العلماء بين المدارس القديمة التي تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضرباً من التحريف ونوعاً من البدع، وبين الجامعات المدنية التي تستبرك الجديد وتستهين بكل قديم، تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء. وخاف مؤسسوها على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين، ومن اعتزال العلماء عن الحياة وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الأخير[١].

[١]. الحسني ، ابو الحسن علي: "أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٥، ص. ٤٢

الجمع بين القديم والجديد

وتأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وان منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم.[١]

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم "الرسالة الخالدة" وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل، وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه، ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسعـــار كما كان الشـــأن في الهند، وقللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته[٢]. واجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر، وبأسلوب يستهوي القلوب، أمة وسطاً بين طرفي الجمود والجحود، وقد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته، فأنجبت رجالاً هم خير مثيل للعالم المسلم العصري، لهم آثار جميلة

---

١. Metcalf: "Islamic Revival in British India", P. 452.

٢. الندوي ، عبد الحليم: "مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط. مطبعة موري المحدودة، مدراس ١٩٨٦، ص. ٣٥.

خالدة في الأدب الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية والتاريخ.[١]

المراجع والمصادر

الكتب العربية

١. *أرحيلة، عباس: "حركات الإصلاح في العالم الإسلامي"، منشور في موقع رسمي على الانترنت للكاتب ٢٠٠٩.*

٢. *النجار، فهمي قطب الدين: "الشيخ السرهندي من رواد الصحوة الإسلامية في الهند"، ط. شبكة الألوكة الثقافية الإلكترونية.*

٣. *المودودي، أبو الأعلى: "تجديد الدين وإحياءه"، ط. دار الفكر الحديث لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٧.*

٤. *الحسني، عبد الحي: "الهند في العهد الإسلامي"، ط. مجمع الامام احمد بن عرفان، دار عرفات، رائ بريلي ٢٠٠١.*

٥. *الندوي، مسعود عالم: "تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند" ط. دار العربية بيروت، ١٩٨٦.*

٦. *الندوي، أبو الحسن علي: "إذا هبت ريح الإيمان"، ط. مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد دار عرفات-راى بريلي، ١٩٩٤.*

٧. *الندوي، محمد إجتباء: الأمير نواب صديق حسن خان، حياته وآثاره"، ط. دار ابن كثير ١٩٩٩.*

٨. *أحمد أمين: "زعماء الإصلاح في عصر الحديث"، ط. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥.*

٢. الحسني ، أبو الحسن علي: المسلمون في الهند ص. ١١٣.

٩. عجلان، عبد الله ابن محمد: "حركة التجديد والاصلاح في نجد في العصر الحديث"، ط. مكة ١٩٩٢ .

١٠. عبد الوهاب خليل الرحمان: "الحركة السلفية في الهند"، لاهور ١٩٨٣ .

١١. أحمد، صلاح الدين مقبول: " دعوة شيخ الإسلام إبن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة ومواقف الخصوم منها"، در ابن الأثير، القاهرة ١٩٩٦ .

١٢. ابو المكرم بن عبد الجليل: "دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها" ط. مكتبة السلام الرياض، ٢٠٠٠ .

١٣. الفريوائي، عبد الرحمن: "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة"، جامعة السلفية بنارس ١٩٩٠ .

١٤. الحسني ، عبد الحيء: "الثقافة الإسلامية في الهند"، دار عرفات رائ بريلي، ١٩٧٩ .

١٥. أجمل، محمد: "الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي ومآثره العلمية"، ط. روز وورد بوك نيودلهي ٢٠١٢ .

١٦. الفريوائي ، عبد الرحمان: "جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم"، ١٩٩٢ .

١٧. فاروقي ، زبير أحمد: "مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي"، دار الفاروقي نيودلهي ١٩٩٠ .

١٨. الأسعدي، عبيد الله: "دار العلوم ديوبند: مدرسة فكرية توجيهية، حركة إصلاحية دعوية، مؤسسة تعليمية تربوية"، ط. أكاديمية شيخ الهند، ديوبند ٢٠٠٠ .

١٩. الحسني، ابو الحسن علي:"الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها" ط. المجمع الاسلامي العلمي لكناؤ ١٩٨٦ .

٢٠. عبد الحق شجاعت علي: "الدراسات العربية في الجامعات الهندية الشمالية بعد استقلال ١٩٤٧"، المعهد الديني دلهي ١٩٨٩ .

٢١. الأميني، نور عالم خليل، مقال له نشرته مجلة الداعي الشهرية تصدر عن مدرسة دار العلوم بديوبند في عددها الصادر ٥، سنة ٣٧، لشهري مارس وأبريل ٢٠١٣.

٢٢. الحسني ، محمد الرابع: "ندوة العلماء: فكرتها ومنهاجها"، ط. مؤسسة الصحافة والنشر، لكناو -الهند ٢٠٠١.

٢٣. الحسني، ابو الحسن علي:"أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية"، المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٥.

٢٤. الندوي ، عبد الحليم:"مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط. مطبعة موري المحدودة، مدراس ١٩٨٦.

٢٥. الحسني ، أبو الحسن علي: "المسلمون في الهند"، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناو ١٩٨٦.

الكتب الأردية

١. شيخ محمد إكرام: آب كوثر، موج كوثر، رود كوثر، كلاسيكل برنترس دلهي ١٩٩٨.

٢. سيالكوتي ، محمد ابراهيم مير: تاريخ اهل حديث.

٣. نوشهروي: تراجم علماء أهل الحديث".

٤. نو شهروي: "علماء أهل حديث كى تصنيفي خدمات".

٥. السلفي ، محمد مستقيم: "جماعة اهل حديث كى تصنيفى خدمات"، ط. الجامعة السلفية بنارس ١٩٩٥.

٦. كيلاني ، مناظر أحسن: "سوانح قاسمي" ط. مكتبة دار العلوم ديوبند ١٩٩٣.

٧. رضوي، سيد محبوب: "تاريخ دار العلوم ديوبند"، مكتبة دار العلوم ديوبند، ١٩٩٢.

٨. مكي، الدكتور مختار أحمد: "تحريك آزادي اور هندوستاني مسلمان" ط. قاضي Publishers and distributors، دلهي، الطبعة الثانية ٢٠٠٣.

٩. مظهر حسين : "علي كرهــ تحريك"، انجمن ترقي أردو، دلهي ١٩٨٢.

١٠. نظامي، خليق احمد: "سرسيد اور عليكرهــ تحريك"، ١٩٨٢.

١١. القاسمي، عطاء الرحمن: "ألواح الصناديد"، مولانا أبو الكلام آزاد أكادمي دلهي. ١٩٩٠.

الكتب الإنغليزية

1. *Singh, Rajendrapal: Rana, Gopal:* "Teacher Education in Turmoil: Quest for solution*", Sterling Publishers Pvt. Ltd. New Delhi-2002.*
2. *Mojeeb, Mohammad:* The Indian Muslim, *London 1967.*
3. *Engineer, Asghar Ali:* They too fought for India's freedom: The role of minorities, *Hope India Publications, New Delhi 2005.*
4. *Chandra, Bipan: "*India's Struggle for Independence*", Penguin Books, New Delhi, 1988.*
5. *Ahmad, Moinuddin:* "A History of the Fraidi Movement in Bengal*", 1987.*
6. *Gopal, Ram: "*Indian Muslims*", (A Political History), Bombay 1982.*
7. *Desai, Z. A.:* "Centres for Islamic Learning in India*", Publications Division, Ministry of Information and Broadcasting, Government of India, New Delhi, 1978.*
8. *Metcalf, Barbara Daly:* "Islamic Revival in British India- Deoband-1800-1900*" Princeton University Press, New Jersey, 1982.*
9. *Sarkar, Sumit: "*Modern India (1855 - 1947), *Mcmilan India Limited, New Delhi, 1995.*
10. *Eliade, Mircen (ed): "*The Encyclopedia of Religion*", Mcmilan Publishing Company, New York & London, vol. 7, 1985.*
11. *Mohammad, Shan:* "Successor of Sayed Ahmad Khan*", Idara Adabiat, Delhi. 1981.*

***

المؤلفات التاريخية في الهند

د/ العنود بنت فهد العتيبي*

كان فتح المسلمين للهند بداية عهد جديد للاتصال الثقافي بين العرب والهند ، فهؤلاء الغزاة كانوا بالإضافة لحملهم راية الجهاد كانوا أيضا حملة للثقافة الإسلامية فقد ضم بلاط الملوك العلماء وقاموا بتشجيعهم بل توليتهم مناصب هامه في الدولة سهلت لهم التدوين التاريخي ففي عهد محمود الغزنوي(٣٨٧-٤٢٣هـ/٩٩٧-١٠٣٢م)[١] ألف كاتب الإنشاء البيهقي(ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)[٢] كتابه التاريخ الناصري[٣]. وفي عهد الدولة الخلجيه ألّف عثمان الجوزجاني(ت٦٥٩ه/١٢٦٠م)[٤] كتاب طبقات ناصري في ٢٣ مجلداً[٥] .

* استاذ مساعد بجامعة تبوك

(1) محمود بن سبكتكين يمين الدولة ولد عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م قام بفتوحات كبيره في عهد والده فولاه نيسابور تولى الملك بعد وفاة والده وتوسعت المملكة في عهده فشملت اصفهان وطبرستان وخراسان والري وهمدان وكرمان والسند بنجاب الهند توفي عام ٤٢٣هـ/١٠٣٣م. الحسني، عبد الحي(ت١٣٤١هـ/١٩٢٢م: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

(2) محمد بن الحسين البيهقي ابو الفضل مؤرخ كان كاتب الانشاء في دولة السلطان محمود بن سبكتكين ثم لمحمد ثم لمسعود توفي عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. الزركلي، خير الدين: الأعلام(بيروت، دار العلم للملايين، د.ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)ج٦ص١٠٠.

(3) الساداتي،احمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ط، د. ت. ن) ص ٢٥٩.

(4) عثمان بن محمد الجوزجاني ولد عام ٥٨٩هـ في لاهورودخل دلهي في ايام رضية بنت التمش وتولى الأوقاف للمدرسة الناصرية مع القضاء توفي عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠. الحسني،نزهة الخواطر،ج١ص١٠٥.

(5) الحسني، نزهة الخواطر،ج١ ص١٠٦.

وفي عهد ال تغلق قام الأمير خسرو الدهلوي (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) [١]، بتأليف كتاب "تغلق نامه" يحكي فيه كيف استولى غياث الدين تغلق على دلهي، وقد اتسمت كتاباته بالصيغة الدينية والخلقية، وكيف أن السلطان رمز للخير يحارب قوات الكفر[٢]. وكان السلطان محمد (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) [٣] مهتماً بالتاريخ وله كتابات تاريخية وكان حافظا لقصص أبو مسلم الخراساني[٤]. كما ألف العالم ضياء الدين البرني (ت ق٨هـ/ ق١٤م) [٥] بحكم علاقته الوطيدة مع حكام دلهي وكان وصوله للمعلومات يتم بكل يسر وسهولة؛ لذلك ألف كتاب "فيروز شاهي" انتهى من كتابته عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م[٦] تناول فيه ذكر ثمانية ملوك فقط لذلك العصر الذي هو من عهد بلبن إلى الست سنوات الأولى لفيروز شاه، ويذكر فيه أنه كتابه مبني على بيانات مروية وبعض مشاهداته الذاتية، فعرف عن بلبن من والده وجده، وبعض ضباط بلبن وشهد بنفسه نهاية دولة الخلجين[٧]، إن

---

(١) أمير خسرو: خسرو بن سيف الدين الدهلوي أشهر مشاهر الشعراء في الهند برع في الشعر والموسيقى، توفي عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٥٦.

(٢) محب الحسن: هندوستاني دور وسطى كے مؤرخين (ترجمة للأردية: مسرور باقي، دلهي، قومي كونسل برائي، د. ط، ٢٠٠٤) ص٢٩٢.

(٣) محمد بن تغلق شاه, ولد ونشأ بأرض الهند, ولي السلطة واتسعت مملكته جداً, قيل لم ير مثله في الملوك في بذل الأموال وسفك الدماء وفتح الفتوحات الكثيرة وتوسيع مملكته. توفي عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥٢م, الحسني: نزهة الخواطر, ج ٢, ص١٩٦ – ١٩٨.

(٤) فرشته، محمد قاسم (ت١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م): تاريخ فرشته (ترجمة للأردية: عبد الحي خواجه، حيدر آباد، ناشر شيخ غلام علي، د. ط، د. ت. ن).ج١ص٤٣٦.

(٥) ضياء الدين بن مؤيد الملك بن بارسك البرني من مشاهير الفضلاء واعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن. الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٦٨.
Mansingh, Surjir: Historical dictionary of India (New Delhi, vision book) , p.57

(٦) فرشته:تاريخ فرشته، ج١، ص٤٦٨، الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٦٨،عبد الرحمن،صباح الدين: هندوستان كے عهود وسطى (أعظم كره، دار المصنفين أكيدمي، د.ط، د. ت. ن)، ص٤٨٨.

(٧) الحسني، عبد الحي (ت ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م): الثقافة الإسلامية في الهند معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف (راجعه: أبو الحسن الندوي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د. ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م). ص٥٩، الساداتي،احمد: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها (القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، د. ط، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)،ص٥٣،٥٣، محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٤.

كتاب برني توثيق شامل لفترة دولة الخلجين وآل تغلق، امتاز بأسلوبه البليغ والسريع الذي يحمل أدق التفاصيل، غير أنه يعاني من مشكلة واحدة وهي الذاتية في الكتابة[١]، وبعد وفاة برني اهتم السلطان بتوثيق الحوادث الهامة في عصره فقام برسمها - أي الحوادث الهامة – على جدران وقبة ومنارات في دِهْلِي هي كوشك نزول وكوشك نفار بالذهب والفضة[٢].

وتحت نفس العنوان قام شمس عفيف (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) [٣] بتأليف كتاب "تاريخ فيروز شاه" لكن بترتيب مختلف فهو يتكلم عن الناحية السياسية والإدارية فقط لعهد فيروز تغلق (٧٥٢-٧٩١هـ/ ١٣٥١-١٣٨٨م) [٤] أي أنه عبارة عن سيرة ذاتية يقع في خمسة أجزاء، يتألف كل جزء من تلك الأجزاء من ثمانية عشر مبحثاً[٥]، اعتمد عفيف على الإسناد وقبل شهادات القاصين الموثوق بهم ولكنه لم يقدم الأدلة والشهادات لإثبات ما كتبه من أحداث[٦].

"ألف العصالي عام (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)" [٧] كتاب فتوح السلاطين وهو عبارة عن مآثر المسلمين في الهند من عهد محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) على شكل ملحمة شعرية طويلة قام خلالها بالاعتماد على مصادر قديمة لم ينقل الأسناد فقط بل عدل تلك المعلومات وفق أسلوبه

---

(١) Ahmad . aziz:An in tellectual History of Islam in India(*1969), P. 80. Munshi, K,M. and others: Delhi sultanate (Bombay, Bharatix vidya, 2 edition, 1967). P535.* Edinburgh university press.

(٢) عبد الرحمن: هندوستان كي، ص٤٨٨.

(٣) شمس الدين سراج عفيف، ولد في أسرة أصحاب مناصب وذلك عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م توفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م.١محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٤) Ahmad: An intellectual, p. 81 ، عبد الرحمن: هندوستاني كي، ص٤٨٨.

(٥) Munshi: Delhi, p. 536

(٦) محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٦.

(٧) لم أجد اسما كاملاً.

الخاص، وضم إليها ما جمعه من تقارير وأحداث وروايات وقصص ويخبر عن مصادر وأسماء معلوماته[١]، وقدم هديه للسلطان علاء الدين بهمني (٧٤٨-٧٥٩هـ/ ١٣٤٧-١٣٥٨م) [٢]. كما ألف العالم أبو العون عين الدين الجنيدي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) [٣] كتاباً في التاريخ والأنساب وتاريخ أولياء الهند[٤]. وألف المؤرخ الهندوسي كلهان[٥] كتاباً عن تاريخ كشمير اسماه راج ترنكين وقدمه لواليها زين العابدين (٨٢٦-٨٧٧هـ/١٤٢٣-١٤٧٥م)[٦].

وألف العالم يحيى بن أحمد السرهندي في عام (٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م)[٧] كتاب تاريخ مبارك شاه وقدمه هدية للسلطان معز الدين مبارك شاه (٨٢٤-٨٣٧هـ/ ١٤٢١-١٤٣٤م) [٨] لم يكن العالم يحيى في هذا الكتاب ناقلاً

(١) Munshi, The Delhi, p. 536, Ahmad: An intellectual, P. 81 ، محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٦-٢٩٨.

(٢) علاء الدين حسن البهمني, كان في بداية حياته خادماً لكانكو بهمن وانتسب إليه تولى الملك عام ٧٤٣ وقيل ٧٤٨, توفي عام ٧٥٩هـ/١٣٥٧م, الحسني، عبد الحي (ت ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م): الثقافة الإسلامية في الهند معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف (راجعه: أبو الحسن الندوي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د. ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م). , ص ٢٢٦ – ٢٢٧. النقشبندي، محمد بيك البرهانبوري (ت١١١٠هـ/ ١٦٩٨م): ملحق خلاصة السير (تحقيق: ظهور أحمد أطهر، لاهور، جامعة البنجاب، د.ط، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م), ص٨٧.

(٣) أبو العون عين الدين الجنيدي الدهلوي ثم البنجابوري عرف بخزانة العلم ولد ونشأ في دهلي ورحل لدولت آباد لطلب العلم له مصنفات عديدة، توفي عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٨٣.

(٤) الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٨٣.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) زين العابدين بن الإسكندر بن قطب الدين الكشميري قام بالملك بعد أخيه وكان اسمه شاهي خان فلقب نفسه بزين العابدين كانت له أعمال إصلاحية كثيرة زراعية وغيرها حكم عدة ٥٢ عاماً، توفي عام ٨٧٧هـ/١٤٧٢م. الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٥٠. الندوي، سيد سليمان: هندوؤں کے علمی وتعليمي ترقي ميں مسلم حكمرانوں کی کوشسيں (أعظم كره، دار المصنفين، د. ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٩.

(٧) لم أجد له ترجمة.

(٨) مبارك شاه اسمه قرنفل رباه خوان جهان وجعله بمنزلة ولده أوصى له بالسلطة فلما مات خوان تولى الملك توفي عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م,الهروي، نظام الدين أحمد بخش عاش في عهد السلطان المغولي أكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م): طبقات أكبري (ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م), ج٣, ص١٧٤.

محضاً، فقد وضع مبادئ خاصة لاستخلاص الحقائق مثل كتابة أعمال السلاطين والرؤساء والجنود بترتيب عهود حكمهم وكتابة الأحداث بترتيب الجلوس على العرش الملكي والتعيينات والحروب وتحركات الجنود والثورات حتى عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[١]. وألف العالم داود الكُجْرَاتي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م) [٢] كتاب تحفة السلاطين للسلطان فيروز شاه[٣].

وألف محمد بحمد خان[٤] كتاب في التاريخ العام اسماه التاريخ المحمدي انتهى من كتابته عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، وهو يغطي الفترة من وقت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عام ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[٥]، كما ألف مؤرخ اسم أزاري Azari كتاب بهمن ناما هدية للسلطان أحمد شاه بهمن (٨٢٥ – ٨٣٨هـ/ ١٤٢٢ – ١٤٣٦م) وهو عن تاريخ سلالة آل بهمن[٦].

بمعنى أن كتب التاريخ التي قدمها الأمير خسرو (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، والعصالي ألفه في (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وضياء الدين البرني ألفه عام (٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م)، وشمس عفيف (ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، ويحيى بن أحمد السرهندي (زمن التأليف ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م) كانت تاريخ لكبار الشخصيات والحكام والأمراء والقادة، ولهذا تعد هذه الكتب بدرجة قصائد نثرية أو مناقب أو تاريخ فضائل الحكام والأفراد، كما حاول هؤلاء

---

(١) محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٦، الحسني: الثقافة الإسلامية، ص٥٩.
Ahmad: An intellectual, p.80. Munshi: Delhi, p. 536

(٢) داود بن أبي داود الكُجْرَاتي، أحد الرجال المعروفين في التاريخ والسير، ألف كتاب تحفة السلاطين لفيروز شاه بهمني، الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٤٩.

(٣) الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٤٩.

(٤) محمد بمحمد خان لم أجد له ترجمة. Munshi: The Delhi, p. 536

(٥) Munshi: Delhi, p. 536, Ahmad: An intellectual, p.81

(٦) Ahmad: An intellectual, p. 81

المؤرخون في تلك الفترة أن يبينوا أن التاريخ هو ما يدور في أحداث بقضاء الله وليس من أعمال الإنسان، كما حاولوا أن يقدموا التاريخ ضمن خلفية دينية وركزوا فيه على عناصر النصيحة؛ لأن التاريخ يعد قسماً من الأخلاقيات وكنزاً من المبادئ الأخلاقية[١]. وفي الكُجْرَات ألف العالم "حلوى الشيرازي"[٢] في التاريخ مؤلف بعنوان أحمد الشاهي وذلك في عهد السلطان أحمد شاه الأول (٨١٣-٨٤٥هـ /١٤١٠-١٤٤١م)[٣].

وفي عهد السلطان مظفر الثاني (٩١٧-٩٣٢هـ/١٥١١-١٥٢٦م) [٤] كتب الملا قانعي (عاش في بلاط السلطان مظفر الثاني) [٥] كتاب مظفر شاهي تناول فيه معركة السلطان مظفر الثاني في مَالَوه[٦].

بالإضافة لما سبق من تأليف علماء الهند كتب في التاريخ العام أو تاريخ الملوك اهتم العلماء أيضاً بتأليف كتب تتناول السيرة النبوية الشريفة يأتي في مقدمتها ما ألفه العالم الشيخ ركن الدين بن عماد الدين الكاشاني (ت ق٨هـ/ ق١٤م) [٧] حيث ألف كتاب شمائل الأتقياء جعل الباب الثالث عن قصائد مديح للنبي ﷺ [٨]. كما ألف العالم عبد المقتدر بن محمود الدهلوي

(١) محب الحسن: هندوستاني، ص٢٩٨ – ٢٩٩.

(٢) ورد ذكر اسم في المرجع فلا نعم هل كان لقبه أم اسم. الندوي: أبو المظفر: غجرات کی تمدن تاریخ مسلمانوں کے عہد میں (أعظم كره، دار المصنفين، رقم سلسلة طباعة ٩١, ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ص١٧٦.

(٣) الندوي: غجرات کی تمدن، ص١٧٦.

(٤) أبو النصر مظفر شاه الحليم تولى الحكم بعد أبيه، الهروي: طبقات أكبري , ج٣ ص ١١٠, الحسني :الهند في العهد الإسلامي ,ص٢٣٨

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) الندوي: غجرات کی تمدن، ص١٧٦.

(٧) ركن الدين بن عماد الدين الكاشاني أحد المشايخ المشهورين في عصره، قرأ العلم على الشيخ زين الدين الشيرازي، له عدة مؤلفات. الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٥٩.

(٨) الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٥٩، العمري، محمد صلاح الدين: استعراض المؤلفات العربية في السيرة النبوية في بلاد الهند (مجلة ثقافة الهند، دلهي، مجلد ٤٨، العدد ١-٢، ١٩٩٧م)، ص١٦.

(ت٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) [١] قصيدة مدحية للرسول عليه الصلاة والسلام[٢]. كما ألف العالم الشيخ محمد بن يوسف الدهلوي (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م)[٣] رسالـــــة وجيزة حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

وفي القرن العاشر الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي ظهرت مؤلفات في السيرة النبوية منها ما ألفه القاضي جمال الدين أحمد الشهير ببحرق الحضرمي الكُجْرَاتي (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) [٥] حيث ألف كتاب "تبصرة الحضرة الشاهية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية هدية للسلطان مظفر شاه[٦]. كما ألف العالم الشيخ زين الدين بن علي المليباري (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) [٧] مؤلفين في السيرة النبوية هما "قصص الأنبياء"، و"سيرة النبي"[٨].

---

(١) عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشريحي الكندي ركن الدين الدهلوي عالم صوفي برع في الأدب والإنشاء والشعر.آزاد، غلام علي الحسيني الواسطي (ت١٢٠٠هـ/١٧٨٥م): سبحة المرجان في آثار هندوستان (مخطوط بجامعة الملك سعود، نسخة مصورة، برقم ٩٢٠ أ غ س). ورقة ٢٩-٣٠، الحسني: نزهة الخواطر، ج٢، ص١٧١.

(٢) أزاد: سبحة المرجان،ورقة٢٩-٣٠،الحسني: نزهة الخواطر،ج٢ص١٧٠.

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن محمد الدهلوي، ولد عام ٧٢١هـ/١٣٢١م بدهلي وتلقى العلم في دولت آباد ورجع لدهلي عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وتوفي عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م. الدهلوي: أخبار الأخيار، ص٢٨٤-٢٨٥، الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٤) الحسني: نزهة الخواطر، ج٣، ص٢٧٧، الحسني: الثقافة الإسلامية، ص٩٠، العمري: المؤلفات العربية، ص١٧.

(٥) جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الجمري الحضرمي ولد بحضرموت وارتحل لزبيد وأخذ عن علمائها الحديث قدم الهند واستقبله سلطان الكُجْرَات، ألف العديد من المؤلفات.
الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٤١٢- ٤١٣.

(٦) كما ألف كتابا آخر هو الحسام المسلول على مبغضي الرسول.
انظر: الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٤١٤، العمري: استعراض المؤلفات العربية، ص١٧.

(٧) زين الدين بن علي المليباري كان من العلماء العاملين والأئمة المحققين ولد في مليبار، وتعلم القرآن وحفظه على يد عمه وبرع في علوم الفقه والنحو وغيرها، توفي عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م. الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٤١ – ٣٤٢.

(٨) الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٤٢، العمري: استعراض المؤلفات العربية، ص١٧.

وأخيراً ألف العالم عبد الوهاب بن محمد البخاري (ت٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م) [١] كتاب في السيرة النبوية اسماه شرح شمائل الترمذي في شمائل النبي ﷺ وقصائد في مدحه ﷺ[٢]. كما ألف الهندوس مؤلفات في التاريخ مثل لب التواريخ، شاهان هند، خلاصة الهند، تاريخ دل كشاں، تاريخ كشمير، تاريخ أصفي، تاريخ مورث خلافة التواريخ، تحفة الهند، شار غلشن وهو كتاب مفصل للعلوم والفنون قسمه مؤلفه إلى أربعة أجزاء في الجزء الأول ذكر فلسفة الهندوس، وفي الجزء الثاني فلسفة اليونان، وفي الجزء الثالث علوم وفنون العرب، والجزء الرابع عن علوم أوروبا[٣].

تلك ابرز المؤلفات التي اهتمت بعلم التاريخ في العصور الإسلامية قبيل قيام الدولة المغولية(حكمت من عام ١٥٢٦-١٨٥٧ه) وكانت السمة الأبرز في هذه الفترة أنها تمت في الغالب برعاية البلاط الملكي وبتشجيع من الملوك أنفسهم ، فكان المؤرخون الذين يؤلفون هذه الكتب يبرزون فيها الأحداث التاريخية من وجهة النظر الرسمية للدولة، فلم تكن هناك أي إشارة في تلك الكتب تدل على نقد طريقة إدارة الدولة أو وجهة نظر معارضيها بل أنها لم تعرض كثير من الحقائق التي لازمت هذه الأحداث. فكانوا يؤلفونها لنيل الحظوة والمكانة المميزة لدى الملوك . ورغم ذلك تظل مصدرا هاما من مصادر التدوين التاريخي لتلك الحقب الهامة في تاريخ الهند وهي بحاجة لقراءتها وتحقيقها على وجه أفضل لاستخلاص المادة التاريخية .

---

(١) عبد الوهاب بن محمد البخاري الآجي، ولد سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م بمدينة آج سافر للحجاز للحج والزيارة وأقام بملتان ثم دلهي توفي عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م. الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٨١.

(٢) الحسني: نزهة الخواطر، ج٤، ص٣٨١، العمري: استعراض المؤلفات العربية، ص١٧.

(٣) الندوي: هندوستان كى قديم، ص٨٥.

Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57